

الأخضراء

للخطيب الفزويي الموثق عام ٧٢٩ هـ

مشروع واقتراحات تقييم
د. محمد عبد المنعم خفاجي

الجزء الرابع

وَلِزْلِيجِيَّةٍ

بَيْرُوت

جميع الحقوق محفوظة لدار الحِيل

الطبعة الثالثة

١٤١٢ - ١٩٩٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صدرت الأجزاء الثلاثة من شرحى على كتاب الإيصال في علوم
البلاغة للخطيب التزويني (٦٦٦ - ٧٣٩) بحمد الله وتوفيقه وفضله

وهذا هو الجزء الرابع من هذا الشرح الجديد •

وهو كالأجزاء التي سبقته في الشرح والتحليل والتفسير والدقة
وتنظيم البحث والموضوعات •

ولا أجد ما أقوله إلا أن أقدمه لجمهور العلماء ورجال اللغة
والأدب والنقد وطلاب البحث والمعرفة والثقافة معتمداً بعد فضل الله
على حسن تدبيرهم وكريم ثقتهم •

وما توفيقى إلا بالله •

محمد عبد المنعم خلاجى

الفن الثاني

علم البيان (١)

هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد (٢) بطريقـة

(١) انمن عبارة عن الالاظفـاتـان جمل علم البيان عبارة عن المسائلـةـ احتجـمـ لـتـدـيـرـ مـضـافـاتـ ايـ مـدلـولـ الفـنـ الثـانـيـ علمـ البـيـانـ اوـ الفـنـ الثـانـيـ دـالـ علمـ البـيـانـ .ـ وـانـ جـمـلـ علمـ البـيـانـ عـبـارـةـ عنـ المـلـكـةـ اوـ الـاـدـرـاكـ اـحـتـجـ لـتـدـيـرـ مـضـافـاتـ آـخـرـ وـهـوـ «ـ مـتـعـلـقـ »ـ .ـ

وـقـدـ عـلـمـ المـعـانـىـ عـلـىـ عـلـمـ البـيـانـ لـسـابـقـ فـيـ عـلـمـ المـعـانـىـ وـهـوـ اـنـ مـفـادـ عـلـمـ اـلـمـعـانـىـ مـنـ مـفـادـ عـلـمـ البـيـانـ بـمـنـزـلـةـ المـرـدـ مـنـ الـمـرـكـبـ لـأـنـ رـعـاـيـةـ الـمـطـابـقـةـ لـمـقـنـقـىـ الـحـالـ الـتـيـ مـرـجـعـ عـلـمـ المـعـانـىـ مـعـتـبـرـةـ فـيـ عـلـمـ البـيـانـ مـعـ زـيـادـةـ شـيـءـ آـخـرـ هـوـ اـيـرـادـ الـمـعـنـىـ الـوـاحـدـ بـطـرـقـ مـخـلـقـةـ .ـ قـالـ اـبـنـ يـعقوـبـ :ـ وـقـيـهـ نـظـرـ لـأـنـ اـيـرـادـ الـمـعـنـىـ الـوـاحـدـ بـطـرـقـ مـنـ الـطـرـقـ الـتـيـ يـقـيـلـهـ لـأـنـ يـسـقـتـمـ الـمـطـابـقـةـ لـذـاتـهـ ،ـ فـلـاـ تـوقـفـ ،ـ بـلـ الـتـيـادـرـ اـنـ مـفـادـ البـيـانـ هـوـ الـذـىـ يـقـنـزـ مـنـ مـفـادـ المـعـانـىـ مـنـزـلـةـ الـجـزـءـ مـنـ الـكـلـ لـأـنـهـ لـلـاحـتـازـ عـنـ التـعـقـيدـ الـمـعـنـىـ الـذـىـ تـتـحـقـقـ بـهـ الـفـصـاحـةـ الـتـيـ هـيـ جـزـءـ مـنـ الـبـلـاغـةـ .ـ

وـقـدـ عـلـمـ البـيـانـ عـلـىـ الـبـدـيـعـ لـلـاحـتـاجـ إـلـيـهـ فـيـ نـسـقـ الـبـلـاغـةـ لـأـنـ يـحـتـرـزـ بـهـ عـنـ التـعـقـيدـ الـمـعـنـىـ وـهـوـ شـرـطـ فـيـ الـفـصـاحـةـ الـتـيـ هـيـ شـرـطـ فـيـ الـبـلـاغـةـ وـشـرـطـ الشـرـطـ شـرـطـ ،ـ وـالـاحـتـازـ الـذـكـرـ لـأـنـ يـقـسـرـ لـغـيـرـ الـعـربـ الـعـرـبـ الـأـبـدـيـعـ ،ـ وـالـبـدـيـعـ لـأـنـهـ يـقـلـدـ حـسـنـاـ عـرـضـيـاـ لـلـكـلـامـ الـبـلـاغـيـ مـهـوـ مـنـ تـوـابـ الـبـلـاغـةـ ،ـ وـقـالـ بـعـضـهـمـ هـوـ مـنـ تـقـيـةـ الـمـعـانـىـ ،ـ وـقـلـ مـنـ تـقـيـةـ الـبـيـانـ .ـ

هـذـاـ وـرـاجـعـ تـعـرـيفـ عـلـمـ البـيـانـ فـيـ الـمـفـاتـحـ صـ ٧٠ـ وـ ١٤٠ـ .ـ

(٢) قـوـلـهـ «ـ عـلـمـ »ـ اـيـ مـلـكـةـ يـقـنـدـرـ بـهـ عـلـىـ اـدـرـاكـتـ جـزـئـةـ ،ـ اوـ اـصـولـ وـقـوـاعـدـ مـعـارـمـةـ ،ـ وـالـسـعـدـ سـوـيـ هـنـاـ بـيـنـ مـعـنـىـ الـعـلـمـ وـقـيـهـ «ـ الـفـنـ الـأـوـلـ »ـ رـجـحـ الـمـعـنـىـ الـأـوـلـ ،ـ وـرـجـعـ الـصـوـصـيـ الـمـعـنـىـ الـثـانـيـ .ـ

وـقـوـلـهـ «ـ يـعـرـفـ بـهـ »ـ اـيـ بـرـعاـيـهـ .ـ

وـقـوـلـهـ «ـ اـيـرـادـ الـمـعـنـىـ الـوـاحـدـ »ـ اـيـ مـدـلـولـ عـلـيـهـ بـكـلـامـ مـطـابـقـ لـمـقـنـقـىـ الـحـالـ ،ـ يـأـعـتـبـرـ عـلـمـ البـيـانـ اـنـهـ هـوـ بـعـدـ اـعـتـبـارـ عـلـمـ المـعـانـىـ لـأـنـ عـلـمـ المـعـانـىـ يـعـرـفـ بـهـ اـيـرـادـ الـمـعـنـىـ بـكـلـامـ مـطـابـقـ لـمـقـنـقـىـ الـحـالـ وـعـلـمـ البـيـانـ هـوـ عـلـمـ يـعـرـفـ =

مختلفة (٣) في وضوح الدلالة عليه (٤) *

= به ابراد المعنى بكلام مطابق لمعنى الحال بطرق مختلفة ، مثلاً اذا كان المخاطب ينكرنا كون زيد مسيئاً غالباً الذي يقتضيه الحال بحسب المقام جملة مفيدة لردِّ الأكاذير سواء كان ارادتها اياه بدلة واضحة او اوضح او اخلي نحو ان زيداً لمضياف او لكنه الرماد نادراً ما اراد ذلك المعنى بدلة المطابقة كالمثال الاول من وظيفة علم المعانى وادانتها له بغيرها من وظيفة علم البيان .

(٢) اي بتراتكيب مختلفة .

ملاحظة :

عائدة سلم البيان لهم ما في الكلام العربي من المجاز والكتابية والتشبيه للوقوف على أسرار بلاغته وللتقرير على الاتيان بما يشبهها في الاسلوب . او تقول ان فائدته هي الاحتياز عن التعميد المنوى بشقيه صوره . (٤) اي عمل ذلك المعنى سواء كانت تلك الطرق من قبيل التشبيه او المجاز او الكتابة ، بان يكون بعض الطرق واضحة الدلالة وبعضها اوضح ، وانواعها خفي بالنسبة الى الاوضاع ، فلا حاجة الى تقدير كلية « وخفاليها » بعد ذلك كما فعل الخطاخي الذي قدر كلمة الخفاء . وتقييد الاختلاف بالوضوح ليخرج معرفة ابراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في اللفظ والعبارة ، اي ليخرجها عن كونها جزءاً من سمي « لم البيان والامر » المعرفة بالنسبة لمعنى واحد لا يصدق عليها الحد استقلالاً لأن المراد بالمعنى جميع المعانى الداخلية . ثم اختلاف الطريق في الوضوح كما يكون باستبار ترب المعنى المجازي وبعده من المعنى الحقيقي يكون بوضوح القرينة النصوصية وخفاليها .

واللام في المعنى الواحد للاستفارق العرق اي كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وارادته فهو عرف احد ابراد معنى قوله « زيد جواد » بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالياً بالبيان .

ثم الغرض من معرفة هذا الابراط ان يحرر المتكلم عن الخطأ في دلالة الكلام بحيث لا يورد من الكلام ما يدل على مقصوده دلالة خفية منه انتقاء المقام دلالة واضحة او وضحة عند انتقاءه دلالة خفية او اوضح منه انتقاء دلالة بتوسطة في الوضوح والخفاء او عند انتقاء المقام دلالة اوضح او اخلي .

ثم لما لم تكن كل دلالة قابلة للوضوح والخفاء بل منها ما لا يكون الا وضحا كالتوضعيه ومنها ما يقل الوضوح والخفاء كالتعليلية اراد ان يشير الى تقييم الدلالة وتعيين ما هو المقصود منها فقال « دلالة اللفظ الخ » .

وَدَلَالَةُ (٥) الْفَطْرُ اِمَا عَلَى مَا وُضِعَ لَهُ (٦) اَوْ عَلَى غَيْرِهِ ٠

وَالثَّانِي (٧) اِمَا دَأْخَلَ فِي الْاُولِ ، دُخُولُ السَّقْفِ فِي مَفْهُومِ الْبَيْتِ ،
وَالْحَيْوَانِ فِي مَفْهُومِ الْاِنْسَانِ ، اَوْ خَارِجٌ عَنْهُ خَرُوجُ الْحَائِطِ عَنْ مَفْهُومِ
السَّقْفِ ، اَوِ الصَّاحِلَةِ عَنْ مَفْهُومِ الْاِنْسَانِ ٠
وَتَسْمِيَ الْاُولِيَّ (٨) دَلَالَةً وَضَعِيفَةً (٩) وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْآخِيرَتَيْنِ (١٠)
دَلَالَةً عَقْلِيَّةً (١١) ٠

(٥) "الدلالة هي كون الشيء بحيث يلزم من العلم به العلم بشيء آخر
وال الأول الدال وال الثاني المدلول .
والدال ان كان الفطرا نادلة للفطريه والا غير للفطريه كدلالة الخطوط
والعقود والاشارات والعلامات المتصوّبة .
ثم الدلالة اللطريه اما وضعيه بان يكون للوضع مدخل فيها بان يكون
سببا تاما فيها كما في المطابقة او جزء سبب كما في التضمنية والاتزامية ،
اما غير وضعيه كدلالة اللطريه المقلالية او الفطريه الطبيعية وال الأولى
(الوضعيه) هي المقصودة بالنظر ههنا من حيث تقتسمها الى تضمنية
والاتزامية وطبقية وهذا لا ينافي ان المقصود بالذات في هذا الدين هو الدلالة
اللطريه لا الوضعيه لأن ابراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا ينافي بالوضعيه
فالراد بالدلالة السابقة في التعريف الدلالة المقلالية .

(٦) دلالة الوضعيه هي كون الفطرا بحيث يفهم منه المعنى المطلبي
او التضمني او الاتزامي عند اطلاق الفطرا من القرآن .
هذا وراجع بحث الدلالة في المفتاح من ١٤٠ و ١٤١ .
(٧) وهو دلالة الفطرا على غير ما وضع له .
(٨) وهي دلالة الفطرا على تمام ما وضع له .
(٩) لأن الواضح أنها وضع الفطرا لن تمام المعنى لا لجزئه ولا لللازم .
(١٠) اي الدلالة على الجزء والخارج .

(١١) لتوقف كل منها على امر عقلي زائد على الوضع . لأن دلالة
الفطرا على كل من الجزء والخارج أنها هي من جهة حكم العقل لا من جهة
الوضعي وحده للجزء او اللازم فلا ينافي انه من جهة العقل والوضعي بما
وانما اقتصر على العقل في بيان التضمنية لانه سبب قريب للوضع بخلاف
الوضعي ذاته سبب بعيد ، فالعقل يحكم بأن حصول الكل في الذهن
او الخارج ... وهو المعنى المطلبي — او المزوم يستلزم حصول الجزء
اللازم .

وتحتوى الأولى بدلالة المطابقة (١٣) ، والثانية بالتضمن (١٤) ،
والثالثة بدلالة الالتزام (١٥) .

= والمنطقيون يسمون الثلاثة دلالة وضعيّة باعتبار أن للوضع مدخلًا فيها
ويخصوص العقلية سواء كانت لفظية أو لا بما يقابل الوضعيّة والمطابقية
بدلالة الدخان على النار والأبدى يجعل التضمنة وضعيّة كالطابقية ويجعل
الالتزامية عقلية قال بعض البلاغيين : والظاهر أن كلا من الدلالتين الآخرين
لا يصدق عليها أنها يجاز اذ ليس اللفظ مستعملًا في غير ما وضع له العلاقة
مع قرينة .

(١٦) لمطابق وتوافق اللفظ والمعنى .

(١٧) لكون الجزء المفهم من اللفظ في ضمن المعنى الموضوع له ،
 فهو بالقياس إلى جزئه تضمنه وإنما إذا استعمل اللفظ في الجزء جازاً كان
فيه منه «ناتحة» لأن تمام ما وضع له بالوضع الثنائي المجازي ، وقال
بعضهم أن التضمن لهم الجزء من اللفظ مطلقاً سواء استعمل اللفظ فيه
أو في الكل واختاره السيد شرورة إنك إذا استعملته في الجزء فالمعلاقة
الجزئية لها زالت الجزئية ملاحظة . وهذا الخلاف جار في دلالة الالتزام
إختلافاً أنها فهم اللازم في ضمن الملزم وقيل لهم اللازم مطلقاً .

(١٨) لكون الخارج لازماً للموضوع له .

ملاحظة : التضمنة دلالة اللفظ على لازمه ما وضع له ،
والالتزام دلالة اللفظ على لازمه مسماه .

لأن قبل اذ فرضنا اللفظ مشتركاً اشتراكاً اشتراكاً بين الكل وجزئه وبين
اللازم ولازمه كل لفظ الشمس المشترك مثلاً بين الجرم والشمام وجموبيما
أى وضع لجميع بوضيع ولجزء بوضيع ولللازم بوضيع ، فإذا أطلق لفظ
شمس على المجموع مطابقة وأعتبر دلالة على الجرم تضمنها — باعتبار
الوضع للمجموع — وعلى الشمام التزاماً لا باعتبار الوضع للمجموع
بل باعتبار وضع آخر وهو وضع الشمس للجرم فقط ، فقد صدق على هذا
التضمن والالتزام أنها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له وإن كان ذلك
الصدق بالنظر لوضع آخر وهو الوضع لكل واحد منها على حده ،
وإذا أطلق على الجرم أو الشمام مطابقة صدق عليها أنها دلالة اللفظ على
جزء الموضوع له — نظراً لوضع الشمس للمجموع — أو على لازمه بالنظر
لوضعيّها للجرم وحده — وحيثناً ينافي تعرّيف كل من الدلالات الثلاث
بالدلالتين الآخرين فيكون التعرّيف غير صالح .

فالصور المذكورة أربع : وهي التضمن المطابقة بكل من التضمن =

وشرط الثالثة (١٥) اللزوم الذهني (١٦) ، أعني أن يكون حصوله

= والالتزام وانتقاد كل من التضمن والالتزام بالطابقة . وبقى صورتان :
النحوان التضمن بالالتزام وعكسه ، كان أطلق الشميس على الشعاع التزاما
بالنظر لوضمه للجزء وهذه مقد مدق عليه أنه دلالة اللون على جزء معناه
بالنظر لوضع الشميس للجذب يكفي الالتزام داخل في تعريف التضمن .
وإذا أطلق الشميس على الشعاع تضمنا بالنظر لوضع الشميس للجذب
فقد مدق عليه أنها دلالة اللون على لازم معناه بالنظر لوضع الشميس
للجزء وهذه يكفي التضمن داخل في تعريف الالتزام وبهذا تمت الصور
الست .

والجواب أن قيد الحقيقة يأخذ في تعريف الامر التي تختلف باعتبار
النسبة ، فالمطابقة هي الدلالة على تمام ما وضع له من حيث أنه تمام
ال موضوع له . والتضمن هي الدلالة على جزء ما وضع له من حيث أنه جزء
ما وضع له . والالتزام هي الدلالة على لازمه من حيث أنه لازم ما وضع له .
وكثيراً ما يتذكرون هذا القيد اعتقاداً على شهادة ذلك وانسياب الذهن إليه .

(١٥) إن الدلالة الاترائية .

(١٦) أي كون المعنى الخارجي بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع
له في الذهن حصوله فيه : اما على الفور — وذلك في اللزوم البين — او بعد
التأمل في القرآن وذلك في اللزوم الغير البين .

وليس المراد باللزوم هنا عدم اتفاق تعلم المدلول الالتزام عن تعلم
المسمى في الذهن أصلاً ، أعني اللزوم بين المعتبر عند المطبقين ، بل المراد
أعم من ذلك والا لخرج كثير من معانى الجازات والكتابات من أن تكون
مدلولات التزمية ، والمراد بذلك الكثير من معانى الجاز ما عدا الجزء واللازم
البين بالمعنى الأخى والمراد بالكثير من معانى الكتابة ما كان يقتضى إلى
مطلق التعلم في القراءى .

ثم كلام السعد يفهم أن دلالة المجاز على معناه بالالتزام ولكن قبل أنها
المطابقة وأن المراد بالوضع في تعريف الدلالات أعم من الشخصى والنوعى
حتى يدخل المجاز والمركيات .

فشرط الالتزام اللزوم الذهنى صاحبه لزوم خارجى أولاً ، غالباً
الخارجى ليس شرط ، والمراد باللزوم الذهنى ما يشمل اللزوم الغير البين
وهو ما لا يكتفى في جزم العقل به تصور اللازم واللزوم بل يحتاج ويتوقف على
وسائل لكره كثرة الرماد للكرم ، وما يشمل اللزوم البين بالمعنى الأخى
وهو ما يكتفى في جزم العقل به تصور المزوم والبين بالمعنى الاسم وهو =

حا وضع اللنظـ له في الذهن ملزوما لحصول الخارج فيه ، لثلا يلزم ترجـح أحد المتساوين على الآخر لكون نسبة (ذلك) الخارج اليـه حينـذ كـسبة سائر المعـنى الخارجـية (١٣) .

ولا يـشترطـ في هذا المـلزومـ أن يكونـ مما يـبيـنهـ العـقلـ ، بل يـكـفىـ أن يكونـ مما يـبيـنهـ اعتـقادـ المـخـاطـبـ أما لـعـرـفـ (١٤) أو لـغـيرـهـ لـمـكـانـ الـانتـقالـ حينـذـ منـ المـفـهـومـ الأـصـلـىـ إـلـىـ الـخـارـجـيـ .

وقد وـقـعـ فيـ كـلامـ بـعـضـ الـعـلـمـاءـ (١٥) ما يـشـعـرـ بالـخـلـافـ فيـ اـشـتـراـطـ المـلـزـومـ الـذـهـنـيـ (١٦) فيـ دـلـالـةـ الـالـتـراـمـ ، وـهـوـ بـدـيـعـ جـداـ ، وـاـنـ صـحـ خـلـلـ السـبـبـ فـيـهـ تـوـهـ اـنـ الـرـادـ بـالـلـزـومـ الـذـهـنـيـ الـلـزـومـ الـعـقـلـىـ ، لـمـكـانـ الـفـهـومـ بـدـونـ الـلـزـومـ الـذـهـنـيـ بـهـذـاـ الـمـنـىـ حـيـنـذـ كـماـ سـبـقـ .

ما يـجزـعـ العـقـلـ بـهـ عـنـ تـصـورـ الـلـازـمـ وـالـلـزـومـ اـمـاـ عـنـ الـمـانـاطـقـ غـالـبـ الـرـادـ بـالـلـزـومـ الـذـهـنـيـ هـنـاـ الـلـزـومـ الـبـيـنـ بـالـمـعـنىـ الـأـخـصـ وـقـيلـ الـرـادـ الـبـيـنـ مـطـلقـاـ (ـبـالـمـعـنىـ الـأـخـصـ اوـ الـأـعـمـ) .

(١٧) فـيـقـيدـ الـلـزـومـ الـذـهـنـيـ اـشـارةـ إـلـىـ أـنـهـ لاـ يـشـترـطـ الـلـزـومـ الـخـارـجـيـ لـاـ إـسـتـقـلاـلـ وـلـاـ بـنـضـمـ لـلـذـهـنـيـ — كـالـعـمـىـ فـيـهـ يـدلـ عـلـىـ الـبـصـرـ الـلـزـامـ لـاـنـهـ عـدـمـ الـبـصـرـ عـاـمـ مـاـ شـائـهـ انـ يـكـونـ بـصـيراـ بـعـنـاقـ بـيـنـهـ فـيـ الـخـارـجـ ، وـاـبـنـ الـحـاجـبـ يـنـازـعـ فـيـ اـشـتـراـطـ الـلـزـومـ الـذـهـنـيـ مـكـانـهـ اـرـادـ بـالـلـزـومـ الـذـهـنـيـ الـمـنـىـ اـشـتـراـطـهـ فـيـ دـلـالـةـ الـالـتـراـمـ الـلـزـومـ الـذـهـنـيـ الـلـزـومـ الـعـقـلـىـ ، وـهـيـ عـدـمـ اـنـكـالـكـ تـعـلـلـهـ عـنـ عـقـلـ الـمـسـمـىـ مـاـيـ الصـنـفـ بـاـ ماـ يـدلـ عـلـىـ أـنـهـ لـيـسـ الـرـادـ بـالـلـزـومـ الـذـهـنـيـ الـلـزـومـ الـذـهـنـيـ الـلـزـومـ الـذـهـنـيـ بـلـ الـرـادـ بـمـاـ يـشـملـ الـبـيـنـ وـغـيرـ الـبـيـنـ وـذـلـكـ بـقـوـهـ «ـ وـلـاـ يـشـترـطـ الـغـ »ـ .

(١٨) اـىـ بـاـنـ يـكـونـ ذـلـكـ الـلـزـومـ مـاـ يـبيـنهـ اـعـتـقادـ المـخـاطـبـ وـذـهـنـهـ يـسـبـبـ عـرـفـ عـاـمـ — اـذـ هـوـ الـمـفـهـومـ مـنـ اـلـلـلـاقـ الـعـرـفـ ، وـالـعـرـفـ الـعـاـمـ هـوـ مـاـ لـمـ يـتعـيـنـ وـأـصـمـهـ — اوـ غـيرـ الـعـرـفـ الـعـاـمـ يـعـنـيـ الـعـرـفـ الـخـاصـ كـالـشـرـعـ وـاـصـطـلـاحـ أـرـبـابـ الـمـسـنـاعـاتـ وـغـيرـ ذـلـكـ كـفـرـانـ الـأـحـوـالـ وـكـالـعـرـيفـ .

(١٩) وـهـوـ اـبـنـ الـحـاجـبـ .

(٢٠) فـيـمـنـعـ اـشـتـراـطـ الـلـزـومـ الـذـهـنـيـ وـيـعـتـبرـ الـلـزـومـ مـطـلقـاـ .

ثم ابراد المعنى الواحد على الوجه المذكور (٣) لا ينافي بالدلالة
الوضعية (٣) لأن السامع ان كان عالماً بوضع الالفاظ (٣) لم يكن
بعضها أوضح دلالة من بعض ، والا (٤) لم يكن كل واحد منها دالاً
وانما ينافي بالدلالات العقلية (٥) لجواز أن يكون للشيء لوازماً
بعضها أوضح لزوماً (٦) من بعض *

(٢١) اي بطرق مختلفة في الموضوع *

(٢٢) اي بالدلالات المطابقة *

(٢٣) اي بوضع كل واحد منها لذلك المعنى *

(٤) اي وان لم يكن عالماً بوضع جميع الالفاظ لم يكن كل واحد من
الالفاظ دالاً عليه لتوافق الفهم على العلم بالوضع ، فلا يوسف اذا بوضوح
الدلالة ولا يحالفها . مثلاً اذا قلنا « خد يشبه الورد » فالسامع ان كان
عالماً بوضع المردات والهيئة التركيبية – اي يجدلون استناد « يشبه »
إلى « الخد » ، بناءً على موضوعه – اعتقد ان يكون لكلام آخر يؤدي
هذا المعنى بطرق المطابقة دلالة اوضح او اخفى لانه اذا اقمن تمام كل لفظ
ما يرايده مثل « وجنته شائل الورد » فالسامع ان علم ووضع هذه المردات
فلا تناوت في الفهم والا لم يتحقق الفهم ، وعلى كلا التقديرتين لم يكن تناوت
في الدلالة وشواهد خفاء .

ملاحظة :

الدلالة المطابقة يتدرج فيها دلالة سائر المجازات مرحلة كانت او لا ،
لأنها دلالة النقط على تمام الموضوع له بالوضع النوعي بناءً على ان المراد
بالوضع في تعريف المطابقة اعم من الشخصي والتوعي فليست دلالة المجاز
على معناه ننسى او التزام بل مطابقة اذ المراد بالوضع في الدلالات الثلاث
اعم من الجرئي الشخصي كما في المردات والكلبي النوعي كما في المركبات
والباقيت دلالة المركبات خارجة عن الاقسام ، والمجاز موضوع براء معناه
بالنوع *

وتبين ان دلالة المجاز ليست وضعيّة اي مطابقة لان الوضع المعتبر
شخصياً او نوعياً تعيين اللفظ نفسه براء المعنى بلا واسطة ترتيبة لا تعيينه
متلائماً بارائه ملائقي الوضع ملائقاً في المجاز دلالة تضمنية او التزامية نظرها
إلى تحقق المعنى ضمناً فتكون عقلية كدلالات المركبات على موضوعها *

(٢٤) وهي التضمن والتزام *

(٢٥) المراد باللزوم ما يشمل لزوم الجزء للكل في التضمن ولزوم
اللازم للمزوم في الالتزام *

• • • • • • • • • • • • •

= فيجوز أن تختلف مراتب لزوم الأجزاء للكل في التضمن كالحيوان والجسم الثاني والجسم المطلق والجوهر التي هي أجزاء للإنسان ، وأن تختلف مراتب لزوم اللوازم — التي هي المدخل الالتزامي — لللازم في دلالة الالتزام .

وأختلاف مراتب اللزوم في الوضوح في دلالة الالتزام ظاهر فاته يجوز أن يكون لللزوم لوازم متعددة بعضها أقرب إليه من بعض وأسرع انتقالاً من ذلك الشيء إليه ، أي إلى ذلك البعض ، لقلة الوسائل فيمكن تادية اللزوم كالكلم مثلاً بالافتراض الموضوعة لهذه اللوازم المختلفة الدلالة عليه وضوها وخفاء . وكذا يجوز أن يكون للازم ملزمات — هذا إذا استعمل المفهوم اللزوم لينتقل منه إلى اللازم كما في الجاز وكما في الكتابة على مذهب المصنف — لزومه لبعضها واضح من اللزوم للبعض الآخر فيمكن تادية الازم بالافتراض الموضوعة لللزمات المختلفة وضوها وخفاء .

واما اختلاف مراتب اللزوم وضوها في التضمن فلأنه يجوز أن يكون المعنى جزءاً من شيء وجزء الجزء من شيء آخر كالجسم فهو جزء من الحيوان وجزء الجزء من الإنسان دلالة الشيء كحيوان الذي ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى واضح من دلالة الشيء كالإنسان الذي ذلك المعنى وهو الجسم جزء من جزءه ، مثلاً دلالة الحيوان على الجسم واضح من دلالة الإنسان عليه ، ودلالة الجدار على التراب واضح من دلالة البيت عليه .

وبكل الاعتراض « على أن دلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه واضح من دلالة الشيء الذي تلك المعنى جزء من جزءه على ذلك المعنى »
بان يقال : بل الأمر بالعكس دلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء من جزءه على ذلك المعنى واضح من دلالة الشيء الذي ذلك المعنى جزء منه عليه دلالة إنسان على الجسم واضح من دلالة حيوان عليه على عكس ما ذكرتم من أن دلالة حيوان عليه واضح : لأن فهم الجزء سابق على فهم الكل وما كان سابق في الفهم فهو واضح ، وتقولنا « سابق على فهم الكل » أي وحيى ذلك فهم جزء الجزء سابقًا على فهم الجزء لكنه كلا بالنسبة إلى جزء الجزء .

والجواب أن المراد بالتضمن هنا انتقال الذهن إلى الجزء — أي المراد من اللحظ على حدة لا في ضمن الكل — ومحاظته بعد فهم الكل ، وكثيراً ما يفهم الكل من غير التفات إلى الجزء كما ذكره ابن سينا في الشفاء قال : « يجوز أن يخطر النوع -- أي كالإنسان -- ببالك -- أي على سبيل

ثم النقط المراد به لازم ما وضع له (٣) *

الاجمال لا التفصيل — ولا يلتفت الذهن الى الجنس — الذي هو جزء من النوع كالحيوان .

ملاحظات :

١ — المراد بذلك لأنها من حيث أنها اللازم قد تكون واصحة كما في اللازم القرية وقد تكون خفية كما في اللازم البعيدة ، بخلاف المطابقة فإن فهم المعنى المطبق واجب قطعاً عند العلم بالوضع والقاوتوت في سرعة الحضور وبطنه أنها هو من جهة سرعة ذكر السابع الوضع وبطنه .

٢ — السبب في الوضوح في دلالة الالتزام أما كون اللزوم ذهنياً بينما تستوى فيه العقول وأما قلة الوسائل عند ضعفية كثرة الاستعمال ، والسبب في الخفاء كثرة الوسائل الموجهة لزيادة التابل لقلة الاستعمال .

٣ — المراد هنا باللازم التابع وباللزم المتبع واللام يصح كلامه لأن دلالة الالتزام مؤدية لللازم بل فقط اللزوم لا المكس . وقبل أن كلامه على مذهب السكاكي في الكتابة يان الانتقال فيها عنده من اللازم لللزم بعده المجاز .

٤ — دلالة التضمن والالتزام المراد هنا في هذا الفن لابد أن تكون مقصودة مراده أي تصد من النقط نفس الجزء أو اللازم وأما إذا اتفق أن فهما من الكل أو اللزوم فلا يكون ذلك من التضمن والالتزام المراد هنا وإنما يكون كذلك عند المانطة ملا يكون من المجاز ولا من الكتابة المبين على التضمن والالتزام هنا .

٥ — غال السعد بعد انتهاء هذه المقدمة المذكورة قبل بحث التشبيه : « هذا هو انتقام في شرح مقدمة علم البيان على ما اخترعه السكاكي وأنت خبير بما فيه من الاختصار . والأقرب أن يقال علم البيان يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكتابية ثم يشتمل بتفاصيل هذه المباحث من غير التفات إلى البحاث التي أوردها في صدر هذا الفن » .

وهو كلام جميل :

(٢٧) في هذا الكلام اشارة الى أنه لابد في المجاز والكتابية من قرينة لتعيين المراد غير أنها مانعة من ارادة المعنى الم موضوع له في المجال دون الكتابية .

وبه اشارة ايضاً الى أن دلائل الالتزام والتضمن لابد أن تكون كل منها مقصودة من النقطة ، ففي المجاز يراد بالنقط الجزء أو اللازم فقط يان

ان قامت (٣٨) قرينة على عدم اراده ما وضع له فهو مجاز والا (٣)
فهو كتابة (٣) *

ثم المجاز منه الاستعارة وهي ما تبقى على التشبيه (٣) فيتعين
التعرض له (٣) فانحصر المقصود في : التشبيه (٣) ، والجاز والكتابية .
وقدم التشبيه على المجاز لما ذكرنا من ابتكاء الاستعارة التي
هي مجاز على التشبيه *

يتوجه قرينة مانعة من اراده المعنى المطابق ، وفي الكتابة يراد اللازم
او الجزء نك مع صحة اراده المعنى المطابق تكون القرينة لا تمنع ارادته ،
فالاطلق لغظ الكل او المزدوم على كل منها وانتق ان فهم من الاول جزء
ومن الثاني لازمه غليس من الكتابة ولا من المجاز *

(٤٠) اي دلت *

(٤١) بان وجدت قرينة دالة على اراده اللازم الا أنها غير مانعة .
(٤٢) فعند المصنف الانتقال في المجاز والكتابية كلها من المزدوم الى
اللازم اذ لا دلالة للازم من حيث انه لازم على المزدوم ، الا ان اراده المعنى
الموضوع له يتبع لا بالذات جائز في الكتابة دون المجاز .
هذا وقد قدم المجاز على الكتابة لأن معنى المجاز كجزء معنى الكتابة
لان معنى المجاز هو اللازم فقط ومعنى الكتابة يجوز أن يكون هو اللازم
والمزدوم جميعاً وان كان القصد الاصلى منها الى اللازم ، والجزء يقدم
على الكل ، يقدم المجاز على الكتابة واما فلاناً « كجزء منها » لظهور
ان ليس المجاز جزء منها حقيقة فان معنى الكتابة ليس هو مجموع اللازم
والمزدوم على الجزم بل هو اللازم مع جواز اراده المزدوم ، فالجازوم فيها
انما هو اراده اللازم وما المزدوم فيجوز ان يراد وان لا يراد لا انه يراد
قطعاً *

(٤٣) وهي التصريحية التحقيقية والمكتبة على مذهب الجمهور
والتخيسيلية عند السلاطين ففي هذه الانواع شبهنا ثم بالغنا في التشبيه وادعينا
ان المشبه قد من افراد المشبه به فاستعملنا له اسمه .

(٤٤) اي للتشبيه *

(٤٥) قدم التشبيه على المجاز لانه لما كان احد اقسام المجاز
وهو الاستعارة بينما على التشبيه ناسب ذكر التشبيه قبل المجاز مطلقاً
 بينما على التشبيه ام لا .

وقدم المجاز على الكتابية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل .

التنمية

القول في التشبيه (١)

التشبيه (٢) للدلالة على مشاركة أمر (٣) لآخر (٤) في معنى (٥)
والمراد بالتشبيه هنا (٦) ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية (٧)
ولا الاستعارة بالكلامية (٨) ، ولا التجريد (٩) .

(١) ملاحظات :

١ - راجع ذكر طرق التشبيه على وجّهه يتبين أو لا يتبين عن
التشبيه في الشرح ١٧١ و ١٧٢ ج ١) ٤ وفي «نصل حسن الاستعارة »
في الشرح أيضاً .

٢ - «التشبيه الضمني» بسميه العسكري بالاستشهاد والاحتجاج
(راجع ٤٠٢ سناعتين) .

٣ - يتحقق السبكي أن التشبيه حقيقة ويرد على من يقول أنه مجاز
(راجع ٢٩٠ ج ٢ السبكي) وراجح حقيقة التشبيه أيضاً عند السبكي
(٣٩٤ ج ٣ السبكي) .

(٢) أي مطلق التشبيه وهو التشبيه اللغوي أعم من أن يكون على
وجه الاستعارة بالفعل أو بالسلوحة مثل زيد كالأسد أو غير ذلك كالتشبيه
المضمر كما في بعض صور التجريد ، يعني أن معنى التشبيه في اللغة هو
الدلالة الخ .

(٣) وهو المشبه .

(٤) وهو الشبيه به .

(٥) أي في وصف وهو الشبيه الجامع بين الطرفين المشترك بينهما .
وهذا شامل مثل «تاتل زيد عمراً» و «جاشي زيد وعمره» مما هو تشبيه
لغوي فكان الواجب أن يزيد «بالكلف وتحوها لمعناها أو تقديرها» لخارج
مثل هذا .

(٦) أي المصطلح عليه في علم البيان .

(٧) مثل رأيت اسدا يحارب الاعداء .

(٨) وهي التشبيه المضمر في النفس المداول عليه بلقط يدل عليه
عند المصنف، أو لقط المشبه المستعمل في المشبه به ادعاء عند السكاكى
أو لقط المشبه به المطوى المرموز اليه بذكر لازمه عند الجمهور مثل انشبت
ملئية افتخارها .

(٩) التجريد تسمى : ١ - أن ينزع الشيء شيء آخر مساو له في =

فدخل فيه مأيسى (١) ، تشبّهها بلا خلاف وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه ، كقولنا زيد كالأسد ، أو كالأسد بحذف زيد لقديمة ، وما يسمى تشبّهها على المختار كما سبّاتي ، وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه وكان اسم الشبه به خيراً للمتشبه أو في حكم (٢) الخبر ، كقولنا زيد أسد ، وكقوله تعالى صم بكم عمي ، أى هم (٣) ، ونحوه

= سفاته للبالغة في ذلك الشيء حتى صار بحث ينزع منه شيء آخر مساوا له في صفاتيه مثل لهم فيها دار الخلد وهذا ليس فيه مشاركة ابر لا خر حتى يحتاج إلى اخراجه .

٢ - ان ينزع المتشبه به من المتشبه للبالغة في التشبيه حتى صار المتشبه بحث يكون أصلاً ينزع منه المتشبه به مثل ثقب بزيد أسد وهذا هو المفتر عنده وخارج التجريد المذكور بناء على انه لا يسمى تشبّهها اصطلاحاً وتقبل انه تشبّه حقيقة غلا يحتاج لاخراج وهو رأي السكاكني .

هذا ثلاثة (الاستعارة التخييلية والمكتبة والتجريد) لا يسمى شيء منها تشبّهها اصطلاحاً بل هي تشبّه لغوي .

اما الاستعارة التخييلية كابيات الاظفار للبنية في المثال المذكور فليست فيها مشاركة ابر لا خر في معنى على رأي المصنف والجعور فهي عندهم حقيقة وليس لنظر الاظفار مجازاً اصلًا اذ المراد بالاظفار هبنا معناها الحقيقي والتجوز في اثنائها للتشبيه بالتخييلية بهذه مجاز قلق ولذا لم يخرجها ولما عند السكاكني تاللخور في نفس الاظفار فهي داخلة في الجنس .

فالتشبيه الاصطلاحى هو الدليل على مشاركة ابر لا خر في معنى - هو وجه الشبه ولا بد ان يكون له زيادة اختصاص بهما وقد استراحتهما فيه -

زيادة لا على وجه الاستعارة التخييلية والاستعارة بالكلية والتجريد .

(٤) اى في التشبيه الاصطلاحى .

(٥) اى من حيث اداة الاتصال وتنامي التشبيه كما في الحال والصفة والمضامين والمفعول الثاني في باب علمت وكونه بينا له .

(٦) فالمحققون على ان مثل ذلك تشبّهه بليغ لا استعارة لان الاستعارة انتها تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له - وهو المتشبه كالرجل النسجاع في رأيت اسدًا ، وعلى المستعار له انتها هو في التصريحية لا المكتبة - و يجعل الكلام خلوا عنه صالحًا لأن يراد به المقصود عنه - المتشبه به المستعار منه - والمقول اليه لولا دلالة الحال - وهي القرينة الحالية - او محوى الكلام وهي القرينة المقالية . وقولنا « لولا دلالة الحال او »

قول من يخاطب الحجاج (١) *

أسد على ، وفي الحروف نعامة
فتخاء ، تنفر من صغير الصافر
وتكلولنا رأيت زيدا بحرا *

= المحوى راجع للأول اعني اراده المقول منه فهو شرط فيه لأن القرينة
حالية او مثالية مانعة من اراده المقول عنه اعني المعنى ، الحقيق وبالحظ
انه عند عدم القرينة يحمل على المعنى الحقيقي (المقول منه) لأنه لا يراد
به المقول اليه الا بواسطة القرينة . وقيل عند عدمها يجوز حمل اللفظ
على المعنى الحقيقي والجازي . ومن حمل هذا على التشبيه المكاكى
(١٥١ مفتاح) وعبد القاهر (٢٧٧ — ٢٨٨ — أسرار البلاغة) .

هذا وقد ادعى بعضهم ان مثل زيد اسد « استعارة بناء على ان حمل
الاسد على زيد لا يصح الا بادخاله في جنس الاسد المعلوم كما في الاستعارة
وعلى هذا فلا يدخل في تعريف التشبيه ، وجوز السعد ان يكون من ياب
الاستعارة ولكن ادعى ان التشبيه ليس زيدا بل كلية وهو الرجل الشجاع .
(١٤) هو عمران بن حطان من شعراء الخوارج . فتخاء من فتح
كفرح : استرخت مفاصله ولاتت فهو افتح وهي فتخاء .

ملاحظات :

١ — التشبيه ليس يكتب — راجع رد عمران بن حطان على امراته
في ذلك في ٨٨ § ٢ كامل المبرد .

٢ — صور التشبيه كثيرة :

منها مثل : زيد كالبحر بالآداة .

ومثل : زيد بحر بحذف الاداة وجعل المشبه به خيرا عن المشبه .

ومثل بدت قمرا بحذفها وجعل المشبه به حالا من المشبه .

ومثل : فلان رجل بحر بحذفها وجعل المشبه به صفة
للتشبيه .

ومثل : وهي تمن من السحاب بحذفها وجعل المشبه به مصدرًا
حيثنا نوع التشبيه .

ومثل : ذهب الاصليل باضافة المشبه به الى المشبه .

ومثل : الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر « بتبيان المشبه به
بالتشبيه » .

٣ — التشبيه عند المبرد اربعة اضرب :

وإذا قد عرفت معنى التشبيه في الاصطلاح فاعلم (١٤) أنه مما اتفق العلاء على شرف قدره وفخامة أمره في فن البلاغة وإن تعقيب المعانى به لا سيما قسم التمثيل منه يساعد قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحًا كانت أوذماً أو افتخاراً أو غير ذلك (١٥) وإن أردت تحقيق هذا فانتظر إلى قول الباحترى :

كالبدر أفرط في العلو وضوءه للعجبة السارين جد قريب (١٦)

دان على أيدي العفة ، وشاسع عن كل ند في الندى وضرير

أو قول ابن لنك (١٧) *

إذا آخو الحسن أضحي فעה سمجا رأيت صورته من أصبح الصور

= تشبيه مفترض متجاوز كقولهم للسخى هو كالبحر وللشجاع هو كالأسد
وتشبيه مصيب كقول النابية :
نبت كاتى ساورتنى هستيله من الرقش فى انبابها السم ناقع
وتشبيه مقارب :
وتشبيه يحتاج إلى تفسير كقوله :
بس لورانى اخت جوانتنا اذ انا في الدار كاتى حمار
(١٨) — ٢٨٩ — ٢ السكابل للبرد)
(١٩) راجع من ٩٢ اسرار البلاغة .
(٢٠) راجع ٩٣ — ٩٦ من الاسرار .
(٢١) راجع البيتين في الاسرار ٩٨ و ١١٢ و ٤٧٢ ، وفي الوساطة ٢٠٥ و ٢٠٤ .
العناء جمع عانٍ وهو طالب الفضل أو الرزق . الند : المثل والنظير .
السارين : السارون ليلا . جد قريب : بالمعنى الغاية في القرب .
السمج : القبيح :
(٢٢) تتجده في الاسرار ١٠٠ .
ملاحظات :
1 — يتجلى التمثيل في مظاهرین :

أولهما : أن يجيء في اعتبار المعانى مثلاً لها لا يساها ومتكيتها في النفوس وتغيرها في الأندية كقول الله عز وجل :

وحبه كالشمس في حسن الـمـ ترنا نفر منها اذا مالت الى الضـ

= « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء مشاكرون ورجالاً سلباً لرجل هل يستويان بذلك » بعد أن ذكر الله عز وجل أمر التوحيد منها به داعياً إليه تأثيراً على المشركين سفهم وأشراكم موضحاً للدليل النير والبرهان المبين ، وكقول الشاعر :

دان على أيدي العقائد وشاسع عن كل نسق في الندى وضربي كالبدر أثره في السلو وضوءه للعصبة السارين جد قريب أو قول النبي :

يهر الجين حـولـك جـانـيه كـماـ نـفـضـتـ جـانـيهـ العـقـابـ
ثـانـيهـ : آنـ تـرـذـىـ المـعـانـىـ تـوـهـ اـبـنـاءـ ،ـ فـتـمـلـىـ فـسـورـةـ منـ الشـفـيلـ

رـائـعـةـ وـتـجـنـىـ فـيـ عـرـضـ مـنـ الـجـمـالـ الـأـبـيـ السـاحـرـ .ـ

وهذا بالنسبة للأول قليل نادر وهو مع ذلك يذكر في كتاب الله الحكم وسنة رسوله الكريم وكلام البلقاء المعجز ، ومنه قول أمـرـيـ القـيسـ :

ولـلـكـوـجـ الـبـحـرـ اـرـخـ سـدـولـهـ عـلـىـ بـاـنـوـاعـ الـهـمـوـمـ لـبـيـتـلـىـ

نـفـلـتـ لـهـ لـمـ اـتـطـنـ بـصـلـلـهـ وـارـدـ اـعـجـازـاـ وـنـسـاءـ بـكـلـلـ

لـ اـيـهـ الـلـيـلـ الطـوـلـ الـاـنـجـلـىـ بـصـبـحـ وـمـ الـاصـبـاجـ مـنـكـ بـاـشـلـ

٢ - يقع التبلي في جميع أغراض الكلام من مدح وهجاء ، ووصف ورثاء وحجاج واعتذار ، وتنبيب وافتخار ، وعظة وشكوى وهو في كل

ذلك ، وسواء وقع في اعقاب المعانى أو ظهر المعنى في صورته ابتداء يكسو

الكلام بهاء ويكتبه رواه ، يرفع من أمره ، ويضاف إلى سحره ، ويدفع إلى الاعجاب به والتأثير منه ، ويستثير مواطف السابع ، ومشاعر القارئ

وبیعث شفـقـ الـأـرـبـبـ ،ـ وـكـلـ الـأـدـبـ وـبـالـتـبـلـلـ يـشـرـفـ الـمـعـنـىـ وـبـنـبـلـ ،ـ وـبـخـمـ

المقصود وبكل ، فياخذ الكلام الحسن من أطرافه ، وينهى المجال من

أيوبه ، وبالبلاغة من توأهها ، والجلالة من متاحها .ـ

فترى التبلي في المدح أبلغ في رقعة المدح ، واظهر لشأنه ، وملأه

لليه واهز لمعظمه ، غريبه بالعطاء ، ويؤوب بخالد الثناء ، ويسير ذكره

على مر الأيام وتواли الأحتفال والأجيال .ـ

وهو في المدح أوج وآشد مما يلاحظ للشرف وأيقن للمثال .ـ

وفي انساطرة اقهر سلطاناً وألهى برهاها وأسرج بياناً ، وفي المتأخرة

أ بين للمائز وأجد للمتأخر وأدغى للذوز بقصبات الرهان وخلد الزمان .ـ

وفي الاعتذار أسل للمريرة ، وانفى للوشابة ، وابعث على الصنف

الجميل ، وادعى للعنوان النبيل .ـ

=

أو قول ابن الرومي (١٨) :

**ببذل الوعود للاخلاق سمحوا
لقدنا كالخلاف بورق للعـ**

أو قول أبي تمام (١٩) :

وإذا أراد الله نشر فضيلته
لولا اشتعال النار فيما جاورت
طويلاً أتاحت لها لسان حسود
ما كان يعرف طيب عرف العود

أو قوله أيضاً (٣) :

وطول مقام الماء في الحى مخلق
فأنت رأيت الشمس زيدت محبة
لديجاجته فاغترب يتجدد
إلى الناس أن ليست عليهم سرمد

وقس^(٤) حالك وأنت في البيت الأول ولم تنتهِ إلى الثاني ، على حالك وأنت قد انتهيت إليه ووقفت عليه ، تعلم بعد ما بين حاليك في

= وفي النهاية أهدي سبيلاً واقوم قيلاً وببلغ ارشاداً وابن المختار
في التفاصي وافتتح للرذائل في القلوب .
وفي جميع فنون الكلام للتثليل المثل الأعلى في المحرر ، والمزللة الرغبعة
في التأثير . وهل يرى على قول أبي تمام في المدح :
وإذا أراد الله تشرُّفه فليقلْ طويت آثاره لسان حسُود
سمة من المحرر لولا قوله بهذه :

شتمال النازل نيا جاورت ما كان يعرف طيب عرف العسود
١٢٨) راجعه في ٩٩ و ١٢٨ من الاسرار .
الخلاف : متن من المنصاف .

٤١) راجع هذا في الأسرار من ٩٨ .

تمكن المعنى لديك : وكذا (٣) تبعد الفرق بين أن تقول : الدنيا لا تدوم وتسكت ، وان تذكر عقيبه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من في الدنيا خيف وما في يده عارية والخيف مرتاح والعارية مؤداة » أو تشدد *

قول لبيد :

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعٌ
وَلَابِدُ يَوْمًا أَنْ تَرُدَ الْوَدَائِعَ (٤)
وَبَيْنَ أَنْ تَقُولَ : أَرَى قَوْمًا لَهُمْ مَنْظَرٌ وَلَيْسُ لَهُمْ مَخْبَرٌ ، وَتَقْطَعُ
الْكَلَامُ وَأَنْ تَتَبَعَهُ نَحْوَ قَوْلِ ابْنِ لَنْكَ (٥) :
فِي شَجَرٍ سَرُوْ مِنْهُمْ مُثْلِّ لَهُ رَوَاءٌ وَمَالَهُ ثَمَرٌ
وَانْتَظِرْ فِي جَمِيعِ ذَلِكِ إِلَى الْمَعْنَى فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ كَيْفَ يَتَرَايدُ
شَرْفُهُ عَلَيْهِ فِي الْحَالَةِ الْأُولَى .. وَذَلِكَ أَسْبَابٌ (٦) : مِنْهَا مَا يَحْصُلُ
لِلنَّفْسِ مِنَ الْأَنْسِ : بِأَخْرَاجِهَا مِنْ خَفْيِ الْجَلَى كَالْأَنْتِقَالِ مَا يَحْصُلُ
لَهَا بِالْفَكْرَةِ إِلَى مَا يَعْلَمُ بِالْفَطْرَةِ ، أَوْ بِأَخْرَاجِهَا مِمَّا لَمْ تَأْلِفْهُ إِلَى مَا أَفْتَهَهُ
كَمَا قِيلَ *

(نَقْلُ فَؤَادِكَ حِيثُ شَئْتَ مِنَ الْهَوَى) *
مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ (٧)

(٤) راجع هذا في الأسرار من ١٠١ .

(٥) ١٠٠ من الأسرار ، وهو من قصيدة لبيد في الرثاء .

(٦) هو ابو الحسن محمد بن لنك المصري . والبيت في الأسرار
من ٩٩ هنا والكلام على هذا البحث في المطول من ٣٢١ .

(٧) راجع ٢٢٧ من المصناعتين .

(٨) البيت لا ينتمي — راجعه في ١٠٢ من الأسرار ، ١٧٨ ج ٣ من
تأييin والتبيين .

أو مما تعلمك إلى ما هي به أعلم كالانتقال من المعمول إلى المحسوس فائقك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر يوم كأقصر ما يتصور ، فلا يوجد السادس له من الأنس ما يجده لنحو قولهم أيام كأباهيم القطا^(٣) وقول الشاعر :

ثلاثاً عند باب أبي نعيم بيوم مثل سالفه الذباب^(٤)

وكذلك^(٥) تقول : غلان إذا هم بالشيء لم ينزل ذاك عن ذكره وقصر خواطره على أمضاء عزمه فيه ولم يشغل عنه شيء ، فلا يصادف السادس له أرياحية ، حتى إذا قلت « إذا هم التي بين عينيه عزمه^(٦) » « امتلأت نفسه سروراً وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه . ومن الدليل^(٧)

- (٢٧) الإبهام : الأصيغ العظني جمعه أباهم ، والبيهم الذي لا يخالط ثوابه شيء سوى لونه ، قال جرير :
- ويوم كأباهام العطاءة محبب إلى مسياه غالباً لي باطله
- (٢٨) البيت في الأسرار من ١٠٨ ، والسالفة : نهاية مقدم العنق
- والمراد أنه ينطلي في قصرها وبطنه البيت :
- ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واستخفاق المزاهر
- (٢٩) راجع ذلك في ١٠٨ من الأسرار .
- (٣٠) قال سعد بن ثابت وهو شاعر أبوى :
- إذا هم التي بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العوائب جائيا
- (٣١) ١٥ ج ١ شرح الحجامة . وقال :
- إذا هم التي بين عينيه عزمه وصمم تصميم السريجي ذي الآخر
- (٣٢) ٢٧٧ ج ١ شرح الحجامة للراغمي .
- (٣٣) راجع ذلك في من ١٠٦ من الأسرار .
- ملاحظة :
- تكلم عبد التاہر في الأسرار بتفصيل على أسباب روعة التمثيل وسحره ، ويمكننا أن نوجز بيان ذلك على ضوء كلامه فيما يلى :
- يرجع سر سحر التمثيل وقوته تأثيره إلى عدة أسباب :

على أن لا يحسد من التحرير للنفس وتمكن المعنى ما ليس لغيره
أثك اذا كتبت أنت وصاحب لك يسمى في أمر على طرف نهر وأنت

١ - فالسبب الأول :

هو انس النفس بالتمثيل ، لا خراجه إليها من خفي إلى جلي ، ولرده
لها من الشيء الذي تعلمه إلى ما هي به أعلم ، كان ينفعها من المعمول إلى
المحسوس . ومن النظرى إلى الضرورى ، ولمود التمثيل بالنفس إلى
ـ تالله وتطئن إليه .

ولا ريب أن تقل النفس بالتمثيل من الأدراك العقلى ، والعلم النظري ،
إلى أدرار الحواس ، وما يعلم على وجه الطبيع والضرورة ، لا ريب في أن
في ذلك ايناداً للنفس ، وطنانة لها غيسنتر المعنى وبيت ، ويصر الشك
يفينا والخير عياناً .

وفي هذا الانس البلاعى الذى يكتسبه التمثيل نهى للريب ، وزوال
للشك ، في المعانى القريبة البعيدة التي يمكن أن يخالف فيها ، ويدعى
ابتناعها واستحالة إمكانها وجودها ، مبادى التمثيل لنفى ذلك الريب ،
وازالة هذا الشك تكون المتبني :

فإن تنسو الانسام وانت متهم فإن المسك بعض دم الغسل
وفي لنس أيضاً بيان الحال المشبه او مقدار حاله . او تغیره او
تربيته له او تشويه الجماله او ابرازه في صورة مستطرفة بدعة . او غير
ذلك من الآثار البلاعية التي ياتى لها التمثيل الواقع في عقب المعانى التي
ليس غرابة ولا نادره وليس محتاجة الى حجة وبرهان . وبهت به دعوى
وجودها وامكانها .

وذلك ان الوصف كما يحتاج الى الحجة على امكاناته فهو يحتاج الى
ما يبين مقدار حاله او يقرر حاله او يبيّنها الى غير ذلك ، فإذا جاء التمثيل
صهوراً ذلك في صورة رائعة شاهدة عرّتنا منه حقيقة المعنى ، وجواهر
المراد ، وكتن في ذلك انس للنفس وممرة للقواعد ، وإن لم تصل الى قوة
الأنس الحاصل بتقى الريب والشك .

ولا شك أن التمثيل بتقى الشك مفيد ، ولا يقل فائدته عنه أن يكون
لبنان الحال او تغیره او بيان المقدار الخ ، على أننا لو غضبنا النظر عن
ذلك كله للرواية التي يقربها التمثيل . في احداث الانس ما لها من التأثير
والمزيد .

٢ - وانسبب الثاني من اسباب سحر التمثيل هو جمعه بين المختلفين ،
وتاليه بين المتناقضين حتى ليبرزها في سلك واحد ، ترى به الشيئين
==

قرىء أن تقرر له أنه لا يحصل من شعيب على طائل ، فأدخلت

= مثليين متباهين ، ومؤلفين مختلفين ، فنرى الصورة الواحدة في الأرض والسماء ، واللقطة والماء ، والخلق والنوى ، والرقة والستى ، وهرى الحياة والموت بجموعين ، والماء والنار مفترقين والحسن والقبح متباذجين ، ولسوء والبواض متألفين .
وذلك أن مبى التمثيل على جمعه بين المختلفات ، وتاليه بين المتناقضات .

فإن التشبيهات سواء كانت عابية مشتركة أم خاصية، مبتدعة ، لا يمع بها اعداد ، ولا يكون لها مجال في نفس السابعين ، وهزة لوجودياتهم ، إلا إذا كان الشبه مطرداً بين شتتين مختلفين في الجنس .

مشتبه سالة الخلق وأربحته بسمة الورد ونضرته في قول ابن زيدون :

رغمت أخلاقكم غابتكم كابنالماء الورد عن المؤذن طبل
هو تشبيه حامي جميل ، والتبان بين طرق التشبيه ظاهر للعيان ،
وضح عند كل إنسان .

وتشبيه حالة الحبيب حين صده واعتراضه بالنفس المرند في قول شمار .

صدت نخد وحيت عن خد ثم انفتحت كالنفس المرند
كذلك حامي راع ، وبين طرق التشبيه بعد بين جلي .

وتشبيه الحد بالورد أو النفر بالاقحوانة تقوله :

يسحب تحوانة الشفر في ور د نصير من الخدوش جيسل

عاني مشترك ، وطريقه بعيدان :

وكذلك تشبيه الحبيب بالرياحين حين حيانا بها الله

ريحانة أنت في صحراء مجدة من الرياحين حيانا بها الله

عاني ، مع بعد ما بين الطرفين .

وكلما كان البیاعد بين طرق التشبيه أكثر كان الاعجاب به أكبر ، والهره لسماعه أنيل واكرم ، وذلك لأن المثير للدين من الارياح والبیاع

على التنشئة بالتشبيه شدة الراح ، والبیاع على العجب به ، والحاizer

للطرب منه ، هو رؤبة الشترين بالتشبيه متحدين مختلفين ، وظلين

متناقضين ، فتسخر الساليم روعة الحسن وفتنته وترجمه رهبة الجمال

الأدي ويعجنه ، وتنثال عليه طرائف ينتميها في موكب الحسن ، ومراح

البيان ، وقد نظر الإنسان على الاعجاب بالشيء اذا ظهر له من مكان لم

يُدك في الماء ثم قلت له « انظر هل حصل في كفى من الماء شيء »

= يمهد ظهوره منه ، ولم يأت اشارة ائمه ، فنرى الصياغة به أكثر ، والشقة بسحره اجر ، وبيان في اثارة التعب ، ومرى درة الحمد والثناء عدورنا على الشيء في مكان ليس من مواضعه ، او وجود شيء لم يوجد ولم يعرف من أصله .

وإذا كان جمع التشبيه بين المخظفين ، له هذا الاثر وذلك الخطأ ، فما اجدر التبديل بهذه الآية ، وما اقتنى بيان يوق في هذا السبيل على الغاية . او ليس التبديل هو ذروة التشبيه البلياني وستاته ، او ليس هو رب السحر والآية لا رહل يشك ادب في ان التبديل يعمل عمل السحر في تليف المباليين وجع المفترقين ، وإن له في ذلك الدفع المعلى ، والشرف الكريم . ان محاولة ايات ذلك ككتف الاحتياج للضرورات وكفى من اقتاته وابداعه انه يربك العدم وجوداً والوجود عديماً ، والستم صحة ، والصحة سقماً ، بل انه يجعل ال Wort نفسه حياة مستانفة ، ويأتي للشيء الواحد ينتظر عدة وأشباء جلى .

ولا يبعد بدوى التبديل الا بهذه الصنعة الساحرة ، والفتنة الباهرة ، وتقرير التشبيه بين الاشياء المخلطة المثابة ، فان الاشياء المشتركة في الجنس المتفقة في النوع تستنقى بثبوت الشبيه بينها وقيام الاتفاق فيها عن التنصب في ايجاب ذلك لها والتعم في تشبيه فيها .

٣ - ولسبب الثالث من اسباب سحر التبديل :

هو أن المعنى اذا كان مثلاً لا يجيء في الذهن الا بعد ان يحوج المرء الى طلبه بالذاكرة ، وتحريك الخاطر له ، وبذل الجهد في تشداته . وكل ما قبل بعد الطلب له ، والاشتياق اليه ومعاناة الحنين نحوه ، كان نبله احلى ، وفضله اجل ، وموقعه في النفس الطلب ، والقلب به اهيم واسف .

وهذا انتزاع من المعانى كالسبيل المتنبع ، لا يربك جماله حتى يستأنف عليه ، وسفن مراقل الفكر اليه ، وما كل ذكر بهتدى الى مقاننه ، ويكشف عن حاسنه ، كما انه ليس كل نكر يمكنه ان يتندمه ويبتكره ، وبصوفه وبنائه ، ويقرب هذا البعيد ، ويائى في ذلك بالمستطرف الجديد . واتنا هى منفعة تستندعى جودة الفريحة وحضور البهجة ودقة الفكر واطف النظر ، واعمال الحيل ، والحقق فى عقد اعناق المتباليات فى قرن ، وجمع اشتات المتناقضات فى وطن .

وهل بتسمى لكل انسان ان يأخذ الشبيه للشيء بما يخالفه فى الجنس ، او ببيانه فى الظاهر ؟ =

فكل ذلك أنت في أمرك » كان لذلك ضرب من التأثير في النفس وتمكن في القلب ، زائد على القول المجرد .. ومنها (٣) الاستطراف كما سيأتي .

ومن (٣) فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشيء الواحد بأشباه عدة ، نحو أن يعطيك من الزند بغيرائه (٤) شبه الجود والذكي ، والتوجه في الأمور ، وباصلاذه شبه البخيل والبليد والخيبة في السمع ، ومن القفر الكمال عن النقصان ، كما قال أبو تمام (٥) :

لهفى على تلك الشواهد فيما لو أهلت حتى تصير شمائلا
لقد سكوتها حجي وصباها حلما و تلك الاريحية نائلا
ولا يعقب النجم المرذ بديمة ولعاد ذاك الحال جودا وباءا
ان الهلال اذا رأيت نموه أتيقت ان سيسير بدر اكمالا (٦)

ـ وبحسب دقة الملك ، وملف الذهب ، واستخراج الشبه من هذه الخلافات ، وتاليق هذه المبابيات ، يعين نافذة تسريح في مسارب الفكر ومسارح الخاطر وتحضر ما يستحضر العقل ، وتعلق به الرؤية ، لا بما تناهى الرؤية ، وتتنال منه الآذان والاسرار .
ويحجب الاجندة في اصابة الشبه الصحيح المعمول بين المبابيات ، وفي الملامعة وتاليق بين هذه المخالفات ، مع السهولة لا التكاليف والاستثناء .

بحسب ذلك استحق الممثل المجيد المدح واستوجب التقويم .

(٢٢) اي من الاسباب في سحر التشبيه وببلغ اثره في النفس .

(٢٣) راجع ١١٤ و ١١٥ من الاسرار .

(٢٤) اي اذا اورد ، وباصلاذه اي اذا اصلد .

(٢٥) راجع الابيات في ١١٥ من الاسرار ، ٢٠٠ صناعتين ، وهما في ابن لعید الله بن طاهر ماتا في يوم واحد (٢٦٧/٢) الكامل للبرد ، ١/٢٧٩ زهر الاداب .

(٢٦) الحج : العقل . وكذلك الحلم . الاريحة صفة يرتاح الانسان معها الى الجود والخير . الثالث الغطاء . المرذ اسم فاعل من ارد والرذاذ المطر الخيف . الديبة : مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق . الطل : المطر الشعيف . انجود : الماء الغزير . الوابل : المطر الشديد .

والنحسان عن الكمال كقول أبي العلاء المعري :
وان كنت تبني العيش شابخ توسطاً فعند التناهى يقص المطابول
توقى البدر النحس وهي أهلة ويدركها النحسان وهي كواهل
وتنقشع (٣) من حالتي كماله ونقشه فروع لطيفة ، كقول
ابن باك في الأستاذ أبي على ، وقد استوزره ، وأبا العباس الصبي
فخر الدولة بعد وفاة ابن عباد :
وأعرت ثوب الملك شطر نواله والبدر في شطر المسافة يكمل (٤)
وقول أبي بكر الخوارزمي (٥) :

أراك اذا أيسرت خيمت عندنا مقينا وان أغسرت قمت لساما
فما أنت الا البدر ان قل خسورة أغب وان زاد الضياء أقاما
المعنى لطيف وان لم تساعدك العبارة على ما يجب ، لأن الأغيب
أن يتخلل بين وقتى الحضور وقت يخلو منه ، فانما يصلح لأن يراد أن
القمر اذا نقض نوره لم يحوال الطلوع في كل ليلة ، بل يظهر في بعض
الليالي دون بعض وليس الأمر كذلك لأنه على نقضاته يطلع كل ليلة
حتى تكون السرار ، كذلك ينظر الى معده وارتفاعه وقرب خسورة

(٣) راجع ذلك في ص ١١٦ من الأسرار .

(٤) الشطر النصف ، يزيد بذلك وزارته المشتركة وقبيله بنصف
اعمال الدولة لمحر الدولة مع أبي العباس الصبي ، والبيت في الأسرار
ص ١١٦ .

(٥) راجع البيتين في الأسرار من ١١٦ وهو في ١١٥ ج ٢ زهر
الآداب أيضاً ولابراهيم بن العباس المسؤول في محمد بن عبد الملك
ابن الزيات :

يعرف الا بحد ان اشرى ولا يعرف الا الذي اذا ما افترا
(١١٥ ج ٢ زهر الآداب) .

خيت : أقيمت لساماً : وقتاً بعد وقت .

وشعاعه في نحو ما مفتي من بيته (٤٣) البحترى ، والى ظهوره في كل مكان كما في قول أبي الطيب :

كالبدر من حيث التفت وجده يهدى الى عينيك نورا ثاقبا (٤٤)

أركان التشبيه

ثم النظر في أركان التشبيه ، وهي أربعة : طرافه ، ووجهه ، وأداته ، وفي الغرض منه ، وفي تقسيمه بهذه الاعتبارات +

(طرفا التشبيه) (٤٥) +

أما طرفاه فيما :

اما حسين (٤٦) كما في تشبيه الخ بالورد والقد بالرمم ، والغيل بالجبل ، في المبررات ، والصوت الضعيف بالهمس (٤٧) في المسموعات والتكمة (٤٨) بالعنبر في الشعومات ، والريق بالخمر في المذوقات ، والجاد القائم بالحرير في المقوسات (٤٩) .

(٤٠) هنا « دان على ايدي العناة وشاسع الخ » .

(٤١) راجع البيت في ١١٧ من الاسرار ، ٣٠٥ من الوساطة وفي معناء للخصوص :

انى اذا خفي الرجال وجذبني كالشمس لا تخفي بكل مكان (٤٠ ج ١ الحماية) .

(٤٢) اى المشبه والمشبه به .

(٤٣) هو الصوت الذي اخفى حتى كانه لا يخرج عن فضاء الفم .

(٤٤) ريح انف .

(٤٥) وفي اكثر ما ذكر تسامح لأن المدرك بالبصر مثلا انها هو لون الخد والورد وبالشم رائحة العنبر وبالنحو طعم الريق والخمر وباللمس ملasse الجلد انتقام والحرير ولبنهما ، لا نفس هذه الاجسام ، لكن اشتهر في العرف ان يقال ابصرت الورد وشمتت العنبر وذقت الخمر ولمست الحرير .

وهذا التفسير يبنى على مذهب الحكماء الثالثين المدرك بالحواس انها هو الاعراض وخواص الاجرام لأنوائهما ، وما على مذهب المتكلمين من ادراك الحواس للاجرام وخواصها فلا تسامح .

واما عقليان كما في تشبيه العلم بالحياة (٤٧) *

واما مختلنان والمعقول هو الشبه كما في تشبيه المنيبة بالسبع *
أو بالعكس كما في تشبيه العطر بخلق كريم (٤٨) *

والمراد بالحسى المدرك هو أو مادته باحدى الحواس الخمس (٤٩)

(٤٧) ووجه التشبيه بينهما كونهما طريقين ادراك ، فالماء ينبع من الارض كالعلم الملة التي يقتدر بها على الادارات الجزئية لا نفس الادراك ، ويقبل وجه التشبيه بينهما نفس الادراك اذ العلم نوع من الادراك والحياة مقتضية للحسى الذي هو نوع من الادراك ، وهو قول ضعيف لأن كون الحياة مقتضية للحس لا يوجب اشتراكيها في الادراك على ما هو شرط في وجه التشبيه من كونه مشتركا بين الطفرين قاتلا بها الا انه في التشبيه به اظهر ، فالحال القائم بالعلم وهو كونه ادراكا لم يتم بالحياة وانما وجد معها ، وايضا لا يخفى ان ليس المقصود من قولنا العلم كالحياة ان العلم ادراك كما ان الحياة معها ادراك بل ليس في ذلك كثير مائدة كما في قولنا العلم كالحس في كون كل منها ادراك غالبا متعلق الادراك ، وانما المقصود ان العلم كالحياة في ان كلا سبب في الادراك . قال ابن يعقوب : الحق أن الوجه بين العلم والحياة هو حصول الاشار المطلوبة من كل *

(٤٨) فالخلق عقل لانه كيده ننسانية يصدر بسيبها الانفعال بسمولة .
اما المنيبة في تشبيه السابق اي الموت فهو مقطى لانه عدم الموت عما من شأنه الحياة .

هذا والوجه في تشبيه المحسوس بالمعقول ان يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالأصل لذلك المحسوس على طريق المبالغة ويكون من عكس التشبيه ، والا فالمحسوس اصل للمعقول لان العلوم المعلنة مستنادة من الحواس ، تتشبيهه بالمعقول يكون جعلا للضرع اسلا والاسفل فرعا وذلك لا يجوز بدون الطريق السابق وقال ابن يعقوب : لا حاجة الى جعل تشبيه الحسى بالعقل من عكس التشبيه دائما .

(٤٩) البصر — السمع — الذوق — اللمس — الشم .

الظاهره ، فدخل فيه (٥٠) الخيالي (١) كما في قوله (٥١) .
وكان محمر الشقيق اذا تصوب او تصعد
أعلام ياقوت تشن على رماح من زبرجد (٥٢)

وقوله (٥٣) :

كأن باسط اليد نحو نيلوفر ندى
كدبليس عسجد قضبها من زبرجد

(٥٤) اي في الحسى بسبب زيادة قولنا « او مادته » — راجع ذلك
في المفتاح ص ١٤٢ .

(٥١) هو المركب المعدوم الذي غرض وتخيل مجتمعا من امور كل
واحد منها بما يدرك بالحس وجعل الخيالات من قبل المحسوسات لاشتراك
الحس والخيال في ادراك المصور وان كان الحس يدركها بسبب حضور
المادة والخيال يدركها بدون ذلك .

(٥٢) اي الصنوبرى وهو احمد بن محمد الحلبي م ٢٤٤ هـ —
وقوله : كما في قوله ، اي كالشبه به في قول الصنوبرى .

(٥٣) الشقيق ، ورد اخر في وسطه سواد ، بنيت بالجبال . تصوب :
مال الى اسفل . تندمد : مال الى اعلى .

تكل من العنم واليابتوت والرمع والزيرجد محسوس لكن المركب من
هذه الامور ليس بهحسوس لانه ليس بموجود والحس لا يدرك الا ما هو
وجوده فالشبه في انبيةت بفرد حمى والشبه به مركب خيالى فان كان بعض
المواد غير محسوس كان ذلك المركب وهيا كاتياب الاغوال فان النسب
يدرك بالحس دون الغول وسمى ذلك مركبا خياليا تكون صور اجزائه
مرتبة في الخيال ولكن المركب له القوة المخيلة وهي المكررة .

(٥٤) اي الصنوبرى — والبيتان في الاسرار ص ١٥٠ .
التنبؤر : بنيت في الماء الراقد ، واصنلله كالجزر ، وساقطة انس
قاذ . ساوي سطح الماء ازهر واورق . الدبابيس جمع ديبوس وهي عصا
في رأسها كالكرة .

المسجد الذهب :
فالشبه به هنا مركب خيالى .

والمراد (٥٥) بالعقلى ما عدا (٥٦) ذلك فدخل فيه الوهمى (٥٧)
وهو ما ليس مدركا بشئ من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو (٥٨)
أدرك لم يدرك الا بها ، كما في قوله امرىء القيس (٥٩) .
وعليه قوله تعالى : « طلعمها كأنه رؤوس الشياطين » (٦٠) .
وكذا ما يدرك بالوجودان (٦١) .

(٥٥) رابع ١٤٢ من المفتاح .
(٥٦) وهو مالا يكن هو ولا مادته مدركا بالحدى الحواس الخمس
الظاهرة .

(٥٧) اي الذى لا يكون للحس باعتبار نفسه او مادته مدخل فيه .
(٥٨) اي لو وجد في الخارج وبهذا القيد ينبع على العقلى الصرفه
كالعلم والحياة .

(٥٩) سبق شرحه في الاستئتمام ، وصدره « ايقظنى والشرق
مضاجعى » .
اي ايقظنى ذلك الرجل والحال ان مضاجعى سيف منسوب الى مشارف
البين وسهام محددة النصال صافية مجلوبة . واتيا الآخوال بما لا يدركهما
الحس لعدم وجودها في الخارج ولكنها لو وجدت لكانت مدركة بحس
البصر .

والبيت في ٩١ من الدلائل ، ٢/٧١ من الكامل ، وسبق في الإيضاح .
(٦٠) راجع شرح الآية في الكليل للمبرد ٦٩ - ٢/٧١ وهو شرح واف .
(٦١) هو القوى الباطنية . وما يدرك بها داخل في المقتلى .
ملحوظة : القوة المتخيلة او المفكرة من قوى الادراك فتسمى متخيلة
باعتبار استعمال الوهم لها وتسمى مفكرة باعتبار استعمال العقل لها ولو مع
الوهم ، فالتفسير تضليل هذه القوة على اي نظام تزيد بواسطة القوة
الواهية او العقل ، وتصرفاتها يحسب العقل قد تكون مسوانا وقد تكون
خطا اما بحسب الوهم فهي خطأ .

وهذه القوة من شأنها تركيب الصور التي في الخيال والمعانى المرتسبة
في الحافظة وتتصبلاها والتصرف فيها واحتراز اشياء لا حقيقة لها . والمراد
بخيال المدوم الذى ركيته المتخيلة من الامور التي ادركك ب بواسطة الوهم
بالحواس الظاهرة . والمراد بالوهمى ما اخترعنه المتخيلة بواسطة الوهم
على صورة المحسوس من عند نفسها كما اذا سمعت عن القول وانها شىء
مهلك كالسبعين فتختذل المتخيلة في تصويرها بصورة السبع واحتراز ناب لها
كما السبع فالحاصل ان الوهمى لا وجود لهبنته ولا لجميع مادته ، والخيالى
جميع مادته موجود دون هبنته .

كاللذة والألم (١) والشبع والجوع .

(وجه التشبيه) :

وأما وجه فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان (٢) تحقيقاً
أو تخيلياً .

والمراد (٣) بالتخيل أن لا يمكن وجوده في الشبه به إلا على
تاويل (٤) كما في قول القاضي التتوخي :

وكان النجوم بين دجاجها سنن لاح بينهن ابتداع (٥)

(٦) المراد هنا اللذة والألم الحسيان والا غالذة والألم المقليلان
من المقليلات المفرطة .

عذاراك هذين المعنيين ليس بشيء من الحواس الظاهرة وليس أيضاً
من المقليلات المفرطة لكونهما من المزارات المستندة إلى الحواس ، بل هما
من الوجادات المدركة بالقوى الباطنية كالشبع والجوع والفرح والحزن
والنضب والخوف . (٦٢) قال البرد :

اعلم ان للتشبيه حدا ، فالاشياء تتشابه من وجوه وتباين من وجوه
فإنما ينظر الى التشبيه من حيث وقع ماذا شبه الوجه بالشمس فأنما يراد
الضياء والرونق الخ (٤٧ و ٤٨ / ٢٤٨) (٦٣) قال البرد

وقوله يشترك الطرفان فيه أي قصد اشتراكمها فيه . زيد والأسد
يشتركان في كل من الذاتيات وغيرها كالحيوانية والجسمية والوجود وغير
ذلك مع أن شيئاً منها ليس وجه شبهه اذا كان القصد تشبيه زيد بالأسد
في الشجامة .

(٦٤) راجع ١٩٤ من الاسرار الى من ٢٠٤ في ذلك .

(٦٥) ناتخيل أن لا يوجد ذلك المعنى الجامع بين الطرفين في أحد
الطرفين أو في كليهما إلا على سبيل التخييل — أي فرض المخلة وجعلها
ما ليس بمحقق محققاً .

(٦٦) راجع البيت والكلام عليه في الاسرار من ١٩٦ وما بعدها وفي
المفتاح من ١٤٦ ، وهو في البديع لابن المعتز من ٧٢ شرح محمد عبد المنعم
خلاجي .

— (م ٢ — الإيضاح ٤) —

فلن وجه التشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة
بيسن في جوانب شئ، مظلم أسود^(٦٦) فهى غير موجودة في الشبه به
الا على طريق التخييل، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلال وكل ما هو
جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة، فلا يمتدى إلى الطريق
ولا يفصل الشئ من غيره فلا يأمن أن يتردى في مهواه أو يعثر على
عدو قاتل أو آفة مؤاكدة، شبّهت بالظلمة، ولزム على عكس ذاك أن
يتبّه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور، وعليهم قوله تعالى:
يخرجهم من الظلمات إلى النور، وشاع ذلك حتى وصف الصفت الأولى
بالسوداد كما في قول القائل « شاهدت سواد الكفر من جبين غلان »،
ووصف الشانىـ بالبياض كما في قوله للنبي صلى الله عليه وسلم
« أتنيتم بالحقيقة البيضاء » وذلك لتخيل أن التسنين ونحوها من
الجنس الذى هو اشراق أو ابيضاض في العين، وأن البدعة ونحوها على
خلاف ذلك، فصار تشبّه النجوم ما بين الدياجى بالتسنـ ما بين
الابتداع كتشبيه النجوم في الكلام ببياض الشيب في سواد الشباب،
وبالنوار مرتقة بين الثبات الشديد الخضراء، فالتأويل فيه أنه تخيل
ما ليس بمتلون، متلوناً ويختنق^(٦٧) وجها آخر، وهو أن يتلوـ بأنه
أراد معنى قولهـ أن سواد الظلام يزيد النجوم حسناـ فإنه لما كان
وقوف العاقل على عوار الباطل يزيد الحق نيلاـ في نفسه وحسناـ في
مرآة عقله، جعل هذا الأصلـ من المقول مثلاـ للمشاهد البصر هناك،

« والدجى الظلمة، والضمير للنجوم »

وجه التشبه الكائن في البيت تخيلـ ، غالـ الشبهـ النجومـ، يقيـدـ كونـهاـ
ظهرـتـ بينـ إجزاءـ ظـلـبةـ اللـيلـ ، والـشـبهـ بـهـ السـنـنـ المقـيـدةـ، بـكـونـهاـ لاـحتـ بينـ
الـابـتدـاعـ ، فـعـوـ تـشـبـيهـ بـغـرـدـ بـقـرـدـ منـ تـشـبـيهـ الـمحـوسـ بـالـعـقـولـ ، وـحـيـكـذـ
غـيـقـدـرـ أـنـ السـنـنـ حـسـوـسـةـ وـتـجـمـلـ كـانـهـ أـصـلـ عـلـىـ طـرـيقـ الـبـالـغـةـ اوـ يـجـعـلـ
عـنـ عـكـسـ التـشـبـيهـ .

(٦٦) وهو الظلمات .

(٦٧) راجع ٩٦ من الآسرار .

غير أنه لا يخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر لأن الظاهر أن
بمثل المعقول في ذلك بالمحسوس ، كما فعل الباحثى فى قوله (٦٨) :
وقد زادها افراط حسن جوازها . خلائق أصغار من المجد خيب
وحسن درارى الكواكب أن ترى طوالع فى داجن من الليل غيوب
ومن التشبيه التخيلى قول ابن طالب الرقى (٦٩) :

ولقد ذكرت وظلام كانه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
فانه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسمى فيقال اسود
النهار فى عينى واخلمت الدنيا على ، وكان الغزل يدعى القسوة على
من لم يعشق والقلب القاسى يوصف بالسواد توسمى ، تخيل يوم النوى
وغراد من لم يعشق شيتين لهما سواد ، وجعلهما أعرف به وأشهر من
الظلام . تشبيهه يهعا ، وكذلك قول ابن بابك (٧٠) .
وأرض كاخلاق الكرام قطعتها . وقد كحل الليل السمك فابصر
فان الاخلاق لما كانت ترصف بالسعة والضيق تشبيها لها
بالأماكن الواسعة والضيقة ، تخيل أخلاق الكرام شيئاً له سمعة ،
وجعلها أصلاً فيها فشبه الأرض الواسعة بها . وكذا قول التنوخى (٧١) .

(٦٨) راجع ذلك في الأسرار ص ٤٠٠ .
افراط مفعول ، وجوارها فاعل ، وخلاق مفعول جوار ، اصغر
جمع صفر يعني الخالي . درارى جمع درى وهو الكوكب الشاقب المخىء
كادر . غيوب : شديد السواد .

(٦٩) راجحة في ١٩٨ ، ١٩٩ من الأسرار ، ١٤٦ من المفتاح .

(٧٠) راجحة في ٢٠١ من الأسرار ، ١٤٧ من المفتاح .
السمك نعم معروف وتحمبل الليل له بظلتنه . والضمير في «فابصر»
للسمك لأن الليل اذا استدنت ظلته ازدادت كواكبه نوراً ، ويجوز ان يكون
لليل فيعني انه سار ذا بصر بالسمك .

(٧١) راجح البيت في ٤٠٠ و ٢٠١ من الأسرار ، ١٤٧ من المفتاح ،
ومن التشبيه التخيلى قول على بن بسام :

في ليلة فيها السماء مربزة سوداء مظلمة كطب الكافر

فانهض بنار الى فحم كائهما في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
فانه لما كان يقال في الحق انه متبر واضع فيستumar له صفة
الاجسام المذلة وفي الظلم خلاف ذلك ، تخليهما شيئاً لهما انارة
واظلام فشبه النار والفحش مجتمعين بهما مجتمعين ... وكذا ما كتب
به الصاحب الى القاضي ابي الحسن (٢٣) وقد اهدى له الصاحب عطر
القطر (٢٤) .

يا أيها القاضي الذي نفسى له مع قرب عهد لقاء مشتاقه
اهديت عطرا مثل طيب شنائه فكائنا أهداى له أخلاقه
فانه لما كان الثناء يشبه بالعطر ويشقق له منه ، تخيله شيئاً
له رائحة طيبة وشبه العطر به ليوهم أنه أصل في الطيب وأحق به
منه .. وكذا قول الآخر (٢٥) :

كان انتقام البدر من تحت غيمه نجاء من اليساء بعد وقوع
فانه لما رأى الخلام من شدة يشبه بخروج البدر من تحت
الغيم بانحساره قلب التشبيه ، ليرى أن صورة النجاء من اليساء
لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب أعرف من صورة انتقام البدر من تحت
شيءه .

وإذا (٢٦) علم أن وجه الشبه هو ما يشتراك فيه الطرفان (٢٧) ،

(٢٧) هو أبو الحسن الجرجاني صاحب الوساطة والرواية في الأسرار
من ٢٠٣ .

(٢٨) بضمتين أو بضم نسكون المود الذى يت弟兄 به .

(٢٩) وهو العلوى الاصفهانى الشاعر . والبيت فى الأسرار ص ٤٠٠ .
وق المفتاح ١١٧ .

انتقام البدر ، انكساره . النجاء : الغلاص . اليساء : الشدة .
القيم : السحاب .

(٣٠) راجع ٥٥ من الأسرار ، ٦ من الدلائل ، ١٤٥ من المفتاح .

(٣١) أى تحقيقاً أو تخليلاً فإذا لم يوجد فيها كذلك كان جمله وجه
شيء ناسداً .

علم فساد جمله في قول القائل : النحو في الكلام كالملح في الطعام ،
كون القليل مصلحاً والكثير مفسداً ، لأن القلة والكثرة إنما يتصور
جريانهما في الملح وذلك بأن يجعل منه في الطعام القدر المصلح أو أكثر
منه ، دون النحو ، فإنه إذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول
مثلاً فإن وجد ذلك في الكلام فقد حصل النحو فيه وانتهى الفساد عنه
ومسار منتقعاً به في فهم المراد منه ، والا لم يحصل وكان فاسداً
لا ينتفع به ، فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحاً والأعمال مفسداً
لأشراكهما في ذلك . وما يتصل بهذا ما حكى أن ابن شرف القمياني
أنشد ابن رشيق قوله :

غيري جنى وأنا العاقب فيكم
فكأني سبابة المتقدم (٣)
وقال له هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيق : سمعته
وأخذته أنت وأفسدته ، أما الأخذ فمن النابعة الذبياني حيث يقول :
خلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يائسن ذو أمة وهو طائع
لكلفتني ذنب امرئٍ وتركته كذا العربيكي غيره وهو رائع (٤)
وأما الأفساد فلان سبابة المتقدم أول شيء يتالم منه (٥) فلا يكون
المعاقب غير الجاني ، وهذا بخلاف بيت النابعة فإن المكوى من الإبل
يالم وما به عز أبنته ، وصاحب العر لا يالم جملة .
الوجه أما خارج أو غير خارج (٦) :
وهو أما غير خارج عن حقيقة الطرفين (٧) أو خارج ٠٠

(٣) البيت في المطول من ١٢٠ .

(٤) ذو أمة بالكسر : ذو استقامة . العر : الجرب : راجع : مقام .

(٥) قال السبكي : يريد أن السبابة تتألم وهي جانية ، وفيه نظر
لأن سبابة المتقدم قد لا تكون جانية لأن يكون الندم وقع على فعل ثالبي
أو فعل عضو آخر ولكن اتصال الأفعال وجعلها كالثناء الواحد سهل ذلك .

(٦) راجع ١٤٢ مفتاح ، ٧١ اسرار البلاغة .

(٧) بأن يكون تمام ماهيتيما وهو النوع أو جزء منها وهو الجنس
والتحصل عليه .

وال الأول (٤٣) اما تمام حقيقتهما كما في تشبيه انسان بانسان في كونه انسانا ، أو جزءا مما في تشبيه بعض الحيوانات العجم بالانسان في كونه حيوانا .

والثاني (٤٤) صفة اما حقيقة (٤٤) او افافية ، والحقيقة اما حسية (٤٥) وهي الكيفيات الجسمية (٤٦) ، مما يدرك بالبصر : من الاشكال والمقادير والحركات ، وما يتصل بها من الحسن والقبح وغير ذلك ، او بالسمع من الاصوات القوية والضعيفة والتي بين بين ، او بالذوق من انواع الطعام ، او بال الشم من انواع الارواحة او باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة والبسوسة والخشونة والملائمة واللين والصلابة والخفة والثقل وما يتضمن اليها (٤٧) واما عقلية (٤٨) كالكيفيات النفسية (٤٩) من الذكاء والتقيظ والمرارة والعلم والقدرة والكرم والحساء والغضب والاحرام ، وما جرى مجريا ما في الغرائز (٤٠) والاخلاق والاضافية (٤١) كازالة الحجاب في تشبيه

(٤٢) وهو غير الخارج عن حقيقة الطرفين .

(٤٣) وهو الخارج عن حقيقة الطرفين .

(٤٤) اي هيئة مشكلة في ذات متقدرة اي ثابتة فيها .

(٤٥) اي مدركة باحدى الحواس المظاهرة .

(٤٦) اي المخصصة بالاجسام .

(٤٧) اي من البلة والجحاف والزوجة والمشائكة والملائمة والكتافة وغير ذلك .

(٤٨) اي مدركة بالعقل . وينبئ ان يعلم ان تقسيم الخارج من وجه الشبيه الى حسي وعقلاني لمزيد الاهتمام به والا غير الخارج منه اي بما قد يكون حسيا وقد يكون عقليا .

(٤٩) اي المخصصة بذوات الانفس .

(٥٠) جمع غريرة وهي ملكة تصدر عنها صفات ذاتية مثل الكره والقدرة والشجاعة وغير ذلك .

(٥١) عطف على المقدرة ، ومعنى بالإضافة ما لا تكون هيئة متقدرة في ذات ، بل تكون مبنيا متعلقا بشئين .

الحججة بالشمس (٨٣) *

الوجه اما واحد او متعدد او مركب (٨٣) :

وجه النسبة اما واحد او غير واحد والواحد اما حسي او عقلي

وغير الواحد : اما بمنزلة الواحد لكنه مركبا من أمرين أو أمور

أو متعدد غير مرتب (٨٤) *

٨٢١ ناتتها ليست هيئة متقدرة في ذات الحجة والشمس ولا في ذات الحجاب وتد بطلق الحقيقة على ما يقابل الاعتباري وهو الذي لا تتحقق له الا بحسب اعتبار العقل . وهو الاعتباري الوهبي وعلى وجده في هذا الاطلاق يكون الحقيقى شاملا للإضافيات غيراد به الامر الذى له نفسه سواء كان منصناً بتجدد الخارجى أو لا فالحقيقة على هذا الاطلاق اى منه على كلها، المصنف حيث اريد بالحقيقة منه ما له وجود خارج عالم الاضافى من قبل الحقيقة على الاطلاق الثاني وغير الحقيقة على اطلاق المصنف الذى يمثل الحقيقة على ما يقابل الاضافى ف تكون الاعتبارية الوهبية غير داخلة في كلامه : لاي الاضافية وهو ظاهر . ولا في الحقيقة لانه قسم الحقيقة الى حسنه وعقيمه بدل على انه اراد بها ما كان يتحقق فى ذات الموصوف بدون اعتبار العامل سواء كانت مدركة بالحسن او بالعقل تتحقق المصنف الحسنة الى حقيقة واضافية غيره تصور .

وفي المفتاح اشارة الى ان اطلاق الحقيقة بمعنى ما يقابل الاعتباري هو اراد هنا اى في مقام تقسيم الصفة الى حقيقة وغيرها غيراد بالغير الاعتبارية الوهبية ويراد بالحقيقة ما يشمل الاعتبارية الانسانية . قال المسكاكى : الوصف العقلى منحصر بين حقيقى كالكتينات التنسانية وبين اعتبارى ونسبى كالتصاص الشيء بكونه مطلوب الوجود أو عدم عند النفس او كائنة بشيء تصورى وهى :

ملاحظة :

مثل هذه التفصيمات عديمة الجدوى وهى بحوث منطقية أكثر منها بلاغية وبعد القاهر حين يلم بشيء من ذلك يلم به المايا يسرى في حذر ورقق ولطف .

(٨٣) راجع من ١٤٣ من المفتاح .

(٨٤) لبيان ذلك يتضمن نقول :

النسبة اما مفرد او متعدد او مركب .

= ١ - فالتشبيه المفرد :

هو ما اخذ وجه الشبه فيه من شيء واحد اي امر واحد (هو الشبه به او وجه الشبه الظاهري اللازم له) والمثال خده كالورد في الخمر والماضي كالصليل في الحلاوة .

٢ - والمركب هو ما انتزع وجه الشبه فيه من مدة امور يجمع بعضها الى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبب الشبين يمزج احدهما بالآخر حتى تحدث لها صورة غير ما كان لها في حال الامداد لا سبيل الشبين جميع بینهما وتحفظ صورتهما كما في المتعدد .

وقال السعد التشبيه المركب بمنزلة الواحد - وهو ما كان وجه الشبه فيه مركيبا من متعدد تركيبا حقيقيا او اعتباريا .

اما المركب تركيبا حقيقيا فیان يكون الوجه حقيقة ملتبنة ومركبة من امورين او امور مخلطة مثل زيد كمبرو في الانسانية فالانسانية حقيقة مركبة تركيبا حقيقيا من امورين مختلطين (الحيوانية والناتمة) وانما كان التركيب

حقيقيا لأن الجزئين صارا به شبيها واحدا في الخارج .
واما المركب من متعدد تركيبا اعتباريا فیان تكون الوجه هيئة انتزاعها العقل من ملاحظة مدة امور وتلك الامور لم يصر مجموعها حقيقة واحدة يخالف التركيب الحقيقى ، فالحاصل أن المركب تركيبا اعتباريا لا حقيقة له في حد ذاته بل هو هيئة يلاحظها العقل من انتزاع امور بحيث لا يصح التشبيه الا باعتبار شملتها بمجموع الاجزاء . والمثال « كان شار النعيم الخ » فالعينة فيه (التي هي وجه الشبه) هي هو اجرام مشتركة على وجه مخصوص في جوانب شيء مظلم .

والنعمىم في المركب يجعله شابلا للتوعين (الحقيقى والاعتبارى) هو ظاهر كلام السعد ويشعر به كلام السكاكى في المتن .

ولكن صاحب المطول يرى أن المركب تركيبا حقيقيا من قبل الواحد لا من قبل ما هو منزل منزلة الواحد فعلى هذا يكون المفرد قسمين (وجه الشبه الواحد وجه الشبه المركب تركيبا حقيقيا) ويكون المركب قسمان واحدا هو المركب تركيبا اعتباريا فقط ، وهذا هو الرأى الجدير بـان يتبع .

= ٣ - والمتعدد :

هو أن يكون الكلام معقودا على تشبيه شبين بشبين مرة واحدة إلا أن أحدهما (اي أحد الشبيهين) لا يدخل الآخر في التشبيه (وجه الشبه) ، اي أن يجيء التشبيه فيه معقودا على امورين الا أنها لا يتشابهان هذا الشابك فيكون سبب الشبين جميع بینهما وتحفظ صورتهما .

« وقال المسعد المراد بالمتعدد ان ينظر الى عدة امور ويقصد اشتراك الطرفين في كل منها ليكون كل منها وجه شبه بخلاف المركب المزدوج منزلة الواحد فانه لم يقصد اشتراك الطرفين في كل من تلك الامور بل في الهيئة المتزرعة او في الحقيقة المترتبة منها ولهذا لا يوجد حذف بعضه .

ومثال المتعدد هذه الفاكهة مثل هذه الفاكهة في شكلها ولو أنها وطعمها ورائحتها .

ويلاحظ ان التشبيه المركب ادرجه بعضهم في التشبيه المفرد نيجعل المفرد والواحد او ما هو بمنزلته وغير المفرد هو المتعدد فقط .

وبعضهم ادرجه في المتعدد نيجعل الوجه اما مفرد (وهو الواحد فقط) واما غير مفرد (وهو اما بمنزلة المفرد واما متعدد) .

والحق ان المركب قسم برأسه كما يرى عبد القاهر فاقسام الوجه ثلاثة .

والخلاف لفظي على ما هو ظاهر .

والفرق بين المتعدد والمركب هي :

ا — المتعدد لم يقصد فيه مداخلة احد المشبهين او المشبهين بهما الآخر في وجه الشبه عليه اوجه شبه متعددة بمتعدد المشبهات او المشبهات بها يعكس المركب فنجد داخل احدهما الآخر في وجه الشبه مكان له وجه شبه هو هيئة متزرعة من عدة امور .

٢ — يصبح تفريق التشبيهات في المتعدد كما سبق في : كان قلوب

الطير رطبة اللح ، بخلاف المركب فإنه على نوعين :

ا — نوع منه لو نفس تركيبه لوجدت احد طرفيه يخرج عن ان يصلح تشبيها لما جاء في مقابلته مع التركيب كالبيت :

غدا والصبح تحت الليل ياد كطرف اشتبه ملقى الجلال

فإن الجلال فيه في مقابلة الليل ولو قيل كان الليل جلال لم يكن التشبيه

شبيها .

ب — نوع آخر منه يكون اذا نفس تركيبه استوى التشبيه في طرفيه الا ان الحال تتفير ومثال ذلك :

وكان اجرام النجوم لوانها درر نثرن على بساط ازرق

يشبه ابو طالب الرقى النجوم مالعات في السماء مفترقات مؤنثات في اديتها وقد مارجت زرقة لونها يباوض نورها بدر منثور على بساط ازرق بجامع

الهيئة الحاملة من تفرق اجرام متألة مستديرة صغار المقادير في مرآى العين على سطح جسم ازرق صاف الزرقة .

مقابل النجوم (في طرف التشبيه) هو الدرر في طرف التشبيه به وكذلك

مقابل السماء المفرومة من ذكر النجوم قوله بساط ازرق .

... ونحن وان صح ان يقول كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق

مع صحة التشبيه وقوبله وكونه معنادا بعد التفريق .

ولكن يمنع من هذا التفريق ضياع الحسن الذي يتضمنه التركيب

المقصود للشاعر ولا يكون مع التفارق .

وذلك ان المقصود من التشبيه ان يشبه الشاعر هيئة باخرى وبصورها

لك بصورة بديمة ولا يخفى ان التفارق وذهب بهذه الصورة وبضمير الاحسان

وما في التشبيه من روعة التركيب وسحر البيان .

٢ - التمدد لا يجب في اجزائه ترتيب خاص ولو حذف جزء منه

مع ما يقابل له لصح ذلك بعكس التركيب في ذيئك .

٣ - فائدة التشبيه المتعدد والفضيلة فيه في اختصار النقط وحسن

الترتيب فيه لا لأن في الجمع فائدة في عن التشبيه أما التشبيه المركب فخلافاته

في نفس التشبيه لأنه موضوع على أن يربك الهيئة ويوضع لك الحسر

المركيبة .

بيان ذلك ان قول الشاعر :

بدت قمراً وماست خوطَّ بَانَ وناحت عَنْبَراً ورنت غَرَالَا

للجمجم فيه بين عدة تشبيهات مكان من الفضيلة برموق وشاؤ برى فيه

سابق ويسبق لا أن حقائق التشبيه تتغير بهذا الجمع أو أن الصور التي

في طرق ، التشبيه اندماج وترتكب وتأتلف اندلاع الشكلين بضمير ان الى

شكل ثالث ، تكون قدماها كنفس البيان لا يزيد ولا ينقص في تشبيهها بالغزال

حين ترون منه العينان وكذلك كونها تفوح العبير وبأوح وجهاها كالقرن .

وليس كذلك قول الشاعر :

كان مثار النقع نوق رؤوسنا واسبابنا لسل نهاوي كواكب

فإنه شبه هيئة السيف المطلولة من أغمادها وهي تعلو وترسب

وتنهاوي وتضطرب وتتحرك بسرعة الى جهات وعلى احوال مخطلة وهي

تفرق وتوهض في أثناء النفع المظالم بعينة الكواكب في تهارها أثناء ظلام الليل
الطلالك في الهيئة الحاصلة من هو اجرام مشرقة ممعنطة. متناسبة المقدار
متفرقة في جوائب شيء مظللم . وجده الشبه مركب وكذلك المطرافان .
ولم يرد بشار تشبيه مثار النفع بالليل فاته غير مطلق ولا تشبيه السيف
بالنجمون شأنه غير مجد بل قصد تشبيه الهيئة الحاصلة من اجتماعها على
هذه الصورة بالهيئة الحاصلة من الكواكب وهي تهارى في الليل الا ان
الكواكب هي صفة للليل فلا يتصور في متبوئها الانقطاع ولو كانت الكواكب
هي صفة للليل فلا يتصور في متبوئها الانقطاع ولو كانت الكواكب مستيدة
بسانها لم يكن للكمة اتهارى افلادة ، ولقال : ليل وكواكب .
عما القصود في هذه الآيات هو بيان الهيئة ولا يجوز تفريغ التشبيهات
بأى حال .

ملاحظة :

١ — الفرق بين تشبيه المركب بالمركب والمقيد بالقييد ، هو من جهة
المعنى فحيث كان المقصود الهيئة الحاصلة من مجموعة امور فهو
تشبيه مركب بمركب لأن كل واحد من اجزاء الطرف الواحد ليس مقصودا
وان صح تشبيهه بجزء الطرف الآخر .

وحيث كان المقصود احد اجزاء الطرف الآخر ، ولكن يقيد فيه ،
وليس ذلك القيد مقصودا لذاته بل للطرف فهو مقييد بمقدار .
اما ان كان المقصود اشياء منفصلة باشیاء منفصلة ، فهو تشبيه متعدد
متعدد . والخلاصة ان :
التشبيه المفرد ما كان الشبه فيه متزعا من شيء واحد مثل جلال الشيخ
كالشمس رقة وادبه كالزهر جمالا ، وذكره كالشذى نضوعا ، فالرقة
والجمال والنضوع وجده شبه انتزع من امر واحد هو وجه الشبه
السطح المشترك المتأخذ من نفس الصفة وجنسها لا من امور متعددة :
والتشبيه المتعدد ما كان وجه الشبه فيه متزعا من امورين او من
امور متعددة لم يلاحظ امتراجها وتركبيها مثل علبة بحر زاخر ، وخلق زهر
ناضر ومثل صديق طلائع علينا مثلا كالشمس نشرق ونغرب غالبا شبيه متزعا
ما بين العلم والبحر وبين الخلق والزهر من سعة سحر وما بين زيارة
الصديق وزيارة وبين الشخصين من طلوع وقرب مجتمعنا بين تشبيهين في
جملة واحدة بدون ان يلاحظ وجه الشبه فيها .

والمركب اما حسى أو عقلى :

المتعدد اما حسى أو عقلى أو مختلف ، والحسى لا يكون طرفا
الا حسین ، لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسى شيء ، والعقلى

= والتشبيه المركب ما كان وجه الشبه فيه متنزعاً من أمرين أو عدة
أمور جمع بعضها إلى بعض واستخرج من مجموعها وجه الشبه مثلاً
قول الشاعر :

فاصبحت من ليلى الفدأة كقابض على الماء خاتته فروج الأصابع
يريد أنه قد خاب ظنه في أن يتمتع بها ويسعد بوصولها فلم يحظ منها
بطائل كما لا يحظى القابض بكله على الماء غالوجه هو الحرام مما يظن
الفوز به ويتشدّد النظر بإدراكه .

وهذا الوجه متزرع من أمور متعددة متزوجة غير متفصل بعضها عن
بعض فقد أخذ من القبض — الحاصل بالكت — متلائماً بالساده فروعى من
الرجل فعل مخصوص هو القبض وإن يكون القبوض شيئاً مخصوصاً شيئاً مخصوصاً هو
الماء ، وإن يكون القبض شيئاً مخصوصاً هو الكت ، وحصل بهذا
الامتزاج الشبه المقصود ولا يمكن أن يحصل من كل واحد من هذه الأمور
على الافتراض ، كما لا يمكن أن يقال فيه تشبيه بدون ترتيب الأول على الثاني
ودخول الثاني في الأول نقد بطلت صور التشبيه المفرد ، وحدثت صورة
جديدة استخرج منها وجه الشبه .

ومثل هذا المثال قوله تعالى « مثل الذين حيلوا التوراة ثم لم يجعلوها
كمثل الحمار الخ » . غالوجه حرمان الانتفاع باللغة نافع مع تحمل النعيم في
استصحابه وهو صورة متزرعة من أمور متعددة ممزوجاً بعضها ببعض
حيث روعى من الحمار فعل مخصوص هو الحمل ومحبوب مخصوص هو
الاسفار التي ينتفع بها لأنها اوعية العلوم ، وإن الحمار يجهل ما فيها ،
وإذا حاول الإنسان فعل كل واحد عن الآخر لم ينات وجه الشبه ، ولم يكن
لكلام هذا الجمال وذلك الاعجاز .

وبهذا يمكننا ان نحصر الفروق بين التشبيه المفرد والمتعدد والمركب
فيما ياتي باختصار بعد ان بسطنا الكلام عليه تفصيلاً فيما سبق .
1 — المركب وجه الشبه فيه متنزع من أمرين أو أمور متزوجة
بعض ، والمتعدد وجه الشبه فيه متنزع من أمور متعددة غير ملائمة ،
والفرد متنزع من شيء واحد .

طرفاه اما عقليان أو حسيان أو مختلفان ، لجواز أن يدرك بالعقل من الحسي شيء ، ولذلك يقال التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسي .

= ٢ - لا يجب في التشبيه المتعدد ترتيب مخصوص ، فيجوز في أجزائه التقديم والتأخير فلا فرق بين أن يقال هو يصفع ويذكر ، وأن يقال هو يذكر ويصفع بخلاف المركب فإنه لا يصح تغييره بتقديم جزء منه أو تأخيره مثل هو يصفع فيذكر ملا يجوز هو يذكر فيصفع واللفظ ، المعنى لأن التكرر مرتب على الصفاء فهو عكس لأنواد التبديل العكس وهو ترتيب الصفاء على التكرر .

٣ - يجوز حذف بعض أجزاء التشبيه المتعدد دون أن يتع خلل في التشبيه بخلاف المركب ، ولو حذف منه جزء لفسد المعنى وضع المفرزى ففي يصفع ثم لا يذكر لو حذفنا (ثم لا يذكر) لضاع معنى التشبيه ومغزاها ، ولو حذفنا من : (نشرها سك ووجهها دينار وبنانها عنم) جزءاً من هذه التشبيهات لما حدث شيء .

٤ - التبديل المتعدد له وجوه شبه متعددة بمتعدد أجزائه بخلاف المركب .

ملاحظات :

١ - المراد بالواحد ما يعد واحدا في المعرف لا الذي لا جزء له أصلا .

٢ - والراد بالمركب الذي يمتزلة الواحد ما كان حقيقة مركبة من أمرين أو أمور مخطلة ، وذلك كالحقيقة الإنسانية الواقعية وجه شبه في قوله زيد كمبرو في الإنسانية ، فهو مركبة تركيبة حقيقة من أمرين مختلفين وإنما كان التركيب حقيقيا لأن الجزئين سارا به شيئا في الواقع ، أو كان مركبا تركيبا انتباريا بأن يكون هيئة استحضرها العقل من ملاحظة عدة أمور لم يصر مجموعها حقيقة واحدة ، بخلاف ما في التركيب الحقيقي ، فالمركب تركيبا انتباريا لا حقيقة له في حد ذاته بل هو هيئة ملاحظة من اجتماع أمور بحيث لا يصح التشبيه إلا باعتبار تعلقها بمجموع الأجزاء كلها منتزة في قول بشوار « كان مثار النفع .. الخ » .

قال الشيخ صاحب المفتاح (١٥) :

وهيئنا نكتة لابد من التتبه لها ، وهي أن التحقيق في وجه الشبه يأتي ان يكون غير عقلى ، وذلك انه متى كان حسيا وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجودا في الطرفين ، وكل موجود فيه تعيين ، فوجوه الشبه مع الشبه متبعين ، فيمتنع أن يكون هو يعنيه موجودا مع الشبه به لامتناع حصول المحسوس المعن ههنا مع كونه يعنيه هناك . بحكم الضرورة ، وبحكم الشبيه على امتناعه ان شئت وهو استلزم اذا عدلت حمرة الخد دون حمرة الورد او بالعكس تكون الحمرة معدومة موجودة معا ، وهكذا في اخواتها ، بل يكون مثله مع الشبيه به ، لكن المثلين لا يتكونان شيئا واحدا ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت احد فيلزم أن يكون أمرا كلية ملحوظة من المثلين بتجريدهما عن التعيين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقلى ، ويمتنع أن يقال فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين في الطرفين ، فإن المثلين متشابهان ، فهمهما وجه قسميه ،

« فالركب اما حقيقة تركيبه ، واما تركيب اعتبريا ، وينبذ يشنفر لفظ المفتاح حيث قال : الوجه اما واحد او غير واحد والثاني اما ان يكون في حكم الواحد لكونه اما حقيقة ملحوظة واما اوصافا مخصوصة من مجموعها الى جهة واحدة او لا يكون في حكم الواحد (١٤٢) من المفتاح » . وفيه نظر : لأن التركيب تركيبا حقيقيا - كالحقيقة المنشية من عدة امور - من قبل الواحد لا من قبل التركيب المتزل منزلة الواحد ، غالبا كما شبق قصر التركيب من متعدد : على التركيب تركيبا اعتبريا .

٣ - المتسدد المراد به ان ينظر الى عدة امور ويقصد اشتراك الطرفين في كل واحد منها ليكون كل منها وجه الشبه بخلاف التركيب المتزل منزلة الواحد فإنه لم يقصد اشتراك الطرفين في كل من تلك الامور بل في الهيئة المنتزعة في التركيب الاعتباري او في الحقيقة المنشية منها في التركيب حقيقيا .

٤ - الوجه التركيب المتزل منزلة الواحد وان تاض ان يكون بعض اجزائه حسيا والآخر عقليا ، الا انه لما كان وجه الشبه هو المجموع التركيب وهو اما حسي فقط او عقلى فقط لم يلتفت الى تقسيمه لذلك :

فإن كان عقلياً كان المرجع في وجه التباهي العقل في المآل وإن كان حسياً استلزم أن يكون مع الملين مثلاً آخران ، وكان الكلام فيما تكالاً لهم فيما سواهما ، ويطرأ التسلل هذا لحظة ويمكن أن يقال المراد بكل منه حسياً أن تكون أفراده مدركة بالحسن ، كالسوداد ، فإن أفراده مدركة بالبصر ، وإن كان هو في نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس .

أولاً – وجه الشبه الواحد (٨١) :

الواحد الحسي (٨٢) : كالحمرة ، والخفاء ، وطيب الرائحة ، ولذة اللضم ، وبين الملايين : في تشبيه الخد بالورود ، والصوت الفسيف بالهمس ، والفكهة بالعنبر ، والزريق باللهمر ، والجلد الناعم بالحرير . كما سبق .

والواحد العقلي (٨٣) كالمراء عن المائدة في تشبيه وجود الشيء العديم الشع بعده ، وجية الباراك تشبيه العلم بالحياة ، فيما طرفة مقولان ، والجراءة في تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، ومطلق الاهتمام في تشبيه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورثي عنهم بالترجم (٨٤) ،

(٨٦) الحال أن وجه الشبه لها واحد أو مركب أو متعدد ، وكل الأقسام سبعة .

وثلاثة العقلية طرفاها لها حسبيان أو عقليان أو الشبيه حسي والشبيه به عقلني أو بالعكس . فصارت ستة عشر قسماً . ويلاحظ أن الخيالي امتد في هذا الياب لدخوله في الحسي ، والوهسي والوجوداني أحلاً لدخولهما في العقل .

(٨٧) راجع ١٤٢ من المباحث .

(٨٨) راجع ١٤٢ مفتاح .

(٨٩) راجع ١٤٢ مفتاح ، ٥٩ أسرار البلاغة .

ملاحظة :

المراد بالواحد هنا ما ليس هيئة متزعة من متعدد فيصدق على الواحد المطلق والمقييد .

فيما طرفاه محسوسان ، والهداية في تشبيه العلم بالنور ، وتحصيله ما بين الزيادة والنقصان في تشبيه العدل بالقسطاس ، فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس ، واستطلابة النفس في تشبيه العطر بخلق كريم ، وعدم الخفاء في تشبيه النجوم بالستن فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول *

قال الشيخ (٣) صاحب المفتاح : وفي أكثر هذه الأمثلة في معنى وجدتها تسامح (٤) *

ثانياً - وجه الشبه المركب :

والمركب الحسي طرفاه :

١ - أما مفردان كالهيئة الحاملة من الحمرة والشكل الكروي والمقدار المخصوص في قول ذي الرمة (٥) *

وسقط كعن الديك عاودت صاحبى أباها وهياانا لوقعها وكرا

وكالهيئة الحاملة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار

المقادير في المرأى على كيفية مخصوصة إلى مقدار مخصوص في قوله احية بن الجلاح أو قيس بن الاسل :

(٦) مفتاح ١٤٢ *

(٧) لسايتها من ثنائية التركيب كالمراء عن الفسادة واستطلابة النفس *

(٨) راجع البيت في الأسرار من ١٣٩ والمفتاح من ١٤٢ *

السقوط : النار التي تسقط من الزند ؛ عاودتهم : ثنائية عنهم .

وكان عادتهم حين يريدون استخراج النار أن يأنوا بمعدن فيمسعوا أحدهما أسفل ويسموه آتشاً ويغرسوا فيه ويجرروا فيه عوداً آخر يسمونه الآب ، امتد الزمن ولم تخرج النار ثناوية جماعتهم . الوكر : ما تودع فيه النار بعد *

وقد لاح في الصيغة الشيرية كما ترى كعنقود ملاحية حين سور١
(ب) وأما مركيان (٩٤) كالهيئة الحاصلة من هوى أجرام مستطيلة
متناسبة المدار متفرقة في جوانب شئٍ مظلم في قول بشار (٩٥) :

(٩٢) الملاхи : عنب ابيض في جبه طول . نور : تنبع نوره .
والبيت نسبة في الاسرار ليس بن الخطيء (٧٥ اسرار البلاغة)
وتبين بن الاسلب فعل مسحها « ابن قيس بن الاسلس » وفي المضليلة
من ١٣٥ تصييدة له والجاحظ يروي له ابيانا ويسميه ايضاً ابن قيس
ابن الاسلس (٢٢ ج ٢ البيان) .
والكلام على البيت وتشبيهه تجده في الاسرار من ١٤٥ و ١٦٩
وفي المفتاح من ١٤٤ .

وقوله « على كثيبة مخصوصة » اي يان لا تكون مجتمعة اجتماع
التلامس ولا هي شديدة الافتراق ، وهذا يجعله عبد القاهر نقيراً لـ
« مقدار مخصوص » اي مقدار في القرب والبعد ، وجمع بينهما صاحب
المفتاح . ويحصل ان يراد بالكتفنة الشكل المخصوص لأن الشكل من
الكيفيات والمقدار المخصوص ما اراده الشيخ من التقارب على ما ذكرنا .
(٩٤) معنى التركيب هنا في الطرفين اذا كان وجه الشيء مركيماً هو
ان تقصد الى عدة اشياء مختلفة متفرزة منها هيئة وتجعلها مشبهاً
او مشبهاً به .

فالمراد بالتركيب هنا اي في تقسيم الطرفين ما كان تركيماً اعتباراً فقط
 فهو هنا في الطرفين اخس منه فيما سبق اي في التركيب في الوجه لأن
التركيب في الوجه ما كانحقيقة ملائكة وما كان هيئة .
ولهذا صرخ السكاكي في تشبيه المركب بالتركيب يان كلّا من المشبه
والمشبه به هيئة متفرزة ، وهي لا وجود لها في الخارج .
وكذا المراد بتركيب وجه الشيء ان تعمد الى عدة اوصاف لشيء
متفرز منها هيئة .

وليس المراد بالتركيب في الطرفين والوجه ما يكون حقيقة مركبة
من اجزاء مختلفة كحقيقة زيد الحسية وهي ذاته قائمها مركبة من اجزاء
مختلفة وذلك بدليل انهم يجعلون الشيء والمشبه به في قوله زيد كالاسد
مفردين لا يركبون مع ان في « زيد » حيوانية وناظمية وتشخصاً وفي الاند
حيوانية وافتراضها يجعلون وجه الشيء في قوله زيد كمرو في الاتسائية
واحداً لا متراكلاً متراكلاً الواحد .

(٩٥) راجع الكلام على البيت في : ١٤٤ و ١٥٠ من المفتاح ،
اسرار البلاغة ، ٢٢٩ ، ٤١٣ صناعتين ، ٧٥ من الدلائل .
وشرح العسكري للبيت يدل على انه عنده تشبيه متعدد .
(م) — الايضاح ج ٤

كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه^(٣)
وكالهية الحاصلة من تفرق اجرام متلازمة مستديرة صغار
المقادير في المرأى على سطح جسم أزرق حاف الزرقة في قول أبي طالب
الرقى :

وكان اجرام النجوم لوماما درر نثرن على بساط أزرق^(٤)

(٩٦) مثار اسم يعمول من اثار التبار اذا هيجه والاضافة من
اشاشة الصفة للموصوف .
تهاوي فعل بشارع أصله تهاوي ، وصيغة المضارع تدل على
الاستمرار التجددى الذى يدل على كثرة الحركات والتساقط في جهات
كثيرة ، علواً وسفلاً وبينما وشمالاً ، والتدخل والتلاقى .
وجمل الفعل ماضيا يخل بذلك الطائف ، وان كان مصححا ايضا لأن
التهاوي يشعر بتعدها وسقوط بعضها اثر بعض ، فيؤخذ منها هينة .
وفي الاطول توجيه آخر لعدم جعل الفعل ماضيا هو ان قوله « ليل تهاوي
كواكب » يفيد وصف الليل بالخلو عن الكواكب بخلاف « ليل تهاوي كواكب »
فانه يزيد وصفه بكونه ذا كواكب تسقط تدريجيا ، وهذا هو المطابق
لوجود الليل والمناسبة للتشبيه .
وشرح عبد القاهر التشبيه في هذا البيت وسبب كونه مركبا
في من ١٧١ وما بعدها و من ١٥٢ وما بعدها من الأسرار .
والواو في وأسيافنا يمعنى « مع » وأسيافنا لهذا في حكم الصلة
لل مصدر وهي مثار النقع ، فهو معمول بمعه والصليل فيه « مثار » .
وسيأتي شرح هذا التشبيه . وقوله فوق رؤوسنا ، بروى نوق
« رؤوسهم » وهو أحسن من جهة المعنى .
هذا ولم يجعل « أسيافنا » منسوبا بكل معطوفنا على « مثار »
لأنه يتوجه انها تشبيهان مستقلان كل منها تشبيه مفرد بمفرد ، وهذا
لا يصح الحمل عليه لأنه من امكن الحمل على المركب فلا يعدل الى حمل
التشبيه على المفرد لانه ينحوت معه الدقة التركيبية المرعية في الوجه ولأن
قوله « تهاوي » صفة فهو تابع للليل فتكون الكواكب مذكورة على سبيل
التبني غير مستقلة في التشبيه باعتبار الصناعة قطعاً غير تكون مقابلتها الذي
يتوجه كونه مشبها به تبعاً لغيره ايضا .
(١٧) راجع البيت في اسرار البلاغة من ١٣٧ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٦٩ .
وق المتنابح من ١٤٤ .

(ج) واما مختلفان (٣٤) : كما في تشبيه الشاء الجبلي بحمار ايترا مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضا ، وكما مر في تشبيه الشقيق والنيلوفر *

التشبيه المركب الحسي الواقع في هيئة الحركات (٣٥) :
ومن يدعي هذا النوع – أعني المركب الحسي – ما يجيء (٣٦)
فـ الـ هـيـاـتـاـنـ تـقـعـ عـلـىـ حـرـكـةـ *
وـ يـكـونـ عـلـىـ وجـهـيـنـ (٣٧) :

_____ (٩٨) راجع ١٤٣ من المفتاح .

(٩٩) راجع ١٥٧ وما بعدها من الاسرار .

(١٠٠) اي وجه التشبيه الذي يجيء وبتحقيق في الـ هـيـاـتـاـنـ التي تـوـجـدـ وـتـقـعـ عـلـىـهاـ ايـ مـعـهاـ حـرـكـاتـ : ايـ يـكـونـ وجـهـ التـشـبـيـهـ الـهـيـاـتـ الـتـيـ تـقـعـ عـلـىـهاـ الـحـرـكـةـ مـنـ اـسـتـدـارـةـ الـحـرـكـةـ وـاسـتـقـابـيـتـهاـ وـغـيرـ ذـلـكـ مـنـ هـيـاـتـ الـحـرـكـاتـ ايـ هـيـنـةـ الـجـسـمـ الـتـيـ تـوـجـدـ مـعـهاـ مـرـكـبـةـ مـنـ وـجـودـ جـزـءـ مـعـ الـكـلـ لـانـ الـحـرـكـةـ جـزـءـ مـنـ الـهـيـنـةـ فـيـ الـوـجـهـ الـاـولـ وـهـوـ ظـاهـرـ ، وـكـذـلـكـ فـيـ الـوـجـهـ الثـانـيـ اـيـضاـ لـانـ الـهـيـنـةـ فـيـهـ مـنـتـزـعـةـ مـنـ حـرـكـاتـ غـفـلـ ، فـيـرـادـ بـالـهـيـنـةـ مـطـلـقـ الـحـرـكـاتـ وـبـالـحـرـكـةـ الـتـيـ هـيـ جـزـءـ مـنـهاـ الـحـرـكـةـ الـخـصـوصـةـ وـيـصـحـ جـعـلـ عـلـىـ بـعـدـ مـنـ ايـ الـتـقـدـيرـ تـوـجـدـ مـنـهاـ الـحـرـكـةـ وـيـكـونـ فـيـ الـكـلـامـ تـلـبـ ايـ الـتـقـدـيرـ بـعـدـ مـنـ تـوـجـدـ بـيـنـ الـحـرـكـةـ فـيـكـونـ التـقـدـيرـ مـنـ يـدـعـيـ الـمـرـكـبـ الـحـسـيـ وـجـهـ التـشـبـيـهـ الـذـيـ هـوـ هـيـنـةـ مـنـتـزـعـةـ مـنـ حـرـكـاتـ فـقـطـ اوـ مـنـ حـرـكـاتـ وـغـيرـهاـ مـنـ اـوـصـافـ الـجـسـمـ وـيـعـتـبرـ فـيـ الـهـيـنـةـ الـتـيـ تـقـعـ عـلـىـهاـ الـحـرـكـةـ الـتـرـكـيبـ باـنـ تـكـونـ مـنـتـزـعـةـ مـنـ الـحـرـكـةـ وـاـوـصـافـ الـجـسـمـ فـيـ الـاـولـ اوـ مـنـ حـرـكـاتـ مـخـلـفـةـ فـيـ الـوـجـهـ الثـانـيـ .

(١٠١) لـتـقـضـيـلـ الـكـلـامـ فـيـ هـذـاـ الـبـحـثـ تـقـوـلـ :
الـتـشـبـيـهـ الـمـرـكـبـ الـحـسـيـ الـذـيـ يـجـيـءـ فـيـ الـهـيـاـتـ الـتـيـ تـقـعـ عـلـىـهاـ الـحـرـكـةـ قـسـمانـ :
لـانـ الـهـيـنـةـ الـمـقـصـودـةـ فـيـ الـتـشـبـيـهـ اـمـاـ انـ تـقـرـنـ بـغـيرـهاـ مـنـ اـوـصـافـ الـجـسـمـ كـالـشـكـلـ وـالـلـوـنـ وـنـحـوـهـاـ ، وـاـمـاـ انـ تـجـرـدـ هـيـنـةـ الـحـرـكـةـ عـنـ كـلـ وـصـفـ غـيرـهاـ لـلـجـسـمـ حـتـىـ لاـ يـرـادـ سـواـهـ .
1 — فـالـقـسـمـ الـاـولـ وـهـوـ مـاـ اـنـتـرـتـ فـيـ هـيـنـةـ الـحـرـكـةـ الـمـقـصـودـةـ فـيـ
الـتـشـبـيـهـ بـغـيرـهاـ مـنـ اـوـصـافـ الـجـسـمـ كـتـوـلـ الشـاعـرـ :
والـشـمـسـ كـالـرـأـةـ فـيـ كـفـ الـاـشـلـ

• • • • • • • • • •

صور لك الشاعر الحركة التي تراها للشمس عند انعام النابل وائر هذه الحركة في نور الشمس مع الشكل الذي هو الاستدارة واللون الذي هو الاشراق والتالو على الجملة .

بيان ذلك أن للشمس حركة دائمة سريعة ولنورها يسبب تلك الحركة توج واضطراب حتى يرى السماع كائنه بهم بالاتساع حتى يفيس من جوانب الدائرة ثم يسود عليه مرجع عن الاتساع الذي بدا له إلى الانقباض كائنه يجتمع مع الجانب إلى الوسط ، وتشبه هيئة الشمس هذه ب الهيئة المرأة في كث الشلل اذا لا يتحمل هذا الشبه إلا بأن تكون المرأة في يد الشلل لأن حركته تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وطلق شديد ، حتى ترى المرأة لا تفتر في العين ، وبدوام الحركة وشدة التلق فيها يتضوّج نور المرأة ويقع الاضطراب والتلق ، وذلك حال الشمس يعينها عند انعام النظر والنابل في الحركة العجيبة في جرمها وضوئها .

ومما جمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة قول الشاعر :

كان في غدراته حواجب ظلت تسط

اراد ان يصور ما يسود في صفحة الماء من اشكال اكتناس الدواير صفار ثم تندى ابتدادا ينقص من انتشارها وتقوسها حتى ينتهي من التقوس الى ما يقرب من الاستواء فالشمس لهذه الصورة حسية يشبهها موجودها في الحواجب اذا امتدت لأن الحاجب كما لا يخفى تقوسا ومده ينقص من تقوسه .

٢ - والقسم الثاني : هو ما جردت فيه هيئة الحركة عن غيرها من كل وصف غيرها للجسم فيقع فيها نوع من التركيب بأن يكون للجسم حركات في جهات مختلفة ، وهناك لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة له كان يتحرك بعضه الى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل وبعضه الى قدام والآخر الى الوراء ونحو ذلك وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك ابعاض الجسم اليها اشد كان التركيب في هيئة المتحرك اكثر .

حركة الراحا والدولاب والسمم لا تركيب فيها لأن الجهة واحدة فانحدرت الحركة .

* * * * *

وحركة المصحف في قول ابن المعتز :
وكان البرق مصحف قرار ناطبياتاً مرة وانتساحاً
فيها تركيب لأنه يتحرك في أحدي الحالتين الى جهة غير التي يتحرك
ليها في الحالة الأخرى .

الخلاصة :

١ - المراد من التشبيه المركب الواقع في هيئة الحركات تشبيه هيئة حركة ب الهيئة حركة اخرى او بعبارة اخرى تشبيه احدى هيئتين كلتاها من هيئات الحركة بالاخري .

٢ - التشبيه المركب الواقع في هيئة الحركات قسمان :
(١) احدهما : ما يقرن بالحركة او غيرها من اوصاف الجسم كالشكل
واللون او الشكل فقط .

(٢) والثاني : ما جررت هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم .
بع كون هذه الحركة الواحدة حركات مختلفة ، باعتبار اختلاف الجهات
التي تتحرك ابعاض الجسم اليها .

موازنات :

١ - قال الشاعر :
والشمس كالمراة في كف الاشل

في هذا التشبيه المركب الحسى الواقع في هيئة الحركات تشبيه هيئة حركة الشعاع واضطرباته الحادث من تلك الحركة ب الهيئة المرأة في كف الاشل اي على الخصوص الذي يوجبه ارتعاش اليد ، واقتصرت هذه الهيئة المقتصدة في التشبيه بغيرها من اوصاف الجسم وهو الشكل واللون .

ومثل هذا التشبيه وان صور في غير المرأة قول الشاعر :
الشمس من مشرقتها قد بدت مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بوقحة احمرت يحول فيها ذهب ذاته
فإن البوتنقة اذا احبت طوبلا وذاب فيها الذهب أخذ يتشكل
 بشكلها في الاستدارة ويتحرك فيها بجملته تلك الحركة العجيبة كأنه يهم

بالبساط حتى يعيش من جوانبها لما في طبيعة من التعويم ثم يسود له
فيرجع إلى التقى ألا بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ولذلك
لا يقع فيه غليان على المصفة التي تكون في الماء ونحوه .
فقد شبه الشاعر صورة الشمس وهي تبرغ مشرقة من بطنها دون
أن يحيطها عنها غمام أو ضباب بصورة البوقة المحيبة وهي يضطرب فيها
ذهب ذاتب .
تصور لك هيئة الشمس وحركة شعاعها بهذه البوقة وحركة
ما فيها من ذهب ذاتب وقرن هذه الهيئة بالشكل واللون .

٢ - وقال الشاعر :
كان في غدراتها حواجب ظلت تهبط
شبة الشاعر حركة صفة الماء بحركة الحاجب اذا ظلت تهبط ،
وجمع في التشبه بين الشكل وهيئة الحركة .
ومن لطيف ما جمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة قول ابن المعتز
يصف وقوع النظر على الأرض :
بكرت نعم الأرض ثوب ثياب رحيبة محمودة الاسكاب
نثرت أوائلها حبا فكانه نقط على عجل يبتطن كتاب

٣ - وقال الشاعر :
وكان البرق مصحف قار مانطبع في مرأة وانتصاحا
شبه الشاعر هيئة حركة البرق في ظهوره وخفاته بهذه حركة المصحف
يتوجه القاريء مرأة وبطيئه أخرى ، ولم تفتر هيئة الحركة هنا بسوها
من أوصاف الجسم من شكل أو لون .
وقال الاعشى يصف السفينة في البحر وتفاوت الأمواج بها وعقد
التشبيه على تجريد هيئة الحركة .

ولطف تشبيهه وعرف ل Maher من التفصيل والتركيب قال :
تنفس السفين يجذبه كما يتزو الرياح خلاله كسرع
تنفس : ثتب . يتزو ثتب ايضا : الرياح : الفصل ، وقبل القرد :
الكرع ماء السماء .

شيه الشاعر المسفينة في انحدارها . وارتفاعها بحركات المصيل في
نزوه في الماء وقد خلاه ماته يكون له في سنه في هذه الحالة حركات
متناوله تصير لها اعضاوها في جهات مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد
على غير شرط وبحيث تقاد تدخل احدى الحركتين في الاخرى فلا يتباهي
الطرف مرتئها حتى يراء متسلا ويهوي مرة نحو الراس وآخرى نحو
الذنب وذلك اشبه شيء بحال المسفينة وهيبة حركاتها حين تندفعها
الاواج .

وقال الشاعر : يصف المصيل وهو يشب على النافقة ويعلوها ويلقى
نفسه عليها لأنها قد برقت ملا يتمكن من أن يرتفع فهو ينبع ذلك لنشرور
النسافة .

ارتفاعها كل فصيل مكرم كالحبشى يرتفق في السلم
ارتفاعها : أراد أن يعلوها ويشب عليها .

شيه الشاعر الفيصل وهو ي شب على النافقة بالحبشى وهو يصعد في
السلم ، وشيه بالحبشى في هذه الحالة المخصوصة لما يكون له عند
ارتفاعه في السلم من تصعد بعض أجزائه وتسفل بعض على اضطراب
مفرط وحق شديد .

وهذا كحركات المصيل في الماء وقد خلاه كرع في أنه اخلال في
جهات ابعاض الجسم على غير نظام مضبوط .

وقد يقع التشبيه المركب الحسى في هيئة السكون أيضاً لأن تشبيه
أحدى هيني جسم سakan في سكونه تركيب بالآخرى .

وذلك أنه كما تعتبر هيئة الحركة في التشبيه (بتزيل هيئات أجزاء
الجسم المختلفة منزلة تعدد الأجزاء في التشبيه المركب) وكذلك تعتبر هيئة
السكون على الجملة وبحسب اختلافه ، نحو هيئة المضطاجع أو الجالس
ونحو ذلك نماذج وقوع في شيء من هيئات الجسم في سكونه تركيب وتنصيل
لطف التشبيه وحسن ، كقول ابن المعز يصف سيلا :

فلمـا طـلـقاـهـ فـيـ الـبـلـادـ وـغـصـ بـهـ كـلـ وـادـ صـدىـ
تـرىـ الشـورـ فـيـ مـنـهـ طـلـياـ كـضـجـعـ ذـىـ التـاجـ فـيـ المـرـدـ

وقول المتنبي في صفة الكلب : يقعن جلوس البدوى المصطلى .

• • • • • • • • • • • • • • • •

شيه ابن المتن هيئة سكون اعضاء الثور الطاقي على متن المسيل
بضجمة ذي النساج في مرتد .

وشيء التبني هيئة سكون اعضاء الكلب ومواعدها فيها : اي في تلك
الهيئة ، ب الهيئة البدوي المصطلي ، ونال التشبيه حظه من الحسن والروعه
بها فيه من تصميم من حيث كان لكل عضو من اعضاء الكلب في اقفاله موقع
خاص وكان مجموع تلك الجهات في حكم اشكال مختلفة مؤلف فتجزئ منها
صورة خاصة .

موازنات :

قال الشاعر يصف مصلوبا :
كانه عاشق قد مد صفحته . يوم الوداع الى توديع مرتحل
او قائم من نعاس ليه لونته موافق لتمثيله من الكسل
وقال الآخر في هذا المعنى :

لم ار صفا مثل صفت الرط
نسعن منهم صلبا في الخط
من كل غال جذعه بالشط
كانه في جذعه المشط
اخوه نعاس جد في المنطلي قد خابر النسوم ولم يعط
ب الهيئة قائم من نعاس يتمطلي ويواصل تمثيله .

الشاعر الاول يشبه في البيت الثاني هيئة سكون اعضاء المصلوب
وأجاد الشاعر ولطف لكترة ما في بيته من تصميم جعلت تشبيهه غريبا
بعدعا نافذ الشبيه كانه مقطط من نعاس ، وهذا تشبيه يقرب ان يكون
عاميا قريبا من المتناول ، لانه يقع في نفس الذي يرى المصلوب ويختصر بيته
بدون عمر ومشقة تكونه (اي التشبيه) من حد الجملة .

الا ان الشاعر تصرف في هذا التشبيه تصرفا جعله خاصيا غريبا ،
بما نحصل وain في التصميم حتى اصبح التشبيه بهذا التصميم بعيد
اللكرة غريب المزاج لا يحضر الا مع قوة تأمل الفكر وذلك لانه نظر الى
المصلوب نظرة ثانية براي استقرار سكون اعضائه فطلب بذلك نظيرا في
المنطلي فعثر عليه في مواصلة القسام من النعاس لتمثيله فقال موافق ثم
طلب علة ذلك وهي قيام اللونة والكسل في القسام من النعاس فائتها .

أحدهما (١٠٣) أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون ، كما في قوله (١٠٣) :

أما الشاعر الثاني فقد شبه أيضا هيئة سكون أعضاء المصلوب بهيئة أخرى تتعار خابر النوم ولم يقطع .

وأصل هذا التشبّه أن يقول كأنه ممطط في أول نومه إلا أنه زاد في هذا التشبّه القرىب قيضاً فيه تفصيل وهو قوله « جد » فهو لهذا القيد يصلح بلغ التفصيل في البيت السابق ؟

الجواب لا ، لأن في اشتراط المواصلة في البيت السابق من المسألة ما لا يخفى وذلك لأنّه يجب أن يبالغ ويتجدد في تعبيره ثم يدع ذلك في الوقت ويعود إلى الحالة التي كان عليها في السلامة مما يدعو إلى التسديد نكأن المستفاد من قول الشاعر الثاني صورة النبطي وهنته الخاصة وزيادة معنى وهو بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، وهذا كلّه مستفاد من قول الشاعر الأول الذي لم يقف عند هذه الحدود زاد زيادة أخرى هي أحسن ما يخرج من صفة المصلوب وهي الاستمرار على البيئة والاستدامة لها ، وقول الشاعر الثاني : خابر النوم ولم يقطع . وبما واته أن برينا هذه الزيادة — من حيث يقال انه اذا اخذه النعاس فتقطّن ثم خابر النوم ثان الهيبة الحاملة له من جده في النبطي ينتهي له — فليس ببالغ بلغ قوله موافق لنيطه وتقييده من بعد باته من الكل واحتياطه قبل بيوله فيه لوته .

وشبيه بالبيت الأول في الاستفهام قوله ابن الرومي في صفة المصلوب أيضا :

كان له في الجو حبلًا يوضعه
إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

فاشترطه أن يكون بعد الحبل الذي ينتهي ذرعه حبل آخر يخرج من بوع وقياس الأول إليه كقوله « موافق لنيطه من الكل » في استفهام الشبه والتشبّه على استدامته لأنّه اذا كان لا يزال يعيش حبل لم يقبض باته ولم يرسل بده وفي ذلك يقتضي شبه المصلوب على الانصال .

(١٠٤) ١٥٧ من الأسرار .

(١٠٥) ابن المعتر . وينسب لابن التجم أيضا . وهو في المناج ايسا ص ١٤٣ .

والشمس كالمرأة في كف الأشل
لما رأيتها بدت فوق الجبل

من الهيئة الحائلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة
التصالحة ، وما يحصل من الاستدارة يسبب تلك الحركة من التموج
والاضطراب حتى يرى الشاعر كأنه يهم بأن يتبسط حتى يفيض من
جوانب الدائرة ثم يعود له فيرجع من الانبساط الذي بدأه إلى
الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب إلى الوسط ، فان الشمس اذا أحد
الانسان النظر إليها ليتبين جرمها وجدتها مؤدية لهذه الهيئة ، وكذا
المرأة اذا كانت في يد الأشل .

ومنه قول المهلبي الوزير (١٠٤) :

والشمس من مشرقها قد بدت
شرقية ليس لها حاجب

كأنها بوتقة أحmitt يقول فيها ذهب ذات (١٠٥)
فإن البوتقة اذا أحmitt وذاب فيها الذهب تشكل بشكلها في
الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بحملته تلك الحركة العجيبة ، كأنه يهم
بأن يتبسط حتى يفيض من جوانبها لـا في طبعه من النعومة ، ثم
يبدوله فيرجع إلى الانقباض ، لـا بين أجزائه من شدة الاتصال
والتلامح ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التي تكون في الماء
ونحوه مما يتخلله الهواء وكما في قول الصنوبرى (١٠٦) :

(١٠٤) ١٥٧ و ١٥٨ اسرار ، و ١٤٤ مفتاح ، و ٣٢٧ مطول .

(١٠٥) الحاجب : المانع من الاشراق . البوتقة : ما يتبسط فيها
الصانع الذهب والفضة .

(١٠٦) ١٥٨ اسرار البلاغة .

تبط : تمد على البناء للمفعول .

يصف ارضًا بالطيب وأن غدرانها تهب عليها الرياح فتبدو على
سفحاتها أشكال كأنها حواجب لها نتوس وأنداد .

كان في غدراته حواجاً ظلت تتطا
أراد ما يجد في صفحة الماء من اشكال الماء كائناً دوائر
صغار ثم تمتد امتداداً ينقص من انحنائها فينقلها من التقوس إلى
الاستواء وذلك أشبه شيء بالحواجب اذا امتدت لأن الحاجب كما
لا يخفى تقويساً ، ومده ينقص من تقويسه .

والوجه الثاني (١٧) : ان تجرد هيئة الحركة عن كل وصف للجسم
غيرها فهناك أيضاً لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم الى الجهات
مختلفة له كان يتحرك بعده الى اليمين وبعده الى الشمال وبعده الى
النحو وبعده الى السفل ، فحركة الرحى والدولاب والسمم لا تتركيب
فيها لاتحاد (١٨) الحركة ، وحركة المصحف في قول ابن المطر (١٩) :
وكان البرق مصحف قار مانطبقاً مرة وانفتحا
فيها تركيب لأنه يتحرك في الحالتين الى جهتين في كل حالة الى
جهة . وكلما كان التفاوت في الجهات التي تتحرك ابعاض الجسم اليها
أشد كان التركيب في هيئة المتحرك أكثر . ومن لطيف ذلك قول الاشعى
يصف السفينة في البحر وتقاذف الأمواج بها (٢٠) :

(١٧) اسرار .
(١٨) هذا اذا لم يلاحظ معها وصف الجسم من الاستثناء
والاستثناء وانتزاع الهيئة من المجموع والا كان وجه الشبه مركا .
(١٩) راجعه في ١٣١ و ١٣٦ و ١٥٩ اسرار .
قار : يخفف قاريء . وانفتحا اي وانفتحا مرة اخرى .
وجه الشبه هو الهيئة الحاملة من تقارن هذه الحركات المختلفة
بحسب الجهات مع تكررها ، وهذه الهيئة حسيبة في المصحف وخيالية في
البرق . تم ان الانطباق والانفتاح للسحب الذي يخرج منه البرق لأنه
ينتفع فيخرج منه البرق ثم ينطوي فليتم آخر ، وأما البرق فلا انفتاح فيه
ولا انطباق ، ويمكن ان يقال ان المراد بانفتحاه ظهوره من خلال السحب
منتشرأ ضوءه وانطباقه بانضمام اجزائه .
(٢٠) راجع ١٥٩ من الاسرار .

تقضي المسفين بجانييه كما ينزو الرياح خلاله كرع

قال الشيخ عبد القاهر (١١١) : الرياح الفضيل . والكرع : ما
السماء شبه السفينة في انحدارها وارتفاعها بحركات الفضيل في تزوه ،
فإنه يكون له حيـنة حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه في جهات مختلفة ،
ويكون هناك تنسل وتتصعد على غير ترتيب ، وبحيث يدخل أحدهما
في الآخر ، فلا يتبينه الطرف مرتفعا حتى يراه متسللا ، وذلك أشبه
ذـى بحال السفينة وهيئـة حركاتها حين تتدافعـها الأمواج ومنه قول
آخر (١١٢) :

حفت بسر وكالقيـان ولحقـت خضرـ الحرـيرـ على قـوـامـ مـعـتـدلـ
فكـانـهاـ والـرـيـاحـ جـاءـ يـمـيلـهاـ تـبـغـيـ التـعـانـقـ ثـمـ يـمـنـعـهاـ الخـجلـ (١١٣)

فـانـ فـيـهـ تـفصـيلاـ دـقـيقـاـ ، وـذـلـكـ آـنـ رـاعـيـ الـحرـكـتـينـ حرـكـةـ التـهيـؤـ
لـلدـلـوـ وـالـعـنـاقـ ، وـحـرـكـةـ الرـجـوعـ إـلـىـ أـصـلـ الـاـفـتـرـاقـ ، وـأـدـىـ مـاـ يـكـونـ
فـيـ الثـانـيـةـ مـنـ سـرـعـةـ زـائـدـةـ تـاذـيـةـ لـطـيـقـةـ لـأـنـ حـرـكـةـ الشـجـرـةـ المـتـنـدـلـةـ فـ
حـالـ رـجـوعـهـ إـلـىـ اـعـنـدـهـ أـسـرـعـ لـأـمـالـةـ مـنـ حـرـكـتـهـ فـيـ حـالـ خـرـوجـهـ
عـنـ مـكـانـهـ مـنـ الـاعـدـالـ ، وـذـلـكـ حـرـكـةـ مـنـ يـدـرـكـهـ الخـجلـ فـيـتـدعـ أـسـرـعـ
مـنـ حـرـكـةـ مـنـ يـهـمـ بـالـدـنـوـ لـأـنـ اـزـعـاجـ الـخـوفـ أـقـوىـ أـبـداـ مـنـ اـزـعـاجـ
الـرـجـاءـ . . . وـمـاـ مـذـهـبـهـ السـهـلـ الـمـتـنـعـ مـنـ هـذـاـ الضـربـ قـولـ اـمـرـىـ
الـقـيسـ .

(١١١) ١٥٩ — ١٦٠ من الاسرار .

تقضي : شبـ جـانـيـهـ : اـيـ جـانـيـ المـوجـ اوـ الشـاطـئـ .

(١١٢) هنا لابن المعتز ويوجـدانـ في ٨٢ـ منـ الاسـرـارـ وـيـسـيـانـ لـلـاخـيـطـ الـاهـواـزـيـ .

(١١٣) الضمير في (حفت) للرياضـ . القـيـانـ : الجـوارـيـ وهـنـ يـشـهـنـ
فـيـ قـدـودـهـنـ بـالـسـرـوـ وـقـدـ يـشـهـيـ السـرـوـ بـهـنـ غـيـرـ جـعلـ الفـرعـ أـمـلاـكـ هـنـاـ .
لـحـتـ خـضرـ الـحـرـيرـ اـيـ اـنـخـذـتـ ذـلـكـ لـحـانـاـ .

مكر مفر مقبل مدبر معا
كجملود صخر حطه السيل من عل (١٤)

يقول ان هذا الفرس لفطر ما فيه من لين الرأس وسرعة الانحراف ، ترى كفله في الحال التي ترى فيها لببه ، فهو كجل Mood صخر دفعه السيل من مكان عال ، فان الحجر بطبعه يطلب جهة السفل ، لأنها مركزه ، فكيف اذا أعناته قوة دفع السيل من عل ، فهو لسرعة تقلبه يرى أحد رجليه حين يرى الآخر .

التركيب في هيئة السكون (١٥) :

وكما يقع التركيب في هيئة الحركة قد يقع في هيئة السكون (١٦)
فمن لطيف ذلك قول أبي الطيب في صفة الكلب (١٧) :

يقعى جلوس البدوى المصطلى باربع مجدولة لم تجدل
انما لطف من حيث كان لكل عضو من الكلب فى اقعاده موقع (١٨)
خاص وللمجموع (١٩) صورة مؤلفة من تلك الواقع ومنه البيت الثانى

(١٤) البيت في الكتاب لسيبوه ص ٣٠٩ ج ١ — مكر : مقبل .
مفر : مدبر .

(١٥) راجع ١٦٢ من الاسرار .

(١٦) اي قد يتحقق فيها من تحقق الكل في جزئيه .

(١٧) راجعه في الاسرار ص ١٦٢ .

يتعنى : اي بجلس على بيته . المصطلح من اصطلاح بالفار . واربع هي يديه ورجليه . مجدولة : اي محكمة الخلق . لم تجدل اي لم تجمع كما يكون في غير صورة الاقعاء من جمل النسر .
والغرض من التشبيه مدح الكلب بشدة الحراسة لأن جلوسه على هذه الحال في الغالب يكون وقت الحراسة .

(١٨) اي وقوع وسكنون .

(١٩) اي مجموع اعضائه .

من قول الآخر في صفة مصلوب (١٢٠) *

وكانه عاشق قد مد صحفته يوم الوداع إلى توديع مرتحل
أو قائم من نعـ اس فيه لوتـه مواصل لتمطيـه من الكـل (١٢١)

والتفصيل فيه أنه شبهـ بالمتـطـيـ اذا واصل تمـطـيـه ، مع التـعرض
لـسيـبـهـ وـهـوـ اللـوـثـةـ وـالـكـلـ فـيـهـ ، فـنـظـرـ إـلـىـ هـذـهـ الجـهـاتـ الـثـلـاثـ ،
ولـوـ اـفـتـصـرـ عـلـىـ أـنـهـ كـاـلـتـمـطـيـ كـانـ قـرـيـبـ التـنـاـولـ ، لـأـنـ هـذـاـ الـقـدـرـ يـقـعـ
فـيـ نـفـسـ الرـائـيـ لـلـمـصـلـوبـ اـبـنـداءـ ، لـأـنـهـ مـنـ بـابـ الـجـمـلةـ *

وشبيـهـ بـهـذـاـ القـوـلـ قـوـلـ الآـخـرـ (١٢٢) :

لم أـرـ حـسـفاـ مـثـلـ صـفـ الزـطـ تـسـعـينـ مـنـهـمـ صـلـبـواـ فـيـ خـطـ
مـنـ كـلـ عـالـ جـذـعـهـ بـالـشـطـ كـانـهـ فـيـ جـذـعـهـ المـشـطـ
أـخـوـ نـعـاسـ جـدـ فـيـ النـطـيـ قدـ خـامـرـ النـسـوـمـ وـلـمـ يـغـطـ
وـالـفـرـقـ بـيـنـ هـذـاـ وـالـأـوـلـ : أـنـ الـأـوـلـ صـرـيـعـ فـيـ الـاسـتـمـارـ عـلـىـ
الـهـيـةـ وـالـاسـتـدـاعـةـ لـهـاـ ، دـوـنـ بـلـوـغـ الصـفـةـ غـايـةـ مـاـ يـمـكـنـ أـنـ يـكـونـ عـلـيـهاـ ،
وـالـثـانـيـ بـالـعـكـسـ ، قـالـ الشـيـخـ بـعـدـ الـفـاـهـرـ : وـشـبـيـهـ بـالـأـوـلـ فـيـ الـاسـتـحـصـاءـ
قـوـلـ اـبـنـ الرـوـمـيـ فـيـ الـمـصـلـوبـ (١٢٣) أـيـضاـ :

(١٢٠) هو للأخـيـلـ الشـاعـرـ (٤٥ جـ ٢ منـ كـاـلـ المـبـرـدـ ، ٤٢٢ـ مـجمـمـ الشـعـراءـ) *

(١٢١) الـبـيـانـ فـيـ الـأـسـرـارـ صـ ١٦٣ـ الصـفـحةـ : بـاطـنـ الـكـفـ .ـ الـلـوـثـةـ :ـ الـاسـتـرـخـاءـ *

(١٢٢) هو دـعـيـلـ فـيـ صـفـةـ مـصـلـوبـ (٤٥ جـ ٢ منـ كـاـلـ المـبـرـدـ) .ـ
الـزـطـ :ـ طـلـقـةـ مـنـ الـهـنـدـ مـلـبـ مـنـهـمـ هـذـاـ العـدـدـ فـيـ خـطـ مـؤـلـفـ مـنـ اـشـجـارـ
عـالـيـةـ الـجـدـوـعـ ،ـ وـقـلـ الخـطـ مـوـضـعـ بـالـبـيـانـ .ـ الضـمـيرـ فـيـ كـانـهـ لـكـلـ وـاحـدـ
مـنـ الـمـصـلـوبـيـنـ الـشـطـ :ـ الـخـارـجـ مـنـ الـحـدـ فـيـ طـوـلـهـ .ـ خـامـرـ :ـ خـالـطـ .ـ الـفـطـيـطـ
صـرـتـ السـنـامـ فـيـ نـوـمـهـ .ـ وـرـاجـعـ الـإـبـاـتـ فـيـ ١٦٣ـ وـ ١٦٤ـ مـنـ اـسـرـارـ
الـبـلـاغـةـ *

(١٢٣) رـاجـعـ ١٦٤ـ الـأـسـرـارـ .

كأن له في الجو حبلاً يموج .. إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل
فقوله إذا ما انقضى حبل أتيح له حبل كقوله « موائل لقططيه
من الكل » في التنبية على استدامة الشبه ، لأنه إذا كان لا يزال يموج
حبلاً لم يقبض بأعه ولم يرسل يده ، وفي ذلك بقاء شبه المصلوب على
الاتصال .

والمركب العقلي (١٤٤) : كالمنظار المطعم مع المخبر المؤيس الذي هو
على عكس ما قدر ، في قوله تعالى « والذين كفروا أعمالهم كسراب
يقيمه يحسبه الظمان ماء ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله
عنه ، فوفاه حسابه » شبه ما يعمله من لا يقرن الإيمان المعتبر
بالأعمال التي يحسبها تتفعه عند الله وتتجهه من عذابه ثم يخيب في
العقوبة أمله ، ويلاقى خلاف ما قدر ، بسراب يراه الكافر بالساحرة وقد
عليه عطش يوم القيمة ، فيحسبه ماء ، فيأتيه ، فلا يجد ما رجاه ،
ويجد زبانية الله عنده فليأخذونه فيمطلوه إلى جهنم فيسوقونه الحميم
والغساق ، فهو كما ترى متزرع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض
وذلك أنه رويعي من الكافر فعل مخصوص وهو حسبان الأعمال نافعة
له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهي صورة الأعمال الصالحة

يموج : يقبس بالباع . أتيح : هيئ .

ملاحظة :

الهيئة السكون على وجهين أيضاً : إن تتنزع الهيئة التركيبة من
السكون وحده مجرداً من اوصاف الجسم فلا بد من تعدد افراد السكون ،
وان يعبر في تلك الهيئة مع السكون غيره ولا يتشرط في هذا تعدد افراد
السكون ، وقد مثل المصنف للأول وبمثال الثاني :

كانه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع إلى توديع مرتحل
(١٤٤) أي من وجه الشبه وراجع ذلك في ١٤٤ من المفتاح ، ٨١ و ٨٢
من الأسرار .

التي وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط اليمان به وبرسله عليهم السلام ، وأنها لا تقيدهم في العاقبة شيئاً ، وأتهم يلقون فيها عكس ما ألموه وهو العذاب الأليم ، وكذا في جانب التشبيه به ، وكرمان الانتفاع يبلغ نافع مع تحمل التعب في استصحابه كما في قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » ، فإنه أيضاً منترع من أمور مجموعة قرن بعضها إلى بعض ، وذلك أنه روعي من الحمار فعل مخصوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً وهي الأسفار التي هي أوعية العلوم ، وإن الحمار جاهل بما فيها . وكذا في جانب التشبيه .

واعلم (١٢٣) أنه قد تقع بعد أدلة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منترع من بعضها فيقع الخطأ لكونه أمر منترعاً من جميعها كقوله (١٢٤) :

(١٢٥) راجع ص ٨١ من الأسرار .
أى كثرة حرمان أي كالوبنة الحاملة من حرمان .. الخ . وراجع الكلام على الآية أو كصيغة من المسماء .. الخ « في الأسرار ص ٤١٦ . هذا و « مثل الذين حملوا .. الخ » الطرقان فيها مركيان مقلبان وكذلك الوجه .

وقد أخذ حرمان الانتفاع الذي اشتراك الطرقان فيه من الجهل المعتبر فيما ، وأخذ كون ما حرم الانتفاع به يبلغ نافع من كون المحمول فيما أوعية العلوم التي هي أولى ما ينتفع به ، وأخذ تحمل التعب في الاستصحاب من اعتبار حملهم الأمر الذي الخيف فيما .

(١٢٦) راجع ٨٨ من الأسرار و ١٤٩ من المفتاح .
(١٢٧) هو لكثير (راجع ٢/٧١ زهر الأداب ، ٢/١٦٦ الزهر أيضاً . ٧٤ دلائل الأعجاز) .

وبذلك :
واني ونيماين بعزة بعد ما تخليت مما بنتنا وتخليت
كما ابرقت الخ . تجلت : انكشفت . اتشمعت : تفرقت .

كما أبرقت قوما عطاشا غمامه فلما رأوها أقشعوا وتجلت

فانه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به الى الثاني ، على أن المقصود به ظهور أمر مطعم له هو شديد الحاجة اليه ، ولكن بالتأمل يظهر أن مغزى الشاعر في التشبيه أن يثبت ابتداء مطعما متصلا بانتهاء مؤيس ، وذلك يتوقف على البيت كله ^م

فإن قيل (١٢٨) هذا يقتضي أن يكون بعض التشبيهات المجتمعة كقولنا زيد يصفو ويذكر تشبيها واحدا ، لأن الاقتران على أحد الجزئين يبطل الغرض من الكلام ، لأن الغرض منه وصف المخبر عنه بأنه يجمع بين الصفتين وأن أحدهما لا تدوم ، فلنا : الفرق بينهما أن الغرض في البيت أن يثبت ابتداء مطعما متصلا بانتهاء مؤيس كما مر ، وكون الشيء ابتداء لآخر زائد على الجمع بينهما ، وليس في قولنا « يصفو ويذكر » أكثر من الجمع بين الصفتين ، ونظير البيت قوله يصفو ثم يذكر لافادة ثم الترتيب المقتضي ربط أحد الوصفين بالأخر ^م

وقد ظهر (١٢٩) مما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب في مثل ما ذكرنا بأمررين : أحدهما أنه لا يجب فيها ترتيب ، الثاني أنه إذا حذف بعضها لا يتغير حالباقي في افادته ما كان يفيده قبل الحذف ، فإذا قلنا زيد كالأسد بأسا والسيف مضاء والبحر جودا لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص بل لو قدم التشبيه

= والكاف للتشبيه وما مصدرية وأبرق اي ظهر ، اي حال مع ليلى كحال ظهور غيابة لقوم عطاش الخ . فالتزاع وجه التشبيه من مجرد قوله « كما أبرقت قوما عطاشا غيابة » فقط خطأ لوجوب انتزاعه من جميع البيت .

(١٢٨) ٨٦ من الاسرار .

(١٢٩) راجع ٨٦ وما يudedها من الاسرار .

بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغير
حال غيره في افاده معناه (١٣٠) .

ثالثاً - التشبيه المتعدد :

والمتعدد الحسى (١٣١) كاللون والطعم والرائحة في تشبيهه فاكهة
بآخرى ، والمتعدد العقلى كحدة النظر وكمال الحذر واحفاء السفاد في
تشبيهه ظائر بالغراب *

والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن في تشبيهه انسان
بالشمس *

واعلم (١٣٢) أن الطريق في اكتساب وجه الشبه أن يميز عما
عداه ، فإذا أردت أن تتشبه جسما بجسم في هيئة حركة وجب أن تطلب
الوافق بين الهيئة مجردتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره
كما فعل ابن المعتز في تشبيهه البرق (١٣٣) فإنه لم يتذكر إلى شيء من
أوصافه سوى الهيئة التي تجدها العين من اتبساط يعقبه انقباض *

أدلة التشبيه (١٣٤) :

وأما أداته : فكما في نحو قوله « زيد كالأسد (١٣٥) » وكان في

(١٣٠) غالفرق بينهما ان المركب لا يجوز فيه حذف بعض ما اعتبره
وala اختل المعنى ، ولا تقديم بعض ما اعتبر على بعض بخلاف الثاني .

(١٣١) اي من وجه الشبه - وراجع ذلك في المفتاح ص ١٤٤ .

(١٣٢) راجع ١٢٢ من الاسرار .

(١٣٣) راجع ١٢٢ من الاسرار - وذلك في بيته :

وكان البرق مصحف قار ناطبيانا مرة وانتساها

(١٣٤) اي الله اسماء او عملا او حربا .

(١٣٥) وتنزم الكتاب كلية ما اذا دخلت الكتاب على ان المفتوحة يبتال
هو بجد كما ان خالدا مجد ، لولا تطبس بكلمة كان التي هي من
الأخوات ان *

نحو قوله زيد كأنه أسد (١٣٦) ، ومثل في نحو قوله « زيد مثل الأسد »
وما في معنى مثل كلفة نحو وما يشتق من لفظة مثل وشبه
ونحوها (١٣٧) والأصل في الكاف ونحوها (١٣٨) أن يليها الشبه به ، وقد
يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به وذلك اذا كان الشبه به مركباً (١٣٩)
كتقوله تعالى « واخرب لهم مثل الحياة الدنيا كما اذلناه من السماء » اختلط
به ثبات الأرض فاصبح هنئياً تذروه الرياح « اذ ليس المراد تشبيه
حال الدنيا بالباء (١٤٠) ولا بمفرد آخر يتمثل لتقديره ، بل المراد تشبيه
تشبيه حالها في نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال

(١٣٦) هي بسيطة وقبلة مركبة والاترب الاول لجمود الحرف مع
وقوعها فيها لا يصح فيه التأويل بالمصدر المناسب لأن المفتوحة وان كان
الثاني أشبه يحسب بما يظهر من صورة كان .
وقد تستعمل كان عند الفتن بثبوت الخبر من غير تصد الى التشبيه
سواء كان الخبر جائداً او مشتقاً نحو كان زيداً اخسوك وكأنه قاتم .
اما استعمالها للتشبيه مقيده بما اذا كان خبرها جائداً على هذا القول .
(١٣٧) كالمائلة والمشابهة والمحاكاة ، فالمشتق منها يغدو
التشبيه . قال اليعقوبي :

المبادر ان هذه المشتقات انتد الاخبار بمعناها فزيد يشبه
الاسد اخبار بالمشابهة مثل زيد يقوم اخبار بالقياس وليس هنا اداة دالة
على المشبه به ، ومثل هذا يتلزم في لفظ مثل معدها من الاداة لا يخلو من
تسليح .

(١٣٨) كلفظ نحو مثل وشبه ، اي من كل ما يدخل على القسرد
بخلاف ما يدخل على الجملة مثل كان او يكون جملة بنفسه مثل مشابه
ويضاهي ويمثل : فان هذه لا يليها الشبه به بل المشبه في زيد يمثل
عبرا الضمير المستتر الوالي لل فعل هو المشبه وعمرا هو المشبه به المتأخر .

(١٣٩) ٨٧ وما بعدها اسرار ، ١٥٠ منتاح ، ٢١٥ اسرار ايضاً .

(١٤٠) وذلك لأمررين : الاول انتا لا تسلم ان المشبه به مثل الماء
وصفتة بل مثل الثبات . الثاني انه على تسليم ان المشبه به هو مثل الماء
فلا تسلم ان الكاف في الآية ضد ولها غير المشبه به بل الوالي لها اذا هو
المشبه به لأن المقصود عندهم كالملفوظ .

النبات يكون أخضر وارقا ثم يهيج فتطييه الرياح كأن لم يكن ٠
وأما قوله عز وجل (١٤١) « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما
قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله » فليس منه لأن
المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم
من أنصارى إلى الله ٠ وقد يذكر فعل (١٤٢) يتبين عن التشبيه (١٤٣)
ككلمت في قوله علمت زيداً أسدًا ونحوه ، هذا اذا قرب التشبيه (١٤٤)
فإن بعد (١٤٥) أدنى تبعيد قيل خلته وحسبته ونحوهما ٠

(الفرض من التشبيه (١٤٦)) :

واما الغرض من التشبيه فيعود في الأغلب الى المشبه ، وقد
يعود الى المشبه به ٠

اما الأول (١٤٧) فيرجع الى وجوه مختلفة منها ٠

(١) بيان أن وجود المشبه ممكن وذلك في كل أمر غريب يمكن
أن يخالف فيه ويدعى امتناعه كما في قول أبي الطيب (١٤٨) ٠
فإن تفق الأنعام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الزوال

١٤٨) ١٤٩) مفتاح .

(١٤٩) اي من غير الاموال الموسوعة من اصلها للدلالة على التشبيه .
(١٤٢) اي يدل عليه من غير ذكر اداة فتكون الفعل قائمها مقامها .
(١٤٤) اي وادعى كمال الشابهة لما في علمت من معنى التحقيق .
(١٤٥) اي ان بعد التشبيه اي ان كانت الشابهة بين الطرفين
ضعيفة ككون وجه الشبه خفيا من الادراك ، وذلك لما في الحسبان من
الاشمار بعدم التحقيق والتبيين ، هذا والتبني عن التشبيه في هذه الاموال هو
عدم صحة حمل الاسد على زيد .

(١٤٦) راجع ١٤٥ مفتاح ٤ ١٠٣ اسرار .

(١٤٧) اي ما يعود الى المشبه .

(١٤٨) راجع ١٠٣ اسرار .

أراد أنه فاق الأنعام في الأوصاف الفاضلة إلى حد بطل مهه أن يكون واحداً منهم بل صار نوعاً آخر برأسه أشرف من الإنسان وهذا يعني أن يتناهى بعض أفراد النوع في الفضائل إلى أن يصير كأنه ليس منها أمر غريب يفتقر من يدعوه إلى اثبات جواز وجوده على الجملة حتى يجيئ إلى اثبات وجوده في المدح فقال «فإن المسك بعض دم الغزال» . أي ولا يعد في الدماء لأن فيه من الأوصاف الشريفة التي لا يوجد شيء منها في الدم وخلوه من الأوصاف التي لها كان الدم دماً غالباً أن لما ادعاه أصلاً في الوجود على الجملة (١٤٩) .

(٢) ومنها بيان حاله (١٥٠) كما في تشبيه ثوب بثوب آخر في السواد ، إذا علم لون المشبه به دون المشبه .

(٣) ومنها بيان مقدار حاله (١٥١) في القوة والضعف والزيادة والنقصان ، كما في قوله (١٥٢) :
مداد مثل خافية الغراب (وقرطاس كرقران السحاب)

(١٤٩) غالتشبيه في البيت تشبيه مركب بمركب . وهو تشبيه شمني أي مدلول عليه باللازم لأنه ذكر في الكلام لازم التشبيه وهو وجه التشبيه (نونقلن الأصل) وارد المزوم وهو التشبيه ، وقبل سمعي شمنيا لأنه يفهم من الكلام شمنيا ومكتباً عنه لأنه مكتني أي خفي ويستتر . قال اليعقوبي : الذي بين امكانه هو وجه التشبيه ليتوصل به إلى امكان المشبه .

(١٥٠) أي حال المشبه أي صفة بأنه على أي ؛ وصف الأوصاف .

(١٥١) أي مقدار حال المشبه في القوة والضعف والزيادة والنقصان .

(١٥٢) أي حبيب الطائي (٣٠ ج ٣ المقذ ، ٢٦٤ ج ٣ زهر الأدب) .
ويرى للحسن بن وهب .
الخافية من الريشات العشر في مقدم الجناح .

وعليه قول الآخر (١٥٣) :

فأصبحت من ليلي الغادة كثابض على الماء خانته فروج الأصابع
أى بلغت في بوار السعي في الوصول إليها وأن أمتن بها أقصى
الغايات حتى لم أحظ منها بما قل ولا بما كثر .

(٤) — ومنها تقرير (١٥٤) حاله في نفس السامع ، كما في تشبيه
من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرجم على الماء ، وعليه قوله عز
وجل : « وَإِذْ نَقَنَا الْجِبْلَ فَوْقَهُمْ كَانَهُ ظِلَّةً » ، فإنه بين ما لم تجر به
العادة بما جرت به العادة .

وهذه الوجهة تقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وهو
به أشهر ولهذا ضعف قول البحترى (١٥٥) :

على باب قنسرين والليل لاطخ جوانبه من خلمة بمداد
فانه رب مداد فاقد اللون ، والليل بالسوداد وشدة أحق وأحرىء

(١٥٣) راجع ١٠٤ اسرار الفروج : جمع غرج بطلق على الخلل بين
الشينين .

(١٥٤) راجع ١٠٦ اسرار ، هذا وبن تقرير التشبيه قول الشاعر :
ويوم كظل الرمح فصر طوله دم الزق عنا واصطناق المزاهر
وهو لشيرمة بن الطفيلي (٧٩ ج ٢ حماسة) أو لابن الطبرية (٥٥
ج ٦ الحيوان للجاحظ) .

(١٥٥) راجع ١٩٢ : ونقده ابن العميد بأنه تشبيه غير رائع
ولا يارع .

ولآخر ابن : والليل قد صبغ الحصى بمداد

(١٨) ج ٣ زهر (آداب) .
ولابن نواس : وجفن الليل مكحول بقمار (١٨ ج ٣ زهر) . وله :
قد انتهى والتأسل كالسداد .

ولهذا قال ابن الرومي (١٥٦) :

حبر أبي حفص لعاب الليل يسيل للاخوان أى سيل

فبالغ في وصف الحبر بالسود حين شبهه بالليل ، فكانه نظر إلى
قول العامة في الشيء الأسود هو كالنفس (١٥٧) ثم تركه للقافية إلى المداد

(٥) ومنها ترثيته للترغيب فيه كما في تشبيه وجه أسود
بمقلة الطبي +

(٦) ومنها تشويهه للتفريح عنه كما في تشبيه وجه مجدور
بسلاحة (١٥٨) جامدة قد نقرتها الديكة ، وقد أشار إلى هذين الغرضين

(١٥٦) راجع : ٢٢٦ ج ٢ زهر الأدب ، ١٩٢ اسرار . وفي الزهر
بدل « يسيل للاخوان أى سيل » : « كانه الوان دعم الخيل » .

(١٥٧) بالكسر : أى الحبر .

ملاحظة : الأغراض الأربع : بيان الحال والمقدار وبين الامكان
والتفريح — نقتضي أن يكون وجه الشبه في المشبه به أتم وأقوى ولو باعتبار
ما عند المخاطب بالتشبيه ، وأن يكون المشبه به بوجه الشبه أشهر عند
السابع — وأن لم يكن أشهر في الواقع — وأعرف ، وظاهر هذا أن كلا
من الأربع تقضي الأئمة والأشهرة وهو غير صحيح ، ويمكن الجواب
بان الأمر على التوزيع ، فالأشهرة للتفريح فقط ، إذ التتحقق
أن بيان الامكان وبين الحال لا يقتضيان الا الأشهرية فقط ليصلح التعبير
وبناء الاحتياج في الأول ويعلم الحال في الثاني ، وكذلك بيان المقدار
لا يقتضي الأئمة بل يقتضي أن المشبه به مع كونه أعرق وأشهر بوجهه
الشبه — على حد قدر المشبه — أى مساواه للمشبه في وجه الشبه
لازيد ولا انقص ليتعين مقدار المشبه على ما هو عليه ، ولما تغير الحال
فيقتضي الأمرين : الأئمة والأشهرة جميعا لأن النفس إلى أتم وأشهر
أمثل ، فالتشبيه بالائم الأشهر بزيادة التفريح والتقوية أحضر من التشبيه
الخارجي منها .

(١٥٨) ١٤٦ مفتاح .

(١٥٩) هي العترة اليابسة ، والمجدور : الذي عليه آثار الجدرى .

ابن الرومي في قوله (١٦٠) :

يقول هذا مجاج النحل تمدحه وان تعب قلت ذا قى الزنابين

(٧) ومنها استطرافه (١٦١) كما في تشبيه فحم فيه جمر (١٦٢)

١٦٠ـ المجاج الريق ترمي به من فمك ، ومجاج النحل العسل .
الزنابير جسم زبور وهو ذباب اليم السبع يدخل فيه النحل .

ملاحظات :

١ - تزيين المشبه اي تصويره بصورة حسنة سواء كانت تدرك بالعين او بغيرها لاجل ترغيبه فيه . وتشويهه بتصويره بصورة تجاهها النفس ويشتهر منها الطبع .

٢ - بيان الحال اذا كان المشبه به معروفا والمشبه مجهولا او في حكم المجهول وبين المقدار اذا كان المشبه معلوما واراد المتكلم ان بين للسايق ما يعنيه من هذا المقدار .

٣ - مثال التزيين :

سوداء واسحة الجبين كحالة الطبي الغرير
ومثال النهجين : « مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يليث او تركه

يليث » وقول الشاعر :

وادا اشار محذنا عكانه قرد يقهق او عجوز نظم

٤ - سبق ان بيان الامكان وبين الحال وبين مقدار الحال
كلها تتفضى ان يكون المشبه به يوجه الشبه اشهر واعرف ،
ولما التقرير يقتضى ان يكون وجه الشبه في المشبه به اتم وان يكون
المشبه به يوجه الشبه اشهر واعرف مما .

ولما التزيين والتشويه والاستطراف فلا تتفضى الآتية ولا الاشهرية
لصحبة تشبيه وجه الحبيبي الشديد السوداد بمقولة الطبي للتزيين مع ان

السوداد ليس فيه اتم منه في وجهه ولا هو اشهر منه في السوداد .
والذى يظهر من كلام المفتاح ان كون المشبه به اعرف يوجه الشبه

معتبر في بيان الحال والمقدار والامكان وزيادة التقرير والتزيين والتشويه
وان كونه اتم واقوى في وجه الشبه معتبر في زيادة التقرير والحالات الناقص

بالكامل ، ولما الاستطراف غالبا يزيد في زيارة المشبه به وندرة حضوره .
١٦١) اي عد المشبه طریقا جديدا بدینا لاجل الاستلذاذ به ، راجع

١٤٨ من الاسرار ، ١٤٦ من المفتاح .

١٦٢) اي سرت النار فيه سريانا يتوعم منه الاستطراب كاضطراب

الوجه .

حوقد ببحر من المسك موجه الذهب (١٦٣) ، وإبرازه (١٦٤) في صورة
الممتنع عادة (١٦٥) .

وللاستطراف (١٦٦) وجه آخر وهو أن يكون الشبيه به نادر
الحضور : أما مطلقاً (١٦٧) كما مر (١٦٨) ، وأما عند حضور الشبيه (١٦٩)
كما في قوله (١٧٠) :

ولازوردية تر هو بزرقتهما
أوائل النمار في أطراق كبريت
بين الرياض على حمر البواقيت
كأنها فوق قامات خصنن بها

(١٦٣) وجه الشبيه الهيئة الحاصلة من وجود شيء مضطرب مائل إلى
الحرارة في وسط شيء أسود والاستطراف من حيث هو له وجهان : إبراز
الشبيه في صورة الممتنع في الخارج ، وإبرازه في صورة النادر الحضور
في الذهن ؛ وهذا الوجه الثاني أعم فبيانه من ندرة الحضور في الخارج
ندرة الحضور في الذهن دون العكس .

(١٦٤) أي أنها استطراف الشبيه في هذا التشبيه لإبراز الشبيه .
(١٦٥) وإن كان يمكننا عقلاً ، ولا يخفى أن الممتنع عادة مستطرف
غريب .

(١٦٦) أي المطلق ، لا الاستطراف فيخصوص المثال السابق .
(١٦٧) أي نادراً مطلقاً من غير تقييد بحالة حضور الشبيه في الذهن ،
أي عند حضور الشبيه في الذهن وعدمه .

(١٦٨) أي في تشبيه حم فيه جمر موقد ببحر من المسك موجه
الذهب .

الاستطراف في هذا التشبيه له جهتان : إبراز الشبيه في صورة
الممتنع وإبرازه في صورة النادر الحضور ولا ممانعة بين الجهتين وتقديم لك
وجه ثالث للاستطراف في التشبيه المذكور .

(١٦٩) أي وأما أن تكون تلك الندرة حاصلة في الشبيه به عند
حضور الشبيه لا مطلقاً لكون الشبيه به مشاعداً معتاداً لكن موطنه غير موطن
الشبيه لكون كل منها بن واد .

(١٧٠) هنا لأن المفتر ونسياً لأن المتعاربة .

وتتجدهما في الأسرار من ١١٠ والمنتخاب من ١٤٦ .

(١٧١) الازوردية : البنسنج الشبيه بحجر الازورد لكونه على =

فإن صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضورها في
الذهن ندراً صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وإنما النادر حضورها
عند حضور صورة البفخج ، فإذا أحضر مع صحة التشبيه استطرف ،
لشاهدة عناق بين صورتين (١٣٢) لا تتراءى ناراًهما .. ومما يؤيد هذا
ما يحكي أن جريراً قال أنشدني عدي (١٣٣) :

عرف الديار توهماً فاعتدادها
فلما بلغ إلى قوله :
ترجمي أغنْ كان أبْرَة روفه

رحمته وقلت قد وقع ما عساه يقول وهو اعرابي جاف جلف ،
فلما قال :

— لونه . تزهو من الزهو وهو الكبر من زها يزهو زهو . حمر الياقوت
استعارة يعني الإزهار والشائق الحر . كأنها الضمير فيها للإ啰ودية .
القياسات : السينان « أوائل النصار » أي النار المصللة بالكبريت التي
تضرب إلى الزرقة لا الشعلة المرقمة .

(١٣٢) هنا : صورة البفخج وصورة اتصال النار بأوائل الكبريت .
لا يقال : الاستطراف لاجل المائفة المذكورة بضم الطرفين . لأننا
نقول : الكلام المشتمل على التشبيه يسوق التشبيه بذلك كان المعتقد به
هذا استطرافه .

ملاحظة التشبيه في الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة » بيان
مَا يعلمه البشر بما يعلموه ، فليس من التشبيه المقبول لأن المشكاة في
الذهن أوضح وأقوى والثوة في التشبيه به قد تكون باعتبار الوضوح .
(١٣٣) راجع ١٢٢ من الأسرار ، ٣/٤٠٦ العدد ، والمثلث في ٢٢٤
و ٢٤١ صناعتين . ٢٥٣ مجمع الشعراة ٤/٣٧٣ ، ١/١ الكامل .
ويروى أن جريراً دخل على الوليد بن عبد الله وبين الرفاع العامل
عند يشده ، قال جرير : فحسنه على أبيات منها ، حتى إذا اشتد في
صفة الظبية ، ترجي أغن « غلت في نفسي والله ما يقدر أن يقول أو يتباهي ،
فليا قال « قلم الخ » ما تقدرت أن أقيم مانصرفت (٩٤) ٢ الكليل لل McBride .
والمراد به ولدها . أبْرَة الروق : طرف القرن ، الروق : القرن .

قلم أصاب من الدواة مدادها (١٧٤)

استحالات الرحمة حسدا ، فهل كانت رحمته في الأولى والقصد
في الثانية إلا لأنه رأه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول
الفكر شبه وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف ٠

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمة الله للاستطراف في تشبيه
البنفسج بنار الكبريت وجها آخر (١٧٥) : وهو أنه أراك شبها لنبات
غضن يرف وأوراق رطبة من لهب نار في جسم مستول عليه الييس ،
ومبني الطياع وموضوع الجبلة على أن الشيء اذا ظهر من مكان لم يعهد
ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صيابة التفوس به
أكثر وكان الشفف به أجدر ٠

وأما الثاني (١٧٦) :

(١) فيكون في الغالب ايام (١٧٧) أن المشبه به أتم من المشبه
في وجه الشبه ، وذلك في التشبيه المقلوب (١٧٨) ، وهو أن يكون الأمر
بالعكس كقول محمد بن وهيب (١٧٩) :
وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

(١٧٤) ترجى : سوق والصبر للظبية . الاعن : الذي في صوته ثنة

(١٧٥) راجع ١٠٩ و ١١٠ أسرار البلاغة ، ١٤٦ مفتاح .

(١٧٦) وهو الفرض من التشبيه الذي يعود إلى المشبه به وهو
ضريران ، الحق الناقص بالكامل ، والاهتمام .

(١٧٧) أي ايام المتكلم للسامع .

(١٧٨) هو الذي يجعل فيه الناقص في نفس الأمر مشبهًا به ويجعل
الكيل مشبهًا قصداً إلى ادعاء أكيل من المشبه الذي هو أكيل في نفس
الأمر .

(١٧٩) راجع البيت والكلام عليه في الأسرار من ١٩٤ — ١٩٦ ،
وراجمه في ٤٢٠ معجم الشعراء ، ٤٣٩ صناعتين ، ١٧ ج ٣ زهر الأداب .

فانه قد (١٨٠) ايمام أن وجه الخليفة أتم من الصباح في الوضوح والغباء ، واعلم أن هذا وإن كان في الظاهر يشبه قولهم : « لا أدرى أوجهه أنور أم الصبح ، وغرته أضواه أم البدر » ، وقولهم إذا أفترطوا : « نور الصباح يخفى في ضوء وجهه أو نور الشمس مسروق من نور جبينه وتحو ذلك من وجوه المبالغة » ، فان في الأول خلابة وشيناً من السحر ليس في الثاني ، وهو أنه كانه يستكثر للصباح أن يشبه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشد له واجتهد في تشبثه يفخم به أمره ، فيتوقع المبالغة في نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاؤه لها ، لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه لا يشقق من خلاف مخالف وتهمكم متهمكم ، والمأسى اذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب ، فكانت كالنعمة التي لا يدركها الملة ، وكالغنية من حيث لا تحتسب ، وفي قوله حين يمتدح (١٨١) فائدة شريفة ، وهي الدلاله على اتصف المدح بما لا يوجد الا فيمن هو كامل في الكرم من معرفة حق المادح ، على ما احتشد له من تربينه ، وقصده من تخفيش شأنه في عيون الناس ، بالاصناف والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقه على حسن موقعه عنده ومنه (١٨٢) قوله تعالى حكاية عن مستحل الربا « إنما البيع مثل الربا » ، فان مقتضي الظاهر أن يقال « إنما الربا مثل البيع » اذ الكلام في الربا لا في البيع ، فخالفوا ، لجعلهم الربا في الحال أقوى حالا من البيع وعرف به . ومنه قوله عز وجل : « ألم يخلقكم لايخلق » ، فان مقتضي الظاهر العكس ، لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسموها آلة ، تشبثها بالله سبحانه وتعالى ، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف في

(١٨٠) اي يقلب التشبث .

(١٨١) راجع ١٤٦ من المفتاح .

(١٨٢) اي من التشبث المطلوب وراجع ذلك في ١٤٧ من المفتاح .

٤٩٠ ج ١ ابن السبكي .

خطابهم ، لأنهم بالغوا في عبادتها وغلوا ، حتى صارت عندهم أصلًا في العبادة ، والخلق سبحانه فرعا ، فجاء الانكار على وفق ذلك ٠٠٠ قال السكاكي (١٨٥) : عندى أن المراد بمن لا يخلق الذي العالم قادر منخلق تعويضاً بانكار تشبيه الأسماء بالله عز وجل ، وقوله ، « أفلاتذكرون » ، تتبهه تعويضاً عليه ٠ ونحوه قوله تعالى (١٨٤) « أرأيت من اتخذ الله هواه » ، بدل أرأيت من اتخاذ هواه الله ٠

(٢) وقد يكون الغرض العائد إلى المثلبه به بيان الاهتمام به (١٨٥) كتشبيه الجائع وجهاً كالبدر في الإشراق والاستعارة بالرغيف ، اظهاراً للاهتمام بشأن الرغيف لا غير ، وهذا يسمى اظهار المطلوب ٠ قال السكاكي ولا يحسن المصير إليه إلا في مقام الطمع في تسلق المطلوب ، كما يحكى عن الصاحب أن قاضي سجستان دخل عليه ، فوجده الصاحب متلقناً بمدحه حتى قال :

وَالْعَالَمُ يَعْرِفُ بِالسُّجْزِيِّ (١٨٦)

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ففعلوا واحداً بعد واحد إلى أن انتهت التوبة إلى شريف في البن ، فقال :

أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنَ الْخَبْرِ

فأمر الصاحب أن تقدم له مائدة ٠

(١٨٣) ١٤٧ مفتاح ٠

(١٨٤) راجم ٤٩٠ ج ١ ابن السبكى ٠

(١٨٥) أى بالتشبيه به وراجع ١٤٧ مفتاح ٠

(١٨٦) أراد به السجستانى نسبة على غير تفاسير ٠

ومن طريف هذا النوع ما رواه الجاحظ قال : قيل لطفيلى : كم اثنين في اثنين ؟ فقال أربعة ارفة : (١٢٥ ج ٢ البيان والتبيين) ٠

هذا ^(١٨٧) كله اذا اريد الحق الناقص في وجه الشبه حقيقة او ادعاء بالزائد ، فان ازيد مجرد الجمع بين شيئين في أمر ^(١٨٨) ، فالاحسن ترك التشبه الى الحكم بالتشابه ^(١٨٩) ، ليكون كل واحد من الطرفين مشبياً ومشبهاً به احترازاً من ترجيح أحد المتساوين على الآخر ^(١٩٠) ، كقول أبي اسحاق الصابي :

تشابه دمعي اذ جرى ومدامتى فمن مثل ما في الكأس عينى تسكب
فوالله ما أدرى بالخمر أسبلت جفونى أم من عبرتى كنت أشرت ^(١٩١)

وكقول الآخر :

رق الزجاج وراقت الخمر وتشابها فتشاكل الامر
فكائماً خمر ولا قدح وكائماً قدح ولا خمر

(١٨٧) راجع ١٤٧ مفتاح ، و قوله « هذا » اي الذي ذكرناه من جمل احد الشيئين مشبيهاً والآخر متبيناً به انها يكون اذا اريد الحق الناقص في وجه الشبه بالكامل عليه .

(١٨٨) اي من غير قصد الى كون احدهما ناقصاً والآخر كاملاً سواء وجد الكمال والنقصان ام لم يوجد .

(١٨٩) اي الذي هو تشبه غير معروف ، فلا ينافي ما نقدم من أن « تشابه » من ادوات التشبه ، والتشبيه المعروف هو ما قصد فيه التساوت في وجه الشبه ، وغير المعروف هو ما قصد فيه التساوي بين الطرفين في أمر من الابور .

والتشابه وما وزنه كالتبائل والتشاكل والتساوي وكذلك « كلامها سواء » ، لا ما كان له فاعل وبمقابل من هذه الوارد مثل شابه وتساوي وضارع نافيه الحق الناقص بالزائد . ويلاحظ ان قول المصنف « حقيقة او ادعاء » المراد بحقيقة منه كما في الفرض العائد الى المشبه به .

(١٩٠) اي في وجه الشبه .

(١٩١) اسبل الدمع والمطر اذا هطل ، واسبلت السماء بال قطر .
والباء في « بالخبر » للتعميد للزرم العمل ، وليس زائدة : الدامة :
الخمر : تسكب : ترسل ، من سكب الدمع : ارسله .
والمراد تشبيه الدمع بالخمرة في الحمرة .

ويجوز التشبيه أليضاً (١٣)، كتشبيه غرة الفرس بالصبيح وتشبيه الصبيح بغرة الفرس، متى أريد ظهور مني في مظلم أكثر منه، وتشبيه الشخص بالمرأة المجلولة أو الدينيار الخارج من السكة كما قال (١٤) :

وكان الشخص المثير دينما ر جلتـه حدائق الضراب

وتشبيه المرأة المجلوأة أو الديبار الخارج من السكة بالشمس ،
حتى أريد استدارة متلاطلي متفضمن لخصوص في اللون ، وإن عظم
التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة ونور الشمس ونور المرأة
والديبار وبين الجرمين ، فانه ليس شيء من ذلك يمنظور اليه في التشبيه ،
وعلى هذا ورد تشبيه الصبح في الظلام بعلم أبيض على دبياج أسود
فقول ابن المطر (١٤) :

وأليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم
فانه تشبيه حسن مقبول وان كان التفاوت في المقدار بين الصبح
والطراز في الامتداد والتبساط شديداً^(١٥) .

^{١٦٢} راجع في ذلك ١٩٣ آسرار ، ١٤٨ مفتاح . و قوله « يجوز » مقابل لقوله « فالاحسن » .

(١٩٦) أى ابن المعتز (١٩٣) أسرار ، ٢٤٢ ج ١ زهر الاداب .
حدثائد الضراب : آلات الصك . حلته : مقتله .

(١٩٤) راجع ١٩٣ اسرار . - الحلة الشوب الجديد او التوب مطلقاً .
الطراز : على التوب . - مرقوم : مخطط .

(١٩٥) هذا هو آخر الكلام في أركان التشبيه ، وسيشرع في تقسيمه :
باعتبار الطرفين ، وباعتبار الوجه ، وباعتبار الاداء ، وباعتبار الغرض
بنهاية .

(تقسيم التشبيه)

وأما تقسيم التشبيه :

(١ -) فباعتبار طرفيه :

(٢ -) أربعة أقسام :

الأول : تشبيه المفرد ، وهو ما طرفاه مفردان: أما غير مقيدين^(١٦) كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن »^(١٧) فان قلت : ما وجه التشبيه في الآية ؟ قلت : جمله الزمخشري حسيا فإنه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتقان ويستعمل كل واحد منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى ؟

اذا ما الضجيج شئ عطفها ثنتت عليه فكانت لباسا^(١٨)

وقيل شبه كل واحد منهما باللباس للأخر لأنه يصونه من الواقع في فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للaura . وأما مقيدان^(١٩) كقولهم لن لم يحصل من سببه على شيء : هو كالقابض على الماء وكالراقم في الماء ، فان التشبيه هو الساعي لا مطلقا بل مقيدا يكون سببه كذلك ، والتشبيه به هو القابض أو الراقم لا مطلقا بل مقيدا يكون قبضه على

(١٦) أي بمحروم أو ضائقة أو منعول أو وصف أو حال مما يكون له تعلق بوجه التشبيه ، مما يذكر من القيود مما لا تعلق له بوجه التشبيه لا يكون فيه الطرف مقيدا .

(١٧) راجع الكلام على الآية في الصناعتين ٢٦١ .

(١٨) الضجيج : المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض وتعدد . فنى مطهها : رد جانبها اليه .

(١٩) راجع آيات ٨٥ و ٨٦ من الاسرار .

الماء أو رقمه فيه لأن وجه الشبه فيما هو التسوية بين الفعل وعدمه في عدم الفائدة ، والتقبض على الماء والرقم فيه كذلك ، لأن فائدة قبض اليد على الشيء أن يحصل فيها فإذا كان مما لا يتصل به فقبضها عليه وعدمه سواء ، وكذلك القصد بالرقم في الشيء أن يبقى أثره فيه فإذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعده ، فالقيد في هاتين الصورتين هو الجار والجور ، ونحوهما قوله هو كمن يجمع سيفين في غمد وقولهم : هو « كحبتي (٢٠٠) الصيد في عريضة الأسد » ، وقد يكون (٢٠١) حالاً كقولهم هو كالحادي وليس له بغيره . ومما طرفاً مقيدان قول الشاعر (٢٠٢) :

أنى وترىينى بمدحى معشراً كمعلق درا على خنزير

فإن الشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتربيته بمدحه معشراً ، فمتعلق التربتين أعني قوله بمدحى داخل في الشبه ، والمشبه به من يعلق درا بقيد أن يكون تعليقه أيام على خنزير ، فالشبه (٢٠٣) مأخوذ من مجموع المدر وما في صلته ، وهو أن كل واحد منها يضم الزيينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الشيء غير قابل للتربتين ، فالواو في قوله « وتربينى » بمعنى مع ، إذ لا يمكن أن يقال « أنى كذا وإن تربىنى كذا لأنه ليس مثنا شيئاً يكون أحددهما خبراً عن ضمير المتكلم والأخر عن تربىنى ، لا يقال تقديره « أنى كمعلق درا على خنزير وإن تربىنى بمدحى معشراً كتعليق در على خنزير » ، لأنه لا يتصور أن يشبه

(٢٠٠) هو شطر بيت للطراح . و مصدره : « يا ظبية المسهل والاجيل موعدكم » .

(٢٠١) أي القيد .

(٢٠٢) راجع في ١٧٤ من الاسرار حيث تكلم عليه عبد التاجر وشرحه تربى منغول معه والواو بمعنى مع .

(٢٠٣) أي وجه الشبه .

المتكلم نفسه من حيث هو هو بمعزل درا على خنزير ، بل لا بد أن يكون يشبه نفسه باعتبار تربيته بمدحه معاشرًا . واما مختلفان والمقيد هو المشبه به كقوله (٣٤) :

والشمس كالمرأة في كف الأشل لما رأيتها بدت فوق الجبل
فإن المشبه هي الشمس على الأطلاق والمشبه به هو المرأة لا على
الاطلاق بل يقيد بكونها في يد الأشل . أو على عكس (٣٥) ذلك كتشبيه
المرأة في كف الأشل بالشمس .

الثاني : تشبيه المركب بالمركب (٣٦) ، وهو ما طرفاه كثرتان
مجتمعتان (٣٧) كما في قول البحترى (٣٨) .

ترى احجاله يصعدن فيه صعود البرق في الغيم الجهام

(٣٤) هو ابن المعتز او ابو التجم الراجز ؛ وراجعه في ١٥٧ من
الاسرار .

فإن قلت المشبه الشمس لا مطلقها بل حال حركتها تكون مقيدا ،
قلت : الحركة لازمة لها غير منفعة عنها أبدا فكانت كائنا جزء من مفهومها
وليس بقيد خارج .

(٣٥) بأن يكون المشبه مقيدا والمشبه به هو المطلق من التقييد .
(٣٦) ويجب أن يكون الوجه حينئذ مركيبا أي هيئة ؛ وكذلك في تشبيه
المفرد بالمركب لأن يكون الوجه كذلك مركيبا ؛ ولما تشبيه المفرد بالمفرد
عنارة يكون الوجه مركيبا وثارة يكون مفردا .

(٣٧) بأن يكون كل من الطرفين هيئة حاصلة من مجموع أشياء قد
تضامت وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا .

(٣٨) الاحجال جمع حجل وهو البياض في رجل النرس . الجهام
السحاب لا ماء فيه . يصف الفرس انتقام عدوه وظهور بياض رجله في
مواضع مختلفة اثناء سيره .

وراجع البيت والكلام عليه في الاسرار من ١٧٠ و ١٧١ .

لا يريد به تشبيه بياض الحجول على الانفراد باليرق ، بل
يقصده الهيئة الخاصة الحاملة من مخالطة أحد اللونين بالأخر .
و كذلك المقصود في بيت بشار ، ولذلك وجب الحكم بأن أسياننا في حكم
الصلة للمصدر (٢٩) ونسب الأسياف لا يمنع من تقدير الاتصال ،
لأن الواو فيها بمعنى مع كقولهم « لو تركت الناقة وفصيلها لرضمها » ،
ومما يتبه على ذلك أن قوله « نهواي كواكب » جملة وقعت صفة لليل ،
فإن الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدة بشائها
لقال ليل وكواكب (٣٠) ، وأما بيت امرىء القيس :

كان قلوب الطير رطباً وباساً لدى وكرها العناب والحنف البالى (٣١)

(٢٩) أي يمغول معه العامل فيه « مثار » المصدر .
(٣٠) نقد شبهت الهيئة المنتزعة من السبوف المساوية المقابل بها
مع اعتقاد الغبار توق رءوسهم بالهيئة المنتزعة من النجوم وتساقطها في
الدل إلى جهات متعددة .

(٣١) راجع البيت في ص ١٦٨ الآسرار ، ١٤٤ مفتاح ، ٧٥ دلائل
الاعجاز ، ٣٥ ج ٢٦ من الكامل للمرد ، ويعجب به البرد كثيرا .
وهو في ص ٦٩ من البديع لابن المتر شرح محمد عبد المعن خنافس .
رطباً وباساً حالان من قلوب والعامل فيه معنى التشبيه . فإن قبل
الحال يجب أن تطلق صاحبها في الذكر والثانية وهذا لم تحصل المطابقة
حيث لم يقل رطبة وباسة ، فالجواب أن التقدير رطباً بعضها وباساً
بعضها محذف فاعلها المقدر الذي هو صاحبها في الحقيقة .
ولكن حذف الفاعل لا يجزئ البصريون وبعض الكوفيين غالباً
أن يقول في الجواب أن تفصيل الحال المقطا يستدعي تفصيل صاحبها معنى
(أو أن الجميع الذي تقيد به الصيغة في المتفق تجري مجرى العطف في
المختلف) فالتقدير قسماً رطباً وباساً .

والبيت لامرئ القيس يصف فيه عقاباً بكثرة اصطدام الطيور ، وفيه
تشبيه بمنوف فقد ذكر المشبهين أولاً والمشبهين بهما بعدهما ، والمتمدد في
المشبي به ظاهر واما في طرف المشبه فذلك وإن كانت فرقاً اساً واحداً وهو
القلوب فإن الجميع الذي تقيد به الصيغة في المتفق يجري مجرى العطف في
المختلف ماجتمع شيئاً أو شيئاً في لفظة ثانية او جمع لا يوجد أن احدهما =

فهو على خلاف هذا لأن (٣٣) أحد الشيئين فيه في الطرفين معطوف على الآخر ، أما في طرف المشبه به فيبين ، وأما في طرف المشبه فلان الجمع في المتفق كالمحظف ، فاجتمع شيئين أو أشياء في لفظ تثنية أو جمع لا يوجب أن أحدهما أو أحدهما في حكم التابع للأخر كما يكون ذلك اذا جرى الثاني صفة للأول أو حالا منه أو ما أشبه

= في حكم التابع للأخر كما يكون ذلك اذا اجري الثاني صفة الأول او حالا له ، هذا وقد صرخ بالعقل في البطل وهو المتصود مقابلا رطبا وبابسا .
فالقلوب هو المشبه ولما قسمه الى قسمين كان متعدد ، والعناب والخشاف البالى مشبه بهما ، فالطرزان متعددان ، والطير ال فيه جنسية ، والضمير في وكرها يعود الى العتاب والوكر عش الطائر ، ولدى ظرف حال من قلوب او من الضمير في رطبا وبابسا او صفة لرطبا او بابسا .
العناب حب احمر مائل للحرارة تدر قلوب الطير يوجد بشارة السدر وهذا مقابل القلب الرطب لانه يشكله لونا وقدرا وشكلا .
والخشاف البالى : اي التمر اليابس ، وهذا هو مقابل للقلب اليابس لانه يشكله لونا وقدرا وشكلا وانكاشا .
وصف الخشاف بالبالي وصف كاشف للشكيد .

وقال السبكي : « لا نسلم ان المشبه متعدد وهو القلب الرطب والقلب اليابس ويكون بعض القلوب مشبه بالعناب وببعضها مشبه بالخشاف البالى ، بل كل واحد من القلوب مشبه بالعناب في حال رطوبته وبالخشاف في حال بيوسته ، فالتشبيه القلوب بقيمة الرطوبة او البيوسية فهو كتشبيه مفرد متعدد قيده باعتبار حالتين وهو نظير قوله : « هو في الجود والشجاعة كالبحر والاسد » ، وقوله رطبا وبابسا يمكن عوده الى كل واحد من القلوب فلا حاجة الى توزيع الحالين على القلوب ، وما يرجح ذلك افراد الحالين اي كان كل قلب رطبا وبابسا ، لا يقال هو تشبيه متعدد باعتبار انه جمع لأن ذلك يعني ان يكون قوله ايا كالبخار تشبيه متعدد وأن يكون قوله « وكان اجرام النجوم لواما الخ » كذلك اه .

والبيت من قبيل اللف والنشر المرتب ولو عكس سمي ملفوغا ايضا لوجود اللف فيه وسمى بملفوغ للتشبيهات فيه اي ضم بعضها الى بعض وكذلك التشبيهات بها .

ـ (٢١٥) راجع ٣٦ ج ٢ كامل المبرد ، ١٧٤ أسرار .

وقد صرخ بالعاطف فيما أجراء بيانا له من قوله « رطبا وياسا » .

وهذا القسم (٣٤) ضربان :

أحدهما . مala يصح تشبّه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابلة من الطرف الآخر ، كقوله (٣٥) .

غدا والصبيح تحت الليل باد كطرف أشهب مقى الجلال
غان الجلال فيه في مقابلة الليل ، ولو شبهه به لم يكن شيئا .
وكلقول الآخر (٣٦) :

كائناً المريخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعه
منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجت قدامه شمعه
غان المريخ في مقابلة المنحرف عن الدعوة ولو قيس كأن المريخ
منحرف بالليل عن دعوة كان خلفاً من القول .

والثاني : ما يصح تشبّه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما

(٣٤) اي تشبّه المركب بالمركب ، وراجع في ذلك ١٦٩ من الاسرار .
(٣٥) هو ابن المفتر ، وهو تشبّه بمركب بمركب ، والظاهر انه عند السبكي تشبّه بقدر (م ٢٢ ج ٢ ابن السبكي) .
والبيت وشرحه في الاسرار من ١١٧ .
باد : ظاهر . الطرف يكسر الطاء ، الفرس الكريم . الاشهب :
الابيض . الجلال جمع جل وهو للذابة كاللوب للانسان . والضمير في
« غدا » للسوق .
(٣٦) هو القافى التتوخى « من ٢٢ حسن التوسل » . والبيت
في الاسرار من ١٧١ - ١٧٢ ، وفي المنتاج من ١٤٤ .
ومريخ والمشتري كوكبان معروقان .

يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحال تتغير ، ومثاله قوله (٣١) :

وكان أحراًم النجوم لوااما درر نثرن على بساط أزرق

فإنه لو قيل كان النجوم درر وكان السماء بساط أزرق كان تشبيهاً صحيحاً لكن أين يقع من التشبيه الذي يربط الهيئة التي تملأ القلوب سروراً وعبيراً ، من ظلوع النجوم مؤلفة متفرقة في أديم السماء ، وهي زرقاء زرقتها الحافية *

الثالث : تشبيه المفرد بالمركب (٣٢) كما مر من تشبيه الشاة الجبلى والشقيق والنيلوفار *

الرابع : تشبيه المركب بالمفرد كقول أبي تمام :

يا صاحبى تقمصي يا نظريكمَا تريا وجوه الأرض كيف تصور

(٣٢٦) هو لابن طالب الرقى ، وتجده في الإسرار من ١٣٧

وهو في معنى قول كعب بن زهير :

وليلة متشناق كان نجومها تسرقون منها في طيالسة خضر

راجعه في من ٢٣٦ مصنعين *

(٣٢٧) الفرق بين المركب والمفرد المقيد هو من حيث المفهوم واضح لأن المركب هيئة متفرقة من عدة أجزاء والمفرد المقيد ما كان مقيداً بقدر ففي المركب المقصود بالذات الهيئة والأجزاء تتبع للتوصيل بها إليها وفي المقيد أحد الأجزاء مقصود بالذات والباقي بالطبع . فالاحتياج للتأمل أنها هو بالنظر للتركيب شعرة المركب منها والمفرد محتاج للتأمل وتحكيم الدوق لأن المفرد والمركب ممتنوعان باعتبار التركيب المنطقي غالباً وإن اختلفا بحسب قصد الهيئة أو قصد جزء من الأجزاء .

وهذه التفرقة بينهما باعتبار المتكلم أما باعتبار السالم عبقر هو بينما بالقرار أن الدالة على أن المتكلم قصد الهيئة أو قصد جزءاً مرتبطة بغيره أو باعتبار أنه لو استعمل ذلك التشبيه لم يطابق ذوقه إلا ذلك الوجه المقتنى للقصد أو للتركيب .

قریا نهارا مثمنا قد شابه زهر الربا فکلئما هو مقمر (۳۱۸)

يعنى أن النبات من شدة حضرته مع كثرته وتكاثفه قد حار لونه
إلى الأسوداد فنحس من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

(ب) التسمية الملفوف والمفروق والتسوية والجمل .

^{٤١٩} أيضاً أن تعدد طرقه فهو إما ملفوف أو مفروق.

(١) فالمغوف (٣٣) ما أتى فيه بالتشبهين ثم بالتشبه بهما كقول أمري، القيس :

٤١٨١- تضليل نظركم اي المفهوم الذي ينطوي على انتهاك في النظر
وتفصيله اي بلفت اقصاد . تصور اي تصور بحذف الناء . مثمنا :
ذا شمس لم يستر غيم . شاهي . خالطه . مفتر : ليل ذو قمر .
شبيه النهار المشمس الذي اختلفت به ازهار الريوارات فنفت باختصارها
من ضوء الشمس حتى سارت تضرب الى المسود بالليل المفر ، والمشبه
متركب والمشبه به مجرد : قيل لا يخلو هذا عن شامباج لأن قوله « مفتر »
تقديره ليل ينبع من الشبيه بـ تعدد وسائلية تركيب . والجواب أن الوصف
والاضافة لا تتبع الافتراض لما سبق ان المراد بالتركتبيه المترقبة من
عدة اشياء والمشبه به هنا ليس كذلك بل يفرد مقدد بمقد وحيثنة فلا
تتحقق على ان صاحب القاموس ذكر ان القمر ليلة فيها قمر فليس في الكلام
تقدير الموصوف حتى يرد الاعتراض .

والبيت في من ١٥٩ من المثل المسائر ، ٤٤٣ من الصناعتين .

٢١٩- هذا تقسيم آخر للتشبيه باعتبار الطرفين ايضاً .
٢٢٠- العدد العاشر ٣٧ الكتاب ٥ الإكلا ٦ مما أهوا ف اللهم

٤٢٠١ - يسمى العدل بالجائع ٢٧ ح ٤ الحال . وراجع في ذلك
٤٢٠٢ - من الدليل ٢٢٢ و ٢٢٨ صناعتين . والمفهوم يعني ملحوظاً تتفق
كل من المثبتات والاشبهات بها اي قسم يعطنها الى بعض في المثبتات
وتكلّل في المثبتات اشبهات بها . ففيه الطرفان متعددان بحيث صار التشبيه
تشبيهات لا تشبيها واحداً .

للحفلة:

هذه الأقسام : الجمع واللف والتغريق والتسوية ، الأقرب فيها أنها :

كأن قلوب الطير رطباً وياساً لدى وكرها العناب والخشف البالى

(ب) وغير الملوف (٣١) بخلاف ذلك كقول المرقش الأكبر :

النشر مسك والوجوه دنا
نير وأطراف الأكف عنم (٣٢)

ومنه قول أبي الطيب :

يُسْدِتْ قَمَرًا وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ وَفَاحَتْ عَنْبَرًا وَرَنَتْ غَزَالًا (٣٣)

(ج) وأن تعدد طرقه أذول أغنى المشبه دون الثاني (٣٤) سمي

= من البديع لأنها من ثليل اللف والنشر الذي هو من الصنائع البدعية فكان وجه التعرض لها تكثيل أقسام التشبيه مع أن الملوف يشبه تشبيه المركب بالمركب ، والقصوبة يشبه الركبة بالفرد ، والجبع يشبه تشبيه المفرد بالمركب ، وإن كان لا يناس فيها ، والمفروق والمفون يجري في الوجه أيضاً .

(٢٢١) وهو التشبيه المفروق وهو أن مؤني يتشبه ومت شب به ثم آخر وآخر . وسمى مفروقاً لأنه فرق بين المشبهات بالمشبهات بها وفرق بين المشبهات بها بالمشبهات .

(٢٢٢) النشر : النشر : الرابعه، عن : هو شجر أحمر والمعنى : إن الحفظين تشبيه رائحة المسك في الطيب ، ووجوههن كالدندر في الاستداره والاستداره مع مخالفة الصفة لأن الصفة تستحسن في لوان النساء ، وأسلوبهن تشبيه بلون هذه الشجر في حمرتهم .

هذا والبيت من قصيدة في المفضلات ، راجعها في ص ١١١ - ١١٤ ،
ويوجد البيت أيضاً في ص ١٩٦ من رسالة الفهران ، ٢٢٨ مساعتين ، ٤١٢ دلائل الانجاز و ٨٨ أسرار البلاغة ، ٢٠١ معجم الشعراء .

(٢٢٣) الخريط : الفصن الناعم ، البان : شجر معندل القوام لين بورقة كورق الصفصاف ، رنَتْ : نظرت .

والبيت في الأسرار ص ١٧٠ والدلائل من ٢٢٢ وص ٢٤٥ .

(٢٢٤) وهو المشبه به .

تشبيه التسوية (٣٥) كقول الآخر :

صدغ الحبيب وحالى كاللialis
وتشعره في صفاء وأدمعي كاللالي

(د) وان تعدد طرفة الثاني أعنى التشبيه به دون الأول سمى
تشبيه الجمع (٣٦) كقول البحترى :

كائناً يسمى عن لؤلؤ منشد أو برد أو أقاح (٣٧)

ومثله قول امرئ القيس (٣٨) :

كان المدام وصوب الغمام وريح الخزامي ونشر القطسر
يعمل به برد أنيابها اذا طرب الطائر المستحر

(٢٢٥) لأن المتكلم سوى بين شبيتين او أكثر يواحد في التشبيه ،
والتشبيه به في البيت واحد لأن المراد بالمتعدد هنا وجود معين مختصى المديون
والمسدوق ، لا وجود لجزاء الشيء مع تساويهما كاللالي .
(٢٢٦) سمي بذلك لأنه جمع فمه للتشبيه وجوه تشبيه ، او لأنه جميع
له أمور تشبيهات بها .
(٢٧٧) قبله :

بات نديماً لي حتى الصباح اغيد مجدول مكان الوشباح
الاغيد : النائم الدبن . منشد : منظم البرد : حب الغمام . الانماح
جمع انحوان وهو برد له نور ونطه ابيض وهو المراد هنا ونطه الاخضر .
تشبه شعرة بثلاثة اشياء تالمتشبه هنا هو الشفر اي وقدم الاسنان ، والتشبيه
هنا هو التشبيه الذي بنيت عليه الاستعارة في البيت فهو تشبيه ضيق
لا صريح .

(٢٢٨) راجعه في ٢٨٤ ج ١ زهر الآداب ، ٤٧ رسالة الفرقان .
المدام : الخمر . صوب الغمام : وقمه . الخزامي : بنت زهره من
اطيب الازهار .

القطسر : عود ينبعز به . يعل به : يسقى مرة بعد مرة والضمير
للدام . برد أنيابها خبر كان . الطائر المستحر . الديك المصوت بالسحر .
يريد أنها طيبة الثم في الوقت الذي تخبت فيه الأدواء بعد النوم .

الا أن فيه شويا من القصد الى هيئة الاجتمع *

٢ - تقسيم التشبيه باعتبار الوجه :

وأما باعتبار الوجه فله ثالث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل ،
ومجمل ومفصل ، وقريب وبعيد :

(١) تشبيه التمثيل (٣٣) وغيره :

التمثيل (٣٤) : ما وجده وصف متزرع من متعدد أمرين أو أمور

(٣٣) راجع من ١٤٨ مفتاح ، ٧٥ ، ٢٠٧ اسرار البلاغة .
(٣٤) لا مانع من تنصيل الكلام هنا في هذا المقام في التبديل فنقول :
لعلماء البلاغة خصبة اراء في التشبيه والتبنيل .
١ - غير الزمخشري وعلماء اللغة ان التبديل والتشبيه لفظان
متراافقان على معنى واحد ، محمد كالبحر تشبيه او تمثيل .
٢ - وبرى الامام عبد الشافعى ان التبديل ما كان وجه الشبه فيه
عقلانياً غير فرزى والتشبيه ما كان وجه الشبه فيه حسرياً او غزرياً او
خلقياً ، « مجحة كالشمس » تمثيل ، و « وجه سعدى كالبلد » تشبيه
لا تمثيل .

٣ - وبرى الجھور ان التبديل ما كان وجه الشبه فيه هيئة متزرعة
من متعدد سواء كان الوجه عقلانياً مثل : « مثل الذين حملوا التوراة الخ »
أم كان الوجه حسرياً والطرعان :

(١) مرکبان . مثل قول بشار :
كان مثار النقشع فوق رعوسنا واسينا ليل تهاوى كواكب
(ب) او مفردان مثل قول الشاعر :
وقد لاح في الصبح التربى كما نرى كنعتود ملاحمة حين تروا
(ج) او كان الاول مرکبان والثانى مفرداً مثل :
ياصاحبى تتصببا نظركما تربى وجوه الارض كيف تصور
تربى نهاراً بشما قد شابه زهر الربى مكانما هو مفتر
(د) او كان الامر بالعكس مثل :
وكان محشر الشّفقي ق اذا تصوب او تصعد

اعلام ياقوت نشر ن على رمساح من زير جد
٤ - ويري السيد الجرجاني ان تمثيل ما كان طرفا التشبيه فيه
مركيين كقول بشار « كان مثار النفع الخ ». .
والتشبّيـه عندـه اعمـن ذلك ، مثل « وقد لـاحـ في الصـبحـ الـفـرياـ » مثلاـ.
٥ - ويري السـكـاكـيـ : انـ التـمـثـيلـ ماـ كانـ وجهـ الشـبـهـ فيهـ هـيـةـ
مـنـتـزـعـةـ مـنـ مـتـعـدـدـ وـكـانـ وـهـبـاـ .ـ وـالـمـارـادـ بـالـوـهـيـ : انـ يـكـونـ اـنـصـافـ اـحـدـ
الـطـرـقـيـنـ بـوـجـهـ الشـبـهـ لـأـعـلـىـ سـبـبـ الـحـقـيقـةـ الـلـغـوـيـةـ كـحـوـلـهـ تـعـالـىـ : « مـثـلـ
الـذـيـنـ حـلـوـاـ الـنـوـرـةـ الـآـيـةـ » مـالـحـلـ حـقـيقـةـ فـيـ الـمـحـسـاتـ مـجـلوـهـ فـيـاـ عـدـاـهـ .ـ
فـمـذـعـبـ الـرـمـخـشـرـيـ اـعـمـ بـطـلـقاـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ غـيرـهـ مـنـ الـمـاذـهـبـ حـجـةـ
كـالـشـمـسـ وـمـحـدـ الـاسـدـ تـشـبـيـهـ عـنـدـهـ وـانـ شـئـ قـلـ تـمـثـيلـ .ـ
وـبـيـنـ رـأـيـ الـجـمـهـورـ وـعـبـدـ الـقـاهـرـ عـومـ وـخـصـوصـ وـجـهـيـ .ـ
نـهـاـيـةـ : « مـثـلـ الـذـيـنـ حـلـوـاـ الـنـوـرـةـ الـخـ » تـمـثـيلـ عـلـىـ رـأـيـ عـبـدـ الـقـاهـرـ
وـالـجـمـهـورـ ، وـحـجـةـ كـالـشـمـسـ تـمـثـيلـ عـنـدـهـ لـاـعـنـدـ الـجـمـهـورـ » « وـقـدـ لـاحـ فيـ
الـصـبـحـ الـفـرياـ » تـشـبـيـهـ عـنـدـهـ لـاـعـنـدـ الـجـمـهـورـ .ـ
وـبـيـنـ رـأـيـ الـجـمـهـورـ وـالـسـكـاكـيـ عـومـ وـخـصـوصـ مـطـلـقـ ، نـهـاـيـةـ
« مـثـلـ الـذـيـنـ حـلـوـاـ الـنـوـرـةـ الـخـ » تـمـثـيلـ عـنـدـهـماـ ، وـقـولـ اـبـنـ الـمـعـتـرـ .ـ
كـانـ عـيـسـيـونـ الـنـرـجـسـ الـفـضـ حـولـاـ مـداـهـنـ درـ حـشـوـهـنـ عـقـبـ
تـمـثـيلـ عـنـدـ الـجـمـهـورـ وـشـبـيـهـ عـنـدـ الـسـكـاكـيـ .ـ
وـبـيـنـ الـجـمـهـورـ وـالـسـيـدـ عـومـ وـخـصـوصـ مـطـلـقـ يـجـتـمـعـانـ فـيـ قـولـ بـشارـ
كـانـ مـثـارـ النـفـعـ فـوقـ رـؤـوسـنـاـ الـخـ ، وـيـنـفـرـدـ الـجـمـهـورـ فـيـ : وـقـدـ لـاحـ فيـ الصـبـحـ
الـخـ .ـ

وـبـيـنـ عـبـدـ الـقـاهـرـ وـالـسـيـدـ عـومـ وـخـصـوصـ وـجـهـيـ يـجـتـمـعـانـ فـيـ الـآـيـةـ
(مـثـلـ الـذـيـنـ حـلـوـاـ الـخـ) وـيـنـفـرـدـ عـبـدـ الـقـاهـرـ فـيـ حـجـةـ كـالـشـمـسـ وـيـنـفـرـدـ
الـسـيـدـ فـيـ بـيـتـ بـشارـ .ـ

وـبـيـنـ عـبـدـ الـقـاهـرـ وـالـسـكـاكـيـ عـومـ وـخـصـوصـ مـطـلـقـ يـجـتـمـعـانـ فـيـ الـآـيـةـ
وـيـنـفـرـدـ عـبـدـ الـقـاهـرـ فـيـ « حـجـةـ كـالـشـمـسـ » .ـ

وـبـيـنـ الـسـيـدـ وـالـسـكـاكـيـ عـومـ وـخـصـوصـ مـطـلـقـ يـجـتـمـعـانـ فـيـ الـآـيـةـ وـيـنـفـرـدـ
الـسـيـدـ فـيـ بـيـتـ بـشارـ .ـ

نـهـاـيـةـ الـكـرـيمـةـ » اـنـزـلـ مـنـ السـمـاءـ مـاءـ فـسـالـتـ اوـدـيـةـ بـقـدرـهاـ مـاـحـتـمـلـ
الـسـيـلـ زـيـداـ رـابـيـاـ الـخـ ، مـثـلـ :
١١) هـيـ مـثـلـ شـرـبـهـ اللـهـ لـلـحـقـ وـالـبـاطـلـ ، فـيـنـاـلـ الـحـقـ فـيـ ثـيـاـنـهـ وـنـفـعـهـ

يالمساء الذى ينزل من السماء ، فتسلل به الأودية نجحا عليه الناس وبالفلز
الذى ينتفعون به فى صوغ الخلى واختاذ الأوانى والالات .. وان ذلك
ماكث ابدا فى الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت المساء فى مئافعه ويفنى آثاره
في العيون وفي النبات وكذلك الجوادر تبقى أرثنة طولية .

وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاته ووشك زواله وانسلاخه عن
المفهوم يزيد السيل الذى يرمى به وبزيد الفلز الذى يطفو فوقه اذا اذيب .
(ب) وهذه الآية تمثل عند عبد القاهر لأن وجه الشبه عقلى غير
غرزى ، وهو النبات والمفهوم فى الماء والفلز والحق ، والزوال السريع
عدم المفهوم فى الزيد والباطل . وهي ايضا تمثل عند الرمخشى وكذلك
عند الجمبور لأن وجه الشبه عقلية متنزعه من متعدد وهو ما بين الماء
والفلز والحق من تماثل فى الاستقرار والنفع وما بين الباطل والزيد من التلاشي
وعدم النفع . وكذلك هي تمثل عند السكانى لأن وجه الشبه وهى
اما السيد غالا بري مثل هذا تمثيلا لأن الطرفين غير مركبين .

وبهت التوكى :

وكان النجوم بين دجاها سفن لاح بينهن ابتداع
وجه الشبه فيه الهيئة الحاملة من حصول اشباد مشعرة ببعض فى
جوائب شىء معلم اسود قشبة النجوم ما بين الدياجى بالسفن ما بين
الابتداع فى ذلك .

وهذا البيت تمثل على رأى الجميع :

اما عند الرمخشى ظاهر ، واما عند الجمبور غلان وجه الشبه
فيه عقلية متنزعه من متعدد ، واما عند السيد غالان الطرفين مرکبان ، واما عند
السكانى غلان اتصاف الشبه به بوجه الشبه خيالى ، واما عند عبد القاهر
غلان وجه الشبه عقلى غير غرزى اذ ان المشبه به عقلى فلا يكون وجه
الشبه في البيت الا عقليا ولأنه يحتاج الى التأويل وذلك ان تشبيه البعدمة
والصلة بالظليلة وتشبيه السنة والهدى بالنور مما يحتاج الى تأويل .

ومن الجدير باللاحظة ان التشبيه محتاج الى التأول دون التشبيه
عند عبد القاهر ، والتأول فى التشبيه هو طلب المسال والمراجع فيه اى
طلب الوصف المشترك بين الطرفين فى الواقع وتفسير الأمر .

وأنسر فى احتياج التشبيه الى التأول دون التشبيه عند عبد القاهر
هو ان وجه الشبه فى التشبيه ظاهره خلاف المقصود منه وان الاشتراك
بين الطرفين فى حكم لازم لوجه الشبه ومتى لم تتوافق له ملائجع فى الحقيقة لازم

• • • • •

لما ذكر في الكلام أو لهم منه ، فقولنا : خلقك كالزهر نمرة وكالربيع
جمالاً ، ليس المقصود فيه تشبيه الخلق بالزهر في النمرة ولا تشبيهه بالربيع
في المجال ، إنما المقصود تشبيه الخلق بالزهر من جهة ما يلزم النمرة من
ارتفاع له وحجمه أيام ونائمه عليه ونوع ذكره فيما ذيوع أرج الزهر بين
الرياحن والخالل والازهار والورود ، وكذلك تشبيه الخلق بالربيع في
الحسن ليس الحسن هو وجه الشبه الحقيقي إنما هو شفف الناس به
وأجلالهم أيام وضنعمهم بتبيل أخلاقه وكرم أيامه تمنع العاشق المقبول
والصب المشم بمشادة محسن محبوبته وبمان لبلاء ، فالمراد الأخبار بان
السابع يجد من تبل أخلاق هذا الرجل ما يجده الناظر لنمرة الزهر والرائى
لحسن الربيع ، فتجد إنما في بيان الوجه في التبيل قد احتجنا إلى التأول .
اما التشبيه فالجامع فيه عند عبد القاهر امير حسنى مشاهد ظاهرة
باطنه والجائع في الطرفين على حد سواء غالباً الامر انه ينحوت ضعفها
وقوة او قلة وكثرة .. فإذا قلنا : « شسمرا كنكحة الليل » فلانا ننصر
سوداد التصرع وظلام الليل جميعاً وان كانا يختلطان في السواد دفوة وضففة .
وهكذا فالجامع بين الطرفين في التشبيه هو نفس الصفة المذكورة
في الكلام او التي تفهم بادى ذى بدء منه فلا يحوج الامر فيه الى التأول .
الخلاصة :

١ - التبيل والتشبيه عند الزمخشري وعلماء اللغة متادهان بكل
تبيل تشبيه وبالعكس .

ويرى الجمهور ان التبيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعه من
متعدد سواء كان :

الوجه حسياً ، والطرفان :

(١) مركبان مثل :

كان مشار التقيق موق رعوسنا وأسياننا ليل تهاؤى كواكبه

(ب) او مركب ومفرد مثل :

ياصاحب ننسيا نظرينا تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريرا نهاراً مشماً قد شابه زهر الريا نكتانا هو مفتر

(ج) او مركب ومفرد مثل :

وكان محسر الشتم سـ اذا تصوب او تصعد

اعلام ياقوت نشر ن على رماح من زيرجد

(د) او مفردان مثل :

وقد لاح في الصبح التريا كما نرى كعنقود ملاحية حين نورا =

وقيده السكاكى بكونه غير حقيقى (٣١) ، ومثل بصور مثل بها
غيره ومنها قول ابن المعتز (٣٢) :

اصبر على مخضن الحسو د فان صيرك قاتله
فالنار تأكل بعضها ان لم تجدد ما تأكله

فإن تشبيه الحسود المتروك مقاولته مع تطليبه إليها لينال بها
نفقة مصدر بالنار التي لا تمد بالحطب في أمر (٣٣) حقيقي متزرع

أو كان الوجه عقلياً مثل : مثل الذين حملوا التوراة الخ ، و على
مذهب الجمهور يكون التشبيه أعم مطلقاً .

ويرى السيد أن التشبيه ما كان طرفاً له مرتكب ، والتشبيه أعم .
ويرى عبد الناصر أن التشبيه ما كان وجه الشبه فيه عقلياً غير غرزي .

ولا خلفي ، والتشبيه ما كان وجه الشبه فيه حسرياً أو غرزياً أو خلفياً .
فيما عنده عموم وخصوصاً مطلق .

ويرى السكاكى أن التشبيه ما كان وجه الشبه فيه هيئة متزرعة من
متعدد وكان وهبها . واللوهي أن يكون أحد الطرفين قد اتصف بوجه الشبه
لا على وجه الحقيقة كقوله :

وكان التجسيوم بين دجاجها سفن لاح ينتهي ابتداء
هذا الوجه في التشبيه هيئة متزرعة من متعدد سواء كان طرفاً
منفرداً أو مركبين أو مختلطين وسواء كان الوجه حسرياً أو عقلياً أو اعتبارياً
وهيئاً وهذا هو مذهب الجمهور ، والسيد بشقرطة تركيب الطرفين ،
والسكاكى يشترط أن يكون الوجه وهبها . أما الزمخشري فيجعل التشبيه
متعددًا للتشبيه . تأثر بالمتعدد هنا بالله تشدد في الجملة سواء تعنى
التنوع بأجزاء الشيء الواحد أم لا .

أى قيد الوجه المتزرع من متعدد بإن يكون الوصف غير حقيقي
أى غير منافق حسرياً ولا عقلياً بل كان اعتبارياً وهبها .

(٢٢٢) تجدها في المعتقد ٣٠٦ ج ١ + والنتائج ١٤٨ ، والأسرار

ص ٧٧ .

٤٣١، عند السكاكى : في أمر متهم ، وفي أمر نصوري ، وفي أمر
توهبي . فيكون قول الخطيب في أمر حقيقى زيادة من عنده على كلام
السكاكى يقصد بها بيان الأمر عند الجمهور نقداً للسكاكى في اعتبارها أمراً
وهيئاً .

من متعدد وهو اسراع الفتاء لانقطاع ما فيه مدد البقاء . . . ومنها قول صالح بن عبد القدس (٣٤) :

وَانْ مِنْ أَدِبْتِهِ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يَسْقِي الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ
حَتَّى تَرَاهُ مُونِقاً تَاضِراً بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرَتْ مِنْ يَسِيهِ

فَانْ تَشْبِيهُ الْمَؤْدِبَ فِي صِيَاهِ بِالْعُودِ الْمَسْقِي أَوْ أَنْ غَرَسَهُ فِيهَا يَلْزَمُ
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ كُونِ الْمَؤْدِبِ فِي صِيَاهِ مَهْذِبِ الْأَخْلَاقِ حَمِيدِ الْفَعَالِ لِتَأْدِيبِهِ
الْمَصَادِفِ وَقَتْهُ ، وَكُونِ الْعُودِ الْمَسْقِي أَوْ انْ غَرَسَهُ مُونِقاً بِاُورَاقِهِ
وَنَخْرَتِهِ لِسَقِيَةِ الْمَصَادِفِ وَقَتْهُ ، مِنْ تَنَامٍ (٣٥) الْمَلِيلِ وَكَمَلِ الْاسْتِحْسَانِ
بَعْدَ خَلَافٍ (٣٦) ذَلِكَ . . . وَمِنْهَا قَوْلُهُ (٣٧) تَعَالَى : مِثْلُهُمْ كُمْلَ الْذِي
اسْتَوْقَدَ نَارًا ثُلَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكُوهُمْ فِي ظُلُماتٍ
لَا يَبْصِرُونَ ، فَانْ تَشْبِيهُ حَالَ الْمَاقِقِينَ بِحَالِ الْمَوْهَفِ بِصَفَةِ الْمَوْهَفِ
فِي الْأَيَّةِ فِي أَمْرٍ (٣٨) حَقِيقِي مُنْتَرِعٌ مِنْ مَتَّدِّدٍ ، وَهُوَ الظَّمْعُ فِي حَصْولِ
مَطْلُوبٍ ، لِمَبَاشِرَةِ أَسْبَابِهِ الْقَرِيبَةِ مَعَ تَعْقِبِ الْحَرْمَانِ وَالْخَيْبَةِ لِإِنْقَلَابِ
الْأَسْبَابِ (٣٩) .

وَغَيْرِ التَّمْثِيلِ مَا كَانَ بِخَالِفِ ذَلِكَ كَمَا سَبَقَ فِي الْأَمْثلَةِ المَذَكُورَةِ .

(٣٤) مِنْ أَبْيَاتِ رَاجِعِهَا فِي صِ ٢٢ مِنَ الْأَدْبِ الْعَيَّانِي لِمُحَمَّدِ
مُصطفَىٰ ، وَتَجِدُ الْبَيْنَ فِي صِ ٣٦٢ جِ ١ الْعَقْدَ ، ١٤٨ الْمُنْتَاجَ ، ٧٧ الْأَسْرَارَ ،
وَفِي الْبَيْانِ صِ ١٦٩ جِ ٢ شِعْرٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى .

(٣٥) قَوْلُهُ « مِنْ تَنَامٍ » مُتَعْلِقٌ بِقَوْلِهِ « نَعِيْمَا يَلْزَمُ كُلَّ وَاحِدٍ »
الْمَسَاقِ .

(٣٦) هَذِهِ الْجَملَةُ لَيْسَتِ فِي الْمُنْتَاجِ ، بَلَ الَّذِي تَبَاهَ « وَكَمَلَ
الْاسْتِحْسَانَ حَالَهُ وَهُوَ كَمَا تَرَى أَمْرٌ نَصُورِي لَا صَفَةَ حَقِيقَةٍ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
مُنْتَرِعٌ مِنْ عَدَّةِ أَبْوَارٍ » .

(٣٧) رَاجِعُ ١٤٨ مِنَ الْمُنْتَاجِ .

(٣٨) فِي هَذِهِ الْجَملَةِ مَا سَبَقَ شِرْحَهُ فِي نَظِيرِهِ السَّابِقَةِ .
(٣٩) وَالْخَلَاسَةُ أَخْيَرًا أَنَّ التَّقْبِيلَ عَنِ الْسَّكَاكِيِّ أَخْسَرَ مِنْهُ بِتَقْبِيلِ
الْجَمِيعِ . إِنَّمَا عِنْدَ الرَّوْمَخْشِرِيِّ تَكُلُّ تَشْبِيهِ تَقْبِيلٍ وَلَوْ كَانَ الْوَجْهُ بِمَرْدَابٍ .

(ب) التشبيه المجمل والمفصل :

والجمل ما لم يذكر وجهه :

١ - فمنه ما هو ظاهر ، يفهمه كل أحد حتى العامة ، كقولنا
« زيد أسد » ، إذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه في الشجاعة
دون غيرها .

٢ - ومنه ما هو خفي لا يدركه إلا من له ذهن يرتفع به عن
طبقة العامة ، كقول من وصف بني المهلب ^(٤١) للحجاج لما سأله
عنهم وان أيهم أشد ، « كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها » ،
أى لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف يمتنع تعين بعضهم فاضلا
وبعضهم أفضل منه ، كما ان الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع
تعين بعضها طرفا وبعضاً وسطاً ، هكذا تشبه الشيخ عبد القاهر إلى
من وصف ببني المهلب ^(٤٢) ، ونسبة الشيخ جار الله العلامة إلى
الأنمارية ، قيل هي فاطمة بنت الخرسن ^(٤٣) ، سئلت عن بناتها أيهم
أفضل ، فقالت : عماره ، لا بل فلان ، لا بل فلان لا ، ثم قالت : تكلتم

= وذهب عبد القاهر إلى أنه يستلزم في التشبيه أن لا يكون الوجه حسابا
كان عقلياً أو اعتبارياً وهما ، وأعمم هذه المذاهب مذهب الزمخشري وبنته
في العموم مذهب الجمهور وبنته مذهب الشبيخ . ثم الهيئة من حيث أنها
هيئة اعتبارية يعلوها صبغة أو عقلية أنها هو باعتبار الأمور المترعة منها .
هذا وقد كتب السيد في حاشيته على المطول من ٣٩١ وما بعدها
كلامًا طويلاً في التشبيه التشليل ، واختار أن وجهه كطرف فيه لابد في ثلاثة
من التركيب .

^(٤٠) وهو كعب بن معدان الأشقرى .

^(٤١) وفي معناه « دربة بعضها من بعض » .

^(٤٢) وهذا في الكامل لل McBride ٤٤٤ ج ٢ ، وفي زهر الأدب ٤١٣

و ٢١٤ ج ٢ ورواه عبد القاهر في الأسرار من ٧٤ .

^(٤٣) وراجع الرواية منها في الأدب في العصر الجاهلي من ٤٤١

وق الكابل لل McBride من ١٠٨ ج ١ حديث عنها .

أن كنت أعلم أليم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرقها » ٠
وأيضا منه (٤٤) ٠

(أ) ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه (٤٥) به
كالمثال الأول ٠

(ب) ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده (٤٦) كالمثال الثاني ٠

ونحوه قول زياد الأعجم (٤٧) :

وانا وما تلقى لنا ان هجوتنا لکالبحر مهمتا تلق في البحر يفرق

وكذا قول النابغة الذبياني (٤٨) :

فانك شمس والملوك كواكب اذا طلت لم ييد منها كوكب

ومنه ما ذكر فيه وصف كل واحد منهمما كقول أبي تمام (٤٩) :

(٤٤) اي من التشبيه الجيل ، اما المفصل عليه وجه فلا يذكر فيه الوصف المذكور للشجر ، فهو ذكر الوصف الشجر بالوجه في التشبيه المفصل لكن تكرارا وهو مستقى .

(٤٥) اي لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به ، يعني الوصف الذي يكون فيه ايماء الى وجه المشبه ، نحو زيد اسد .

(٤٦) اي دون وصف المشبه ، اي الوصف الشجر بوجه الشبه ، كقولها « هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرقها » ، فوصف المشبه به هو نفي الدراسة ، اما وصف الحلقة بالذراع فلتحقق المشبه به وحيثنة فلا دخل له في الاماء الى وجه الشبه .

(٤٧) راجعه في ٧٦ و ٤١٢ من الدلائل .

(٤٨) راجعه في الاسرار من ١١٩ ، ٢٦ ، ٣ من الكامل ، ٤ من المثلث ، ٩٩٠ ، ٢٢٧ من اربعين ، ٩٢ ج ٣ زهر الاداب .

(٤٩) راجعه في الموازنة من ٤٣ ، وفي المثل السادس من ١٥٧ ، صدقته عنه : اعرضت عنه . واماك : امثال . ريق كل شيء اي افضله ، فوصف المشبه اعنى المدوح بان عطایاه دائفة عليه اعراض او لم يعرض ، وكذلك وصف المشبه به اعنى الغيث بانه يصيغ ان جنته او ترحلت عنه .

(٤٤) م ٧ - الابضاح ج ٤

صافت عنه ولم تصدف مواهبه عنى ، وعاوده ظنى فسلم يخب
كالغيث ان جئته وافق ريقه وان ترحلت عنه لج في الطلب

والمفصل : ما ذكر وجهه (٢٥٠) ، كقول ابن الرومي (٢٥١) :

يا شبيه البدر في الحس
من وفي بعد النزال

جرة بائمه الزلال
جد فقد تنفجر المص

وقول أبي بكر الخالدي :

يا شبيه البدر حسنا
وشيبي الغصن ليانا

أنت مثل الورد لونا
ونسيما وميلا

زارنا حتى اذا ما سرنا
لقرب زالا

وقد يتسامح بذلك ما يستتبعه مكانه (٢٥٢) : كقولهم في وصفه

والوصنان مشعران بوجه الشبه وهو مطلق الانفاسة في الحالين ، اعني الانفاسة في حالتي الطلب وعددي بالنسبة للغيث الشبيه به وحالتي الاقبال عليه والاعراض عنه بالنسبة للمدوح الشبيه وترك المصنف ما ذكر فيه وصف الشبيه فقط ولعله لعدم التظر له بيتأل في كلامهم وبمثال الشمس التي اذا ملعت لم يدب كوكب مثالك .

يقوله (٢٥٠) اي حقيرة او ذكر فيه ملزم ووجه الشبيه كما سيشير اليه

بتقوله « وقد يتسامح » .

(٢٥١) راجعهما في ٢٥٤ من الاسرار . المثال : التناول او مكانه ،

يعنى بعد وصاله وانه مثل البدر في بعد مثاله .

(٢٥٢) اي مكان وجده الشبيه وبخلاف منه ، اي قد يتسامح بذلك ملزم وجده الشبيه ، غير تكون ذلك من التشبه المفصل ايسا ، اي قد يتسامح بذلك مكان وجده الشبيه امر يستلزم ذلك الامر وجده الشبيه ، ويعنى ذكره مكانه ان يؤتى به على طريقته من ادخال « في » عليه ليخرج بذلك ذكر الوصف المشعر بالوجه لاحد الطرفين او كلها مانه لا يذكر على طريقة وجده الشبيه .

وراجع ذلك في من ١٤٥ مقنح ، ٧٣ و ٧٤ و ٧٨ من الاسرار .

الإلفاظ اذا وجدوها لا تنتقل على اللسان ، لتنافر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مألوفة ، ولا مما تبعد دلالتها على معاناتها : هي كالعسل (٢٥٣) في الحلاوة وكالماء في السلاسة وكالنسيم في الرقة ، وقولهم في الحاجة اذا كانت معلومة الأجزاء ، يقينية التاليف بينة الاستلزم للمطلوب : « هي كالشمس في الظهور والجامع في الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع (٢٤٤) » ، ولازم السلاسة والرقة وهو افاده النفس نشاطاً وروحاً ، ولازم الظمور وهو ازالة الحجاب فان شأن النفس مع الالفاظ الموصولة بتلك الصفات كثائرها مع العسل الذي يلذ طعمه ، فتهش النفس له ، ويميل الطبع اليه ، ويحب وروده عليه ، او كثائرها مع الماء الذي يسون في الحلق ، ومع النسيم الذي يسرى في البدن ، فيدخل المسالك منه ، فيفيدان النفس نشاطاً وروحاً ، وشائعاً مع الشبيهة التي تمنع القلب ادراك ما هي شبيهة فيه كثائرها مع الحجاب الحسى الذي يمنع أن يرى ما يكون من ورائه ، ولذلك توصف بأنها اعتبرت دون الذي يروم القلب ادراكه ، قال الشيخ صاحب المفتاح (٢٥٥) : وتسامحهم هذا لا يقع الا حيث يكون التشبيه في وصف اعتباري كالذى نحن فيه . وأقول : يشبه أن يكون تركهم التحقيق في وجه الشبه على ما سبق التشبيه عليه من تسامحهم هذا . انتهى كلامه .

٧٢ (٢٥٣) راجع من الاسرار .

٢٥٤) وهذا وجہ فی المثال ویحتمل ان تكون الحلاوة نفسها هی وجہ الشبه ویکون وجودها فی الشبہ وھو الكلام علی وجہ التخیل کما فی تشبيه السنة بالنجم والبدعة بالظلمة ، وهذا هو الاترب لانه علی الوجه الاول يكون مجازا ولا تسابح فيه . هذا والتلازم يكتفى فيه بالتلازم العادی ولا يشترط ان يكون عقلانيا فالمراد بالاستلزم هنا مجرد الحصول مع الحضون سواء كان عاديا او عقلانيا ولا يشترط التلازم العقلي .

١٤٨ (٢٥٥) راجع من المناج .

(ج - التشبيه القريب والبعيد (٢٥٦))
والقريب (٢٥٧) المبتدل (٢٥٨) وهو ما (٢٥٩) ينتقل فيه من المشبه
إلى المشبه به .

أسرار البلاغة . راجع من ١٤٩ و ١٥٠ من المفتاح ، من ١٣٥ - ١٥٦ من

(٢٥٧) أي يستعمله العامة وغيرهم .

(٢٥٨) أي المداول .

(٢٥٩) أي التشبيه الذي .

ملاحظة :

لتفصيل الكلام في قرب التشبيه وبعده وغرابته وسبب القرابة تقول :

تسمع البياتين يقولون : تشبيه غريب وغيره غريب فنفهم معنى ما يقولون بطريق الإجمال دون التفصيل ولكن هذه المعرفة الإجمالية لا تغنى عنه التفصيل لأن لوضوح المحدود وذكر الفروق وبين التقسيم خالدة جلى عند الملاوي يتم بها الغرض وتشكّن إليها النفس ويرتاح لها الفواد : أما الضباب العام في سبب القرابة فهو بعد الشبه في يادي الرأي بأن يكون الشبه المقصود من المشبه بما لا ينزع اليه الخاطر إلا بعد بحث ورميّة لأن الانتقال في التشبيه من المشبه إلى المشبه به مما لا يقع إلا بعد انتقام النظر وتحريك الفكر واستعراض الصور والأخيلة لاختيار ما يناسب الغرض وبشكل المقصود ، ومبدأ يكون التشبيه غريبا ، فإن كان الانتقال في التشبيه من المشبه إلى المشبه به غير محتاج إلى شيء من ذلك لظهور وجه الشبه في يادي الرأي فالتشبيه ليس بغيري .

أمثلة لفهي القريب : قوى الشمس فيجري في خاطرك استدراجه وأسراق نورها ويستحضر ذهلك عند ذلك من غير كد صورة المرأة المجلولة ، وبقراءي له الشبه بين هذين الأمرين .

ومن التشبيه غير الغريب تشبيه الوشى المنشور الذي تفتت في حسنه العيون وتتعدد في رقتها المنعم الإيسار بالروض المطلور يفتر فيه النور وتنصاع بين أفنانه الأزهار ، وتشبيه السيف الجلو المسماو بالبرق الخاطف المستطر .

فالآية السابقة لم يكفيها التفكير في عقد الشبه بين المطرفين ولكن هل يسرع الخاطر هذا الأسراع إلى تشبيه الشمس بالمرأة في كفت الاشت ، وهل يستحضر الذهن بهذه الطفرة تشبيه البرق الخاطف بأصبح السارقة

* * * * *

كما يقول كشاجم ، وهل يجلو الأديب بسهولة دون تكير تشبيه البرق في أنيساته وانتباشه بانتفاح المصحف وانتباشه بسهولة دون تكير كما يقول ابن المطر ، أو تشبيه الشقيق باعلام يافوت على رماح زيرجد ، أو تشبيه النجوم الساطعة في زرقة السماء المسافية بالذر المذكور على بساط أزرق كقول الرقى ، وغير ذلك من التشبيهات التي تتجوّل إلى التكير وناتي بعد الكد والروية والتي تنظم في سلك التشبيه الغريب .

سبب فرادة التشبيه وظهوره : عللت أن ضابط الفرادة ومدتها في التشبيه هو بعد المكرة في الشبه أو قريها وخداء الوجه أو طهوره ، فكان بعض الشبه حاضرا في الفكر أبدا وبعضا كالغائب عنه وبعضا كالبعيد عنه لا ينال إلا بعد الانعام والتكرار . أما سبب ذلك فيرجع إلى أحد

ثنين :

- ١ - حضور المشبه به في الذهن أو بعده عنه .
- ٢ - الإجمال أو التفصيل .

(١) حضور المشبه به في الذهن أو ندرة حضوره :

ما يقتضي حضور المشبه في الفكر ، وثبوت صورته في النفس كثرة مشاهدته ورؤيته بالبصر أو ادركه بالحدى الحواس كن وقت أو حين ، وبعكس ذلك كان من سبب بعد الشبه من الذهن وعدم مدوره بالخاطر ذلك رؤيته وندرة مشاهدته وأنه بما يحس حيناً يعد حيناً ، وذلك أن الحواس ولا سيما البصر هي التي تحفظ صور الاشياء في النفس وتحدد مهدتها بها وإندتها لها وتبتعد عنها أن تزول عن الفكر أو تمحى من الذاكرة ، وعلى ذلك فإذا كان المشبه به — وصفاً أو مسورة أو هيئة — غالباً ان يتسرّع في الذهن أما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما كتشبيه النباحة بالوردة وإنملقاً لكتوروه على الحس كتشبيه الشخص بالمرأة امجلوه كان التشبيه فيه قريباً مبتدلاً .

وما كان بالضد من ذلك ، بأن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن أما عند حضور المشبه وبعد المناسبة بينهما كما في تشبيه اليقنسنج بنار انكيريت ، وأما مطلقاً .

١ - لكونه .

(٢) وهبنا كما في تشبيه المتبة بآيات الاغوال .

(ب) أو مرکباً خيالياً كتشبيه الشقيق باعلام يافوت بمشهورة على رماح من زيرجد .

• • • • •

(ج) أو عقلياً كتشبيه أحبار اليهود بالحمار يحمل أسفاراً .
٢ — أو تكونه لا ينكر على الحس كتشبيه الشخص بالمرأة في كتب
الأشيل .. مما كان من التشبيه كذلك فالتشبيه المردود إليه غريب نادر
وخاصي بطبع .

وبين هاتين المربتين أوساط قيمتها البلاغية بحسب حالها منها
لها قرب منها إلى الأولى فهو قريب وما قرب إلى الثانية فهو افضل
وأعجب .

(ب) الاجمال والتفصيل .

الجملة دائماً أسيق إلى النفس من التفصيل شوأة كانت في الشهادات
الحسنة أم في العقليات البعيدة . الا ترى أن النظرة الأولى لا تبلغ حقيقة
الشيء على التفصيل بل على الجملة ثم بانعام النظر وعما واده تحصل إلى
التفصيل ، وهكذا سائر الحالات حكمها في أول ادراكها «جمل قاصر » ثم
تدرك بها في المرة الثانية تفاصيل الشيء الحس ومقاييسه ، غالباً شك أنك
تدرك من تفاصيل الصوت أو الذوق مثلاً في المرة الثانية ما لم تدركه في
المرة الأولى .

وبالادراك التفصيلي يتضليل الناظرون والسامعون غالباً المعرفة
الاحتمالية فتستوي فيها الأقدام ، فمن ادرك تفصيل ما رأى أو سمع أو تذوق
كان كمن يختار الشيء من بين جمله وكمن يميزه مما اختلط به ، ومن لا يفهم
التفصيل فهو كمن يأخذ الشيء جزاماً .

وهكذا ما يدرك العقل ، الجمل فيه أسيق إلى الذهن ، والتفاصيل
مهمورة فيما بينها لا تحضر إلا بعد أعمال الروية والتفكير .
وينتسب الحال في الحاجة إلى الفكر بحسب مرحلة اولى من الجامع
من حد الجملة وحد التفصيل فكلما كان الشيء أوغل في التفصيل كانت حاجته
إلى الروية والتفكير أكثر .

فما يشارك الأمرين في وجه الشبه اذا كان من جهة الاجمال بحيث
لا بشوئه شيء من التفصيل كاشتراكهما في السواد أو الحبرة مثلاً — لم
يتحقق إلى القياس والتتشبيه ، فان نال التشبيه شيئاً من التصاليل احتاج
بعد ذلك إلى أعمال الفكر مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة النشان ، فان زاد
تفصيله ازداد الضرر قوله في اقتضاء الفكر وطلب الروية نحو تشبيه سقط
التار بعين الديك في قول الشاعر : وسقط كعن الديك الخ ، فان ما في
المتشبيه به من تفصيل وخصوص من يزيد على النظرة المجلمة من كون الحبرة

• • • • • • • • • •

رقيقة ناصعة والسود صافيا برأها كتشبيه الشمس بالمرأة في كف الاشلاء
فإن وجه الشبه — وهو الاستدارة والاتساق والحركة المسرعية المتصلة
والنبوغ والاضطراب في الاتساق لا يقوم في نفس الناظر للمرأة الدائمة
الاضطراب إلا بعد النظر والتأمل .

وبحاجة التشبيه إلى اعمال الفكر ترتفع طبقته في البلاغة .
تضليل الغرابة هو خفاء الفكرة في الشبه ، وبعد الشبه في يادىء
الرأى بأن يكون الوصف المقصود من التشبيه به مما لا يتزع اليه المخاطر
الا بعد بحث وروبة لأن الانتقال في التشبيه من الشبه الى المشبه به مما
لا يقع الا بعد انعام وتحريك الفكر واستعراض الصور والاخيلة لاختبار
ما يناسب الفرض وبشكل المقصود وسبب ذلك يرجع الى احد ابرين :

الأول : ندرة حضور المشبه به في الذهن : اما عند حضور المشبه ،
لبعد المناسبة بينما كما في تشبيه البنفسج بنار الكبريت ، وأما مطلقاً لكونه
وهيباً كتشبيه المذلة بانتساب الأغوال ، وتتشبيه التوى بالغول كما في قول
الشاعر :

ثم شبت لي التوى الحرب فيه وهي غول هريرة الاشداق
او مركباً خيالياً كتشبيه الشقيق بعلام باقلام باقوت مشورة على رماح
من زيرجد او عقلنا كتشبيه اخبار اليهود بالحار يصل امساكاً ، او لكونه
لا يذكر على الحصى كتشبيه الشمس بالمرأة في كف الاشلاء .

وما كان كذلك فالتشبيه المردود اليه غريب نادر وخاصة بديع .
وذلك ان قلة مشاهدة الشيء وندرة رؤيته بالبصر وأنه بما يحس حيناً
بعد حين مما يقتضى بعد التوى عن الذهن وعدم مروره بالمخاطر لأن الحواس
ولا سمعاً البصر هي التي تحفظ صور الأشياء في النفس ، وتتجدد مهدتها
بها والدها لها ، وتبنيها أن تزول عن الفكر أو تخفي من الذاكرة ، فإذا كان
المتشبيه به مما لا يرى إلا نادراً فلت مشاهدته وضفت ملاحظته وكان
المتشبيه المقود عليه غريباً نادراً .

الثاني : التفصيل :

الجملة دائماً أسيق إلى الذهن من التفصيل ، واقل منه اثراً في ادراله
الأشياء ، ولا يصل الإنسان إلى التفصيل إلا باتمام النظر وتعاونه لأن
التفاصيل مفهورة فيما بين الجمل لا تحضر إلا بعد اعمال الروبة والفك .
وكلما كان الوصف أوغل في التفصيل كانت الحاجة إلى التكثير أكثر ،

• • • • •

والتقر الى التابل اشد ، فاشتراكاً الطرفين في وجه الشبه ان دخل في
التفصيل شيئاً احتاج بقدر ذلك الى اعمال الفكر وكم الذهن كتشبيه الحجة
بالبالغة بالشمس الساطعة .

لذا زاد تفصيله بخصوص يدق من البيان ، ويعرف بفضل التابل
والامان ازداد الامر قوة في انتقاء الفكر وطلب الروبة كتشبيه بشاشة
لاريجية والتى يلتقط الصبح في الدجى في قول الشاعر :

أمى ابتسالك والالوان كاسفة

تيسم الصبح في داج من الظل
وكتشبىه سقط النار يعنى الديك في قول الشاعر :

وسقط كعنى الديك غاورت صحبتي

ابها ، وهياانا لوسمعا وكرنا

نان ما في الشبه به من تفصيل وخصوص يزيد على كون الحمرة رقبتة

ناتاصعة والسوداد صانها براما .

ولتفاوت مراتب التفصيل واختلاف الحاجة الى الفكر يحسب ذلك ،
تفاوتت مكانة التشبيه في البلاغة ، مقولنا : « في طرف هذه العذراء سحرها
روت من فنكه بالالباب ، واثارته لمكان الموى والاعجب » ابلغ واروع
من ان نقول : طربها سحره سيمه ناك » ، وذلك لأن التفصيل والخصوصية
في التشبيه به الاول (سحرها روت) اكثر واظهر منها في الثاني (وهو
السم) .

وحسبنا ان ننظر الى قول الشاعر :

يتتابع لا يتنفس غصبه بايضا كالثقبس لـ المذهب
ثم تقابل به قول الآخر :

جمعت ردينيسا كان شباته

ستا لهب لم يتصل بدخان

فسترى ان البيت الثاني ابلغ واروع من الاول ، وان كان الشبه به
شيئا واحدا فيما وهو شعلة النار . وذلك ان في الثاني تفصيلاً لطيفاً
اغفله الاول ، فقد زاد زيادة جملة ومقدار الى غرض بلغ ، هو ان تصر
التشبيه على مجرد النار الملمبة دون ما يتصل بها من دخان ، حتى لا تندفع
الذاكرة والروبة فيحقيقة الشبه ، اما الشاعر الاول فقد اجهل ولم يخرج
ذلك « دخان الداجن الذى يمنع من قيام التشبيه ، ويزيل روعته ، فنافى
البيت الثاني الذى تراه ابلغ واروع واقضى لحقائق التشبيه ودفاتق

الاوصاف ، غان التفصيل الذى اتى به مما لا يقع في الخاطر ل الاول وهلة ،
بل لا يدفعه من الانة والروبة والنظرية الفاحصة التي ترى في الاصل (وهو
المتشبه به) ما يدفع في حقيقة التشبّه وهو الدخان الذي يعلو راس الشعلة
مع خلو السنان مما يشبه ذلك ، فتاتي بما يدفع هذا الخطأ ، ويرفع ذلك
الшиб .

هذا ويقع التفصيل على ثلاثة وجوه :

الأول : ان يصل المشبه بان يأخذ بعض اوصاف المشبه به ويدع
الآخر كما فعل امرؤ القيس حين فعل الدخان عن سنا اللب ، وجده
عنه ، واثبت السنان بغيره .

الثاني : التفصيل بالنظر الى اوصاف المشبه وتطلبها في المشبه به
واعتبارها كلها فيه كتشبيه الثريا يعتقد الكرم في قول الشاعر :
وقد لاح في الصبح الثريا كما ترى كمن قود ملاحقة حين نسورة
لتافق الهنطين في الشكل واللون والتقارب على الوجه المخصوص .
الثالث : التفصيل بالنظر الى خاصية تخص المشبه به ومنظير نيه ،
وذكرها في التشبّه ، وذلك كالخاصية التي تجدها في صباح البواري في قول
الشاعر :

كان على انبابها كل سحرة صباح البواري من صريف النواك
وكما في التشبيهات بها في هذه الایات :
من كل زاهرة تفرق بالشدى نكالها عين اليك تحدر
تبعد ويجيبها الجيم كانه عذراء تبدو تارة وتختسر
من تاقع غض النبيلات كانه درر تشدق قبل شه فزع عسر
فإن الأدب لا يقنع بان هذا صوت وذلك بين وشك عذراء وهذه درء
ولكته ينفذ الى أعمق الاشياء ، فتقول : هذا صوت شاد وشك من تنحدر ،
وهذه عذراء تبدو تارة وتختسر اخرى ، وهذه درر تشدق ثم تزعر .
والتفصيل مراتب كثيرة ، وراتب بلية ، وقاتل بلية ، وما يكثر
فيه التفصيل ما كان من التشبّه مركبا بين شيئاً أو اشياء وهو على
قسمين :

الأول : ان يكون المشبه به يقدر المشبه وصفاته ويكون غير موجود
في الخارج كتشبيه الترجم بمداهن در حشوهن عقيق وكتشبيه الشقيق
باعلام يافت على رماح من زبرجد وكتشبيه الشلوفر الذي يدبليس عسد
تضبيها من زبرجد في قوله :

كانت ياسط اليـد نحو نـيلـفـر نـدى
كـبابـيس عـسـجـد قـضـبـها من زـيرـجـد
فـقد رـأـى الشـاعـر أـجزـاءـ الشـبـهـ بـهـ وـقـد اـجـتـمـعـهـاـ عـلـىـ وجـهـ مـخـصـوصـ
وـيـشـرـطـ مـعـلـومـ لـيـحـصـلـ الشـبـهـ المـطلـوبـ ،ـ مـاـنـتـ تـرـاءـ مـثـلاـ تـدـ حـصـلـ الشـبـهـ فـ
الـتـرـجـمـاـنـ الـذاـهـنـ وـالـعـقـيقـ بـشـرـطـ أـنـ تـكـونـ الـذاـهـنـ مـنـ درـ وـأـنـ يـكـونـ الـعـقـيقـ
فـحـشـوـهـاـ وـلـوـ أـخـلـ بـوـاحـدـ مـنـ هـذـهـ الـأـمـورـ لـمـ يـحـصـلـ الشـبـهـ .ـ وـكـذـكـ
لـوـ خـالـفـ الـوـجـهـ الـمـخـصـوصـ فـيـ الـاجـتـمـاعـ وـالـاتـصالـ .ـ وـيـلـاحـظـ أـنـ صـورـةـ
الـشـبـهـ بـهـ هـنـاـمـاـ لـأـنـوـجـدـ وـلـاـ نـظـيرـهـاـ فـيـ الـخـارـجـ .ـ

الـثـانـيـ :ـ أـنـ تـعـتـرـفـ فـيـ التـشـيـبـهـ هـيـةـ مـجـمـوعـةـ مـنـ اـقـترـانـ شـيـئـينـ وـذـلـكـ
الـاقـترـانـ مـاـ يـوـجـدـ فـيـ الـخـارـجـ كـتـشـيـبـهـ الشـيـسـ وـهـيـ تـسـطـعـ مـنـ مـشـرـقـهـاـ
بـيـوـتـقـةـ مـجـبـيةـ يـجـولـ نـيـاهـ ذـهـبـ ذـائـبـ ،ـ وـكـتـوـلـ الشـاعـرـ :ـ

غـداـ وـالـصـبـحـ تـحـتـ الـلـيـلـ بـادـ كـطـرـفـ اـشـهـبـ مـلـقـيـ الـجـلـالـ
فـيـ تـشـيـبـهـ هـيـةـ اـخـتـلاـطـ الصـبـحـ بـالـلـيـلـ وـمـقـارـنـةـ اـحـدـهـاـ لـلـأـخـرـ بـالـنـورـسـ
الـاـشـهـبـ قـدـ اـلـقـىـ الـجـلـ ،ـ فـهـذـاـ اـقـترـانـ الـذـىـ وـضـعـ عـلـيـهـ تـشـيـبـهـ مـاـ يـوـجـدـ
وـيـعـهـدـ بـعـكـسـ تـشـيـبـهـ الشـقـيقـ بـأـعـلـامـ يـاقـوتـ الـخـ مـثـلاـ فـانـهـ لـاـ يـتـعـدـ الـوـهـ
وـالـتـقـدـيرـ .ـ وـيـلـاحـظـ أـنـ وـجـودـ ذـلـكـ اـقـترـانـ يـقـاتـلـ حـالـهـ ؛ـ فـيـنـهـ مـاـ يـتـسـعـ
وـجـودـ مـثـلـ كـلـيـةـ قـضـةـ قـدـ مـسـهـ ذـهـبـ ،ـ وـمـنـهـ مـاـ يـوـجـدـ فـيـ النـادـرـ الـقـلـيلـ
مـثـلـ ؟ـ دـرـ نـثـرـنـ عـلـىـ بـسـاطـ اـرـقـ .ـ

هـذـاـ وـاـذـ اـعـتـرـنـاـ مـوـضـعـ قـسـمـيـ التـقـصـيلـ الـمـرـكـبـ (ـ وـجـودـ الشـبـهـ بـهـ
الـمـرـكـبـ وـعـدـ وـجـودـ)ـ مـنـ عـبـرـتـنـ الـغـرـابـةـ (ـ الـنـدرـةـ وـالـتـقـصـيلـ)ـ رـأـيـاـ هـذـيـنـ
الـقـسـمـيـنـ يـحـسـبـ نـسـبـتـهـمـاـ مـنـ الـعـبـرـتـنـ يـعـطـيـانـهـمـاـ لـطـفـ الـغـرـابـةـ ،ـ وـيـنـفـشـانـ
عـلـيـهـمـاـ صـبـغـةـ الـسـحـرـ وـرـوـعـةـ الـحـسـنـ وـالـأـعـدـابـ .ـ فـقـولـ الشـاعـرـ :ـ

«ـ اـعـلـامـ يـاقـوتـ نـشـرـ نـ عـلـىـ رـمـاحـ مـنـ زـيرـجـدـ »ـ

وـقـولـهـ :ـ

كـلـتـاـ يـاسـطـ الـيـدـ نحو نـيلـفـرـ نـدىـ
كـبـابـيسـ عـسـجـدـ قـضـبـهاـ مـنـ زـيرـجـدـ
مـنـ الـقـدرـ الـذـىـ لـاـ يـبـاشـرـ الـوـجـودـ ،ـ قـدـ اـجـتـمـعـ بـيـهـاـ الـنـدرـةـ وـالـتـقـصـيلـ ،ـ
وـقـدـ أـنـتـ بـيـهـاـ الـنـدرـةـ عـلـىـ غـايـةـ الـقـوـةـ وـالـرـوـعـةـ لـاـنـ الشـبـهـ بـهـ بـمـنـعـ فـيـ الـخـارـجـ .ـ
لـاـ يـتـصـورـ الـاـقـرـاءـ الـوـهـ وـالـتـقـدـيرـ .ـ

أـمـاـ قـولـ الشـاعـرـ :ـ

وـكـانـ اـجـرـامـ السـمـاءـ لـوـامـاـ دـرـ نـثـرـنـ عـلـىـ بـسـاطـ اـرـقـ

فقيه عبرة التدرة ضعيفة لأن المشبه به ممك الوجود وإن كانت رؤيته
قليلة ، فقد دنا من الوقوع في الفكر والتعرض للذكر دونا لا يقاربه الأول
فيه ، ولذلك كان الضرب الأول أبلغ وأسفن وأروع وأقوى .
ومن هذه المثل نرى أن عبرة التدرة مختلفة في المكانة والروعة والبلاغة ،
وكذلك عبرة التفصيل تختلف وتتنوع فقد ينظر شاعر إلى ثلاثة أشياء
وجهات فيكون أبلغ من آخر نظر إلى شئين أو جهتين ، ومثال ذلك قول
بشير :

كان مثار النفع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوي كواكبه
وقول المشبه :

يزور الأعدى في مساء عجاجة أنسنته في جانبيها الكواكب
وقول عمرو بن كلثوم :

تبني سنايكها من موقع ارؤسكم مستنداً كواكب البيض المباشر
كل شارب منهم أراد تشبيه لمعان السيف في الغبار بالكواكب في الليل ،
فالتفصيل في الآيات الثلاثة شيء واحد إلا أن يشار راعي ما لم يراعه غيره
بان ذكر (تهاوي) فائم الشبه ، وعبر عن هيئة السيف المسؤولية عن الإغداد
وهي تعلو وتتسرب وتذهب وتتجه ، أتم تعبير ، وصورها أبدع تصوير ،
بينما وقد الشاعران الآخرين عند لمعان السيف في أثناء العجاج ، ولزيادة

يشار حظ من الدقة يجعلها في حكم تصصيل بعد تصصيل .
ومثل ذلك — في زيادة أحد التشبيهين عن الآخر بفضل استثناء ليس

في الآخر مع أن جسمهما واحد وتركيبهما على حقيقة واحدة — قول
ابن المعتر :

وحجل آذريونه غوا ذنه ككأس مقيق في قرارتها مسكن
وقوله أيضاً في هذا المعنى :

مداهن من ذهب فيها يقليا غالبة
غالبيت الثاني لأن طيبة وأرجع منزلة في البلاغة العربية لأن يقتليا
القالية في مدهن الذهب تظل السواد الذي في باطن الآذريونة تشيلأ صادقاً
وتصور مكانه وارتقاءه عن قراره الكأس تصوبراً بينما ، بعكس المسك
في قراره كأس العقيق شأنه لا يعطيك لهذا صورة واقعية صادقة ، ومن البخ
الاستثناء قول ابن المعتر :

كانا وضوء الصبح يستعجل الدجي نطير غراباً ذا قوادم جون

من غير تدقيق نظر ، لظهور وجهه في بادئ الرأي . وسببه
ظهوره أمران :

شَبَهَ ظَلَامُ الْلَّيْلِ وَقَدْ ظَهَرَ نِيهَ مَجَاهَ شَوَّهَ لِلصَّبَحِ بِالشَّخَاصِ غَرِيبَنِ ذاتِ
فَوَادِمِ بِيَضَاءِ الرِّيشِ ، لِيُوضَعَ صُورَةً جَمِيلَةً لِلصَّبَحِ فِي دَبِيبَهِ فِي ظَلَمَةِ الْلَّيْلِ ،
ثُمَّ اتَّمَ دَقَّةَ التَّشْبِيهِ وَسَحْرَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ هُوَ تَصْوِيرُهُ لِاستِطَارَةِ الشَّوَّهِ فِي
ظَلَامِ الْلَّيْلِ بِاطْرَارَةِ الْغَرَابِ فَيُسَرِّعُ فِي التَّفَيُّرِ رَهْةً وَزَعْماً .
فَكُلُّ مَا سَيِّقَ نَيَازِجَ اخْتَلَفَتْ نِيهَاهُ عَبْرَةَ التَّقْصِيلِ وَالنَّدْرَةِ ، وَهَذِهِ مَوَازِنَةٌ
قَصْرِيَّةٌ تَنَوَّعَتْ فِيهَا عِبْرَةُ التَّقْصِيلِ الْمَرْكَبِ .

قال الشاعر :

غَدَا وَالصَّبَحِ تَحْتَ الْلَّيْلِ يَادِ كَطْرَفِ أَشْهَبِ مَلْقِ الْجَالِ
وَقَالَ الْآخَرُ فِي وَصْفِ الْبَرْقِ :
وَنَارَةً تَبَصِّرُهُ كَانَهُ أَبْلَقُ مَالِ جَلَهُ حَيْنَ وَثَبَ
وَقَالَ الْآخَرُ (أَبْنَ بَلْبَكَ) فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْضًا :
لِلْبَرْقِ فِيهَا لَهْبٌ طَائِشٌ كَمَا يَعْرِي الْفَرْسَ الْأَبْلَقِ
وَقَالَ الْآخَرُ فِيهِ أَيْضًا :

وَتَرَى الْبَرْقُ عَارِضاً مِسْطَبِلَا مَرْحُ الْبَلْقِ جَانِ فِي الْأَجْلَالِ
الشَّاعِرُ الْأَوَّلُ يَرْسُمُ لَنَا صُورَةَ فَرْسٍ أَشْهَبٍ زَحْرَ جَلَهُ وَازْبَلَ عَنْ
مَكَانِهِ حَتَّى تَكْشِفَ أَكْثَرَ جَسَدِهِ وَذَلِكَ لِيُعْلَمُنَا مِنْ ذَلِكَ صُورَةَ الْلَّيْلِ وَقَدْ دَبَّ
فِيهِ الصَّبَاحِ وَتَمَشَّى فِي ظَلَمَتِهِ الضَّيَاءِ ، وَلَمْ يَقْصُدْ إِلَى تَشْبِيهِ الصَّبَحِ وَحْدَهُ
مِنْ شَيْءٍ أَنْ يَفْكَرَ فِي الْلَّيْلِ ، وَالْآخَرُ لَوْ أَرَادَ ذَلِكَ لَمَّا كَانَ شَيْئًا وَلَمَّا شَاكِلَ
قَوْلَهُ (تَحْتَ الْلَّيْلِ يَادِ) .

أَمَّا الشَّاعِرُ الثَّانِي فَالشَّيْبَهُ أَنْ يَكُونَ قَصْدَهُ تَشْبِيهُ لِلْبَرْقِ وَحْدَهِ بِيَاضِ
الْأَبْلَقِ ذُوْنَ أَنْ يَدْخُلَ لَوْنَ الْجَلِ فِي التَّشْبِيهِ وَإِنْمَا ذَكْرُ الْجَلِ لَأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَلْوَحَ
إِلَى أَنَّ الْبَرْقَ لَمْ يَغْنِهِ وَلَاحَ مَجَاهَ فَاسْبِحَ لَذَلِكَ كَبِيَاضَ الْأَبْلَقِ إِذَا ظَهَرَ بِيَاضِهِ
عَنْدَ وَتَوْهَهِ وَبَلَ جَلَهُ مِنْهُ .

وَمَا أَرَادَهُ الشَّاعِرُ الثَّانِي هُوَ مَا يَتَجَلِّ لَنَا وَاضْحَا فِي الْبَيْتِ الثَّالِثِ
وَانْ أَبْتَارَ عَنِ الثَّانِي بِبِيَانِهِ أَنَّ الْبَرْقَ يَظْهُرُ مَجَاهَ عَلَى غَيْرِ انتِظَارِ وَتَرْقِبِ
وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (حَيْنَ وَثَبَ) فَكَانَ لَهُ بِهَذَا الْاحْتِياطِ مَانِدَةً لَا تَخْفِي . وَيَشَارِكُهُ
الْبَيْتُ الرَّابِعُ فِي مَرَاعِيَتِهِ لِهَذَا الْاحْتِياطِ إِذْ جَعَلَ الْبَلْقَ تَرْجُحَ وَتَجُولَ غَرَامِيِّ
شَيْئًا كُلَّهُ تَشْبِيهٌ وَهُوَ تَصْوِيرُ هَيَّةِ حَرْكَةِ الْبَرْقِ وَكَيْفِيَّةِ لِمَانِهِ .
فَالْأَوَّلُ تَشْبِيهُ هَيَّةَ بَهِيَّةِ وَالْأَبْيَاتُ الْمُتَلِّذَةُ فِيهَا تَشْبِيهُ الْبَرْقِ وَحْدَهِ بِصُورَةِ
تَنَاسِبِهِ ، مَعَ اخْلَالِهَا تَقْصِيلًا .

الأول (٣٦٠) : كون الشبه أمراً جميلاً ، فإن الجملة أسبق أبداً إلى النفس من التفصيل ، إلا ترى أن الرؤية لا تصل في أول أمراها إلى الوصف على التفصيل ، لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قبل النظرة الأولى حماه ، وفلان لم ينعم النظر . وكذا سائر الحالات ، فإنه يدرك من تفاصيل الصوت والذوق في المرة الثانية ما لم يدرك في المرة الأولى ، فمن يروم التفصيل كمن يبتغي الشيء من بين جمله يريد تمييزه مما اختلط به ومن يروم الأجمال كمن يريدأخذ الشيء جزافاً ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى الجمل أبداً تسقى إلى الذهن ، والتتفاصيل مفهورة فيها لا تحضر إلا بعد أعمال الروية (٣٦١) .

والثاني : كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به في الذهن: أما عند حضور المشبه ، لقرب المناسبة بينهما (٣٦٢) كتشبيه العنبية الكبيرة السوداء بالأجاصة في الشكل وفي المقدار ، والجرة المصغيرة بالكوز كذلك ، وأما مطلقاً (٣٦٣) للتكرر على الحس (٣٦٤) كما مر من تشبيه الشمس بالمرأة الجلوة في الاستدارة والاستداوة ، فإن قرب

(٣٦٠) راجع ١٢٧ و ١٢٨ من الأسرار .

(٣٦١) فالمجل يحتاج إلى ملاحظة واحدة بخلاف المفصل فهو يحتاج لعدة ملاحظات ، فكما كثرت التفاصيل كثرت الملاحظات والاعتبارات ، وتلك تزيده خصوصاً ، وكلما كثر التفاصيل في الشيء قلت افراده ينتقل ملائسة وجوده ف تكون غريباً .

(٣٦٢) إذ لا يخفي أن الشيء مع ما يناسبه أسهل حضوراً لأنهما إذا تناسباً افترنا في الخيال يسهل الانتقال في التشبيه لظهور الوجه غالباً مما يحضر كثيراً مع غيره وهذا النقاوت الذي أوجب كثرة الاجتناع في الوجود هو الجامع للخيال كي تقتضي .

(٣٦٣) أي أو لكون الوجه قليل التفصيل مصاحب لغلبة حضور المشبه به في الذهن غلبة مطلقة أي غير مقيدة بحضور المشبه ، أو لمنع الخلو لمنع الجمع .

(٣٦٤) أي أو لكونه لازماً لما ينكر على الحس ، فإن المذكر على الحس كصورة القبر غير منخسف أسهل حضوراً مما لا ينكر على الحس كصورة القبر منخساً .

المناسبة ولتكرر كل واحد منها يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة
الانتقال (٣٥) .

والبعيد الغريب وهو ما لا ينتقل فيه من المثلبه الى المثلبه به
الا بعد فكر ، لخفا ووجهه في بادئ الرأي ، وسبب خفائه أمران .

أحدهما (٣٦) كونه تثير التفصيل (٣٧) ، كما سبق من تشبب
الشخص بالمرأة في كتب الأئشل (٣٨) ، فإن ما ذكرنا من الهيئة لا يقوم
في نفس الرأى للمرأة الدائمة الاضطراب الا أن يستأنف تاماً ويكون
في نظره متنهلاً .

والثاني (٣٩) ندور حضور المثلبه به في الذهن :

(٢٦٥) اي فقلة التفصيل في وجه المثلبه مع غلبة حضور المثلبه به
لسبب قرب المثلبه في التشبب الاول او التكرر على الحس في التشبب
الثانى سبب ظهوره المؤدى الى الابتدال مع ان التفصيل من اسباب
القراءة ، لأن قرب المثلبه في الصورة الاولى — وهي فقلة حضور المثلبه
به في الذهن عند حضور المثلبه — والتكرر على الحس في الثانية — وهي
غلبة حضور المثلبه به في الذهن بطلقا حضر المثلبه ام لا — ، يعارض كل
منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المثلبه الى المثلبه به
فيصير وجه المثلبه كأنه ابر جلبي لا تفصيل فيه فيصير سبباً للابتدال .

(٢٦٦) راجع ١٥٠ من المفتاح .

(٢٦٧) هذا مختصر عدم التفصيل وقلة التفصيل المارضة بالنسبة
والتكبر على الحس المتعال بهما ظهور الوجه وتقوله « لكثره التفصيل »
ظاهره ولو مع الفقلة .

(٢٦٨) موجه المثلبه فيه هو الهيئة الحاملة من الحركة السريعة مع
الاشراق ، وفيه من التفصيل ما قد سبق ، ولذا لا يقع في نفس الرأى
للمرأة الدائمة الاضطراب وقيدنا بذلك لأن الوجه لا يتأتى الا مع دوام
الحركة .

(٢٦٩) راجع ١٥٠ من المفتاح .

اما عند حضور المشبه بعد المناسبة بينهما ، كما تقدم من تشبيه
البنفسج بنار الكبريت *

واما مطلقا لكونه (٣٧٠) : وهما (٣٧١) * أو مركبا خياليا ، أو مركبا
خياليا ، كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنباب الأغوال وتشبيه
الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من زبرجد ، وتشبيه مثل
أجيال اليهود بمثل الحمار يحمل أسفارا (٣٧٢) فان كلا سبب لندرة
حضور المشبه به في الذهن ، أو لقلة تكرره على الحس (٣٧٣) ، كما (٣٧٤)
مر من تشبيه الشمس بالمرأة في كك الأشل ، فإنه ربما يقضى الرجل
دهره ولا يتفق له أن يرى مرأة في يد الأشل * فالغرابة في هذا
التشبيه (٣٧٥) من وجهين (٣٧٦) *

(٢٧٠) اي المشبه به *

(٢٧١) اي امرا وهميا يدركه الإنسان بوهمه لا باحدى الحواس
الظاهرة لكونه هو ومادته غير موجودين في الخارج ، وذلك كانباب الأغوال ،
في تشبيه السهام المستونة الزرق بها .

(٢٧٢) راجع ٢/٨٩ الكابل للبرد *

(٢٧٣) اي او لكونه حسيا لكنه قليل التكرر على الحس ، فهو عطف
على قوله « لكونه امرا وهميا » ، اي ومن باب اولى عدم تعلق الحس به
كالعرش في الكرسي .

(٢٧٤) راجع ١٤٩ متناح ، ١٤٣ اسرار البلاغة .

(٢٧٥) وهو تشبيه الشمس بالمرأة في كك الأشل .

(٢٧٦) أحدهما كثرة التفصيل في وجه المشبه ، والثاني قلة التكرر
على الحس . فان قلت كيف تكون قدرة حضور المشبه به سببا لعدم ظهور
وجه المشبه مع انها مقابران فلا يلزم من قدرة أحدهما قدرة الآخر ؟ قلت :
إن الوجه فرع الطرفين والجایع المشترك الذي بينهما انا طلب بعد حضور
الطرفين ماذا تدر حضورهما او حضور المشبه به تدر النباتات الذهن الى
ما يجمعهما ويصلح للتشبيه بينهما ، ولم يطلعوا عدم ظهور الوجه يتصدور
حضور المشبه كما عللوا بتدور حضور المشبه به لأن المشبه به عادة
التشبيه الحالى بين الطرفين ، ظهور الوجه وعدمه أنها يستد اليه .

والمراد (٣٧٧) بالتفصيل (٣٧٨) أن ينظر في أكثر من وصف واحد لشيء واحد (٣٧٩) أو أكثر (٣٨٠) ، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلب الأعترف منها وجهان :

أحدهما أن تأخذ ببعضها (٣٨١) وتدع ببعضها ، كما فعل أمرؤ القيس في قوله (٣٨٢) *

حملت ردينيا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان
ففصل السنان عن الدخان وأثبته مفردا *

والثاني أن يعتبر الجميع كما فعل الآخر (٣٨٣) :
وقد لاح في الصبح الثريا كماترى كمنقود ملاحية حين نورا

(٢٧٧) راجع ١٤٤ وما بعدها أسرار البلاغة .

(٢٧٨) أي في وجه الشبيه الذي هو سبب في غرابة التشبيه .

(٢٧٩) كما في تشبيه المفرد بالفرد .

(٢٨٠) أي أن يعتبر أكثر من وصف واحد أما من جهة وجود الكل أو من جهة عدم الكل أو من جهة وجود البعض وعدم البعض ، كانت تلك الأوصاف ثابتة لموصوف واحد أو اثنين أو ثلاثة أو أكثر .

(٢٨١) أي بعض الأوصاف أي يعتبر وجود بعضها وعدم بعضها .

(٢٨٢) البيت في الأسرار من ١٤٢ وفي ٢٢٥ صناعتين ، ٨٣ معجم الشعراء .

ويرى هذا البيت لعمير بن عمير بن جعيل من قصيدة له رويت في المفضليات مع ابدل « لم يتصل » بـ « لم يستعن » (١٤٥ مفضليات) .

ردinya : يعني ربما ينسوها إلى ردينة وهي امرأة بهجر كانت تقوم الرماح أي تحسن منعها . السنان : الحديدة التي في طرف الرمح . فقد اعتبر في اللهب — وهو موصوف واحد — الشكل واللون والمعنى وترك الاتصال بالدخان ونحوه . واستنطاط بعض الأوصاف هنا لا يكون إلا فيما يقصده الشاعر مما يكون فيه دقة تحتاج إلى مزيد تتبّه .

(٢٨٣) هو أبو قيس بن الأسلت أو أحية بن الجراح أو قيس بن الخطيم (١٤٥ و ٧٥ أسرار) .

فإنه يعتبر من الانجم الشكل والمقدار واللون واجتماعهما على المسافة المخصصة في القرب ثم يعتبر مثل ذلك في العنقود المنور من الملاحة .

وكما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد (٤٨٤) وأبلغ ، تكوهه تعالى (٤٨٥) : إنما مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به ثبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أنها أهلها أنهم قادرون عليها أثاباً همنا ليلاً أو نهاراً فجعلتناها حسيداً كان لم تفن بالآمس » ، فانه ١٣ عشر جمل اذا فصلت ، وهي وان دخل بعضها في بعض حتى صارت كلها كائناً جملة واحدة ، فإن ذلك لا يمنع من أن تشير إليها واحدة واحدة . ثم ان الشبه متفرق من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض حتى لو حذف منها جملة أخل ذلك بالغزى من التشبيه ٠٠ ومن تمام (٤٨٦) الأول في هذه الآية ونحوها أن الجملة إذا وقفت في جانب التشبيه به تكون على وجوه : أحدهما أن تلي نكرة فتكون صفة لها كما في هذه الآية ، وعليه قول النبي صلى الله عليه وسلم « الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة » (٤٨٧) .

والثاني أن تلى معرفة هي اسم موصول ف تكون صلة له ، كقوله تعالى « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » الآية : والثالث أن تلى معرفة

(٤٨٤) سواء كان التركيب خاليًا بأن كان هيئة معدومة مفروضاً اجتماعها من أمورك واحد منها مما يدرك بالحس مثل « وكان حمر الشقيق » أو عقلياً ، أو وهبها وهو المركب المعلوم هو ومادته مثل « ومسنونة زرق كاتب إغوان » ولم يقتل أو حسيباً ، لأن المقسم التركيب لا المركب ، وهو لا يكون حسيباً .

^{٢٨٥}) راجع ٨٧ و ٩٦ من الاسرار .

^{٤٨٦}) راجع ٩١ من الأسرار .

^{٢٨٧} (الحديث في ٢١ و ٤٠ ج ٢ البيان ، ٥٩ ج ١ زهر الأدب) (م - الإيضاح ج ٤)

ليست باسم موصول فتفتح استثنافا ، كقوله عز وعلا « مثل الذين
اتخذوا من دون الله أولياء كمثل المتكبّوت اتّخذت بيّنا » ،
ومن أبلغ الاستقصاء في التفصيل وعجبه قوله ابن المعتز (٢٨٨) :
كأنّا وضوء الصبح يستعجل الدجى نظير غراباً ذا قسوادم جون

شبيه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بأشخاص الغربان ،
ثم شرط أن يكون قوادم ريشها بيضاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة
تفتح في حواسيها من حيث يلي معظم الصبح وعموده لم نور يتغيل
منها في العين كشكل قوادم بيضاء ، و تمام التدقيق في هذا التشبيه أن
جمل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفر الدجى
ويستجلّها ولا يرضي منها بآن تتمهل في حركتها ، ثم لما راعى ذلك في
التشبيه ابتدأ راغم آخر ، حيث قال « نظير غراباً » ولم يقل « غراب
نظير ونحوه » لأن الطائر إذا كان واقعا في مكان فازعج وأطير منه ،
أو كان قد حبس في يد أو قفص فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه
وادعى له أن يستمر على الطيران ، حتى يصير إلى حيث لا تراه العيون
بخلاف ما إذا طار عن اختيار ، فإنه حينئذ يجوز أن لا يسرع في
طيرانه وأن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول . وكذا قول أبي
نواس في صفة منقار البازى (٢٨٩) .

(٢٨٨) راجع البيت في الأسرار من ١٥٤ حيث شرحه عبد القاهر
شرحاً واسعاً .

الدجى : جمع دجية وهي الظلمة . القوادم : أوائل ريش الطير .
الجون : بالضم جمع جون بالفتح يطلق على الأبيض والأسود والمراد
الأبيض .

(٢٨٩) وينسب لابن مارس .
والبيت في الأسرار من ١٥٥ .

(فِي هَامَةِ عَلَيْنَا تَهْدِي مُسْرًا) كِبْرَةُ الْجَيْمِ بِكَ (٢٩٠) أَعْسَرًا

غَيْرَ خَافِ أَنَّ الْجَيْمَ خَطَانٌ : أَوْلَاهُمَا الَّذِي هُوَ مُبَدِّئٌ وَهُوَ الْأَعْلَى •
وَالثَّانِي الَّذِي يَذْهَبُ إِلَى الْبَيْسَارِ ، وَإِذَا لَمْ يَوْصِلْ بَعْدَهُمَا تَعْرِيقَ (٢٩١) ،
وَالْمُتَقَارَ اِنَّمَا يَشْبِهُ الْخَطَّ الْأَعْلَى فَقِطُّ ، فَلَهُمَا قَالَ « كِبْرَةُ الْجَيْمِ وَلَمْ
يَقُلْ كَالْجَيْمِ » ، ثُمَّ دَقَّ بِأَنَّ جَعْلَهُمَا بِكَ أَعْسَرٌ ، لَأَنَّ جَيْمَ الْأَعْسَرِ يَقُولُ أَنَّهُ
أَشَبَّ بِالْمُتَقَارِ مِنْ جَيْمِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَؤْكِدَ أَنَّ الشَّبَهَ مَقْتُورٌ عَلَى
الْخَطَّ الْأَعْلَى مِنَ الْجَيْمِ ، فَقَالَ :

يَقُولُ مِنْ فِيهِمَا بِعْقَلَ فَكَرَا
لَوْ زَادَهَا عَيْنَا إِلَى هَاءِ وَرَا
فَاتَّحَلَتْ بِالْجَيْمِ مَسَارَتْ جَعْفَرَا

فَأَبَانَ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ التَّعْرِيقَ فِي الشَّبَهِ ، لَأَنَّ الْوَصْلَ يَسْقُطُهُ
أَصْلًا ، وَلَا الْخَطَّ الْأَسْفَلُ وَانْ كَانَ لَابِدَ مِنْهُ مَعَ الْوَصْلِ ، لَأَنَّهُ قَالَ
« فَاتَّحَلَتْ بِالْجَيْمِ » أَيْ بِالْمُعْطَفَةِ الْمَذَكُورَةِ ، وَلَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى قَوْلِهِ :
لَوْ زَادَهَا عَيْنَا إِلَى هَاءِ وَرَا
وَلِأَجْلِ هَذِهِ التَّدْقِيقِ قَالَ :

يَقُولُ مِنْ فِيهِمَا بِعْقَلَ فَكَرَا
فَنَبَهَ عَلَى أَنَّ بِالشَّبَهِ حَاجَةَ إِلَى فَضْلِ فَكَرَا ، وَأَنَّ يَكُونَ فَكَرَهُ فَكَرَا
مِنْ يَرَاجِعِ عَظَلِهِ (٢٩٢) •

(٢٩٠) غَلَباءُ : قَوْيَةُ . الْمُنْسَرُ : كِبْلَةُ مَنْبِرِ مَنْتَارِ الطَّيْرِ الْجَارِ .

(٢٩١) تَعْرِيقُ الْجَيْمِ أَنْ يَعْطُفَ بِالْخَطَّ الْأَسْفَلِ إِلَى الْبَيْنِ عَلَى هِيَةِ
قَوْسِ كَبَّا هُوَ الشَّانُ فِي الْجَيْمِ الْمَفَرَّدَ .

(٢٩٢) قَالَ أَبُو هَلَلَ فِي الصَّنَاعَتَيْنِ (صِ ٤٤٣) :
سَمِعْتُ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ : وَمِنَ الْمُعَانِي الْبَارِدَةِ قَوْلُ أَبِي نَوَاسِ
« فِي هَامَةِ النَّحْ » مَنْ يَجْهَلُ أَنَّ الْجَيْمَ إِذَا أَضْفَيْتَ إِلَيْهَا الْمَعْنَى وَالثَّاءَ وَالرَّاءَ
« مَسَارَتْ جَعْفَرَا » . وَهُوَ عِنْدِي صَوَابٌ إِلَّا أَنَّهُ لَوْ اَكْتَفَى بِهِذَا الْبَيْتِ
وَلَمْ يَزِدِ الْزِيَادَةَ الَّتِي يَعْدُهَا لِكَانَ أَجْوَدَ وَارِشَقَ وَادْخُلْ فِي مَذَاهِبِ الْمُصَحَّاهِ .

وأذ قد تحقق ما ذكرنا من التفصيل علمت أن قول أمرىء القيس
ف وصف السنان أعلى طبقة من قول الآخر (٣٣) :
يتتابع لا ييغنى غيره . بأبيض كالقبس الملقى

لخلو الثاني عن التفصيل الذي تضمنه الأول ، وهو قصر التشبيه على مجرد السنا وتصويره مقطوعاً عن الدخان ، ومعلوم أن هذا لا يقع في الخاطر أول وهلة ، بل لا بد فيه من أن يتثبت وينظر في حال كل من الفرع والأصل حتى يقع في النفس إن في الأصل شيئاً يقبح في حقيقة التشبيه ، وهو الدخان الذي يعلو رأس الشعلة ، وكذلك قوله (٣٤) : وكان أجرام النجوم لوماماً درر نثرن على بساط آزرق أفضل من قول ذي الرمة (٣٥) :

(حوراء في دفع صفراء في نعج) كانوا فضة قد مسها ذهب

(٢٩٣) هو عنترة (٢٥٠) نظام الغريب . . والبيت مع أبيات في
الحسابة ١٦٥ ج ١ . وراجعه في الأسرار من ١٤١ .
الشمير في « يتبع » لورد بن حابس ، وفي « غيره » لخصلة الاسدي ،
وكان لورد ثار عنده : القيس المنهب : النار الموقدة .

(٢٩٥) راجعه في ١٦٠ ح ١ المسألة ، و ٤٠ ح ٢ الكليل ،
 (٢٩٦) هو أبو طالب الرقني . والبيت في ١٣٧ و ١٤١ و ١٦٦ من
 الأسرار .

الحور : شدة بياض العين . الدمع : شدة سواد الحدقة .
وساطة ، و ٣٦٩ مناعتين .

ومن الأعنى -
ببعضه ضحوتها ومهـ سراء العشية كالعراة
العراة : شجر له نور أصفر - ولذى الرمة (١٧٠ ج ٤ المقد) :

لأن الأول مما يندر وجوده دون "الثاني" ، فإن الناس أبداً يرون في الصياغات فضة قد موهت بذهب ، ولا يكاد يتحقق أن يوجد درر قد نثرن على بساط أزرق . وكذا بيت بشار (٣٦) أعلى طبقة من قول أبي الطيب (٣٧) :

يزور الأعدى في سماء عجاجة أستنته في جانبها الكواكب
وكذا من قول الآخر (٣٨) :

تبني سنابكها من فوق أرؤهم سقفاً كواكه البيض المباتير

لأن كل واحد منها وان راعى التفصيل في التشبيه ، فإنه اقتصر على أن أراك لمعان الأسنة والسيوف في أثناء العجاجة ، بخلاف بشار ، فإنه لم يقتصر على ذلك ، بل عبر عن هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها ، وهي تعلو وترسب وتجيء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيل تصميلاً لأنها لا تقع في النفس إلا بالنظر إلى أكثر من جهة واحدة ، وذلك أن للسيوف عند احتدام الحرب اختلاف الأيدي بما في الضرب اضطراباً شديداً وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تقسم بين الأعوجاج والاستقامة ، والارتفاع والانخفاض ، ثم هي باختلاف هذه الأمور تتلاقى ويصدم بعضها ببعض ، ثم أشكالها مستطيلة ، فنبه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهي قوله « تهاوي » ، لأن الكواكب إذا تهافت اختفت جهات حركاتها ، ثم كان لها في التهاوي

(٢٩٦) وهو قوله « كان مثار النفع الخ » .

(٢٩٧) راجمه في ٢٧٤ و ٢٤١ و سطحة .

العجاجة : القبار : الأسنة : نصال الرماح جمع سنان .

(٢٩٨) هو عمرو بن كلثوم العنابي (٢٢٩ صناعتين) .

السنابك : اطراف الحائز : البيض : السيوف : المباتير : جميع ببار صنة ببالغة من يتر يعني تقطع .

توافق وتدخل ، ثم استطالت أشكارها . وكذا قول الآخر (٢٩٩) في الآذريون :

مداهن من ذهب *فيهـا بقـايا غالـية*

أعلى وأفضل من قوله (٣٠٠) فيه :

وحمل آذريون فوق أذنه كأس عقيق في قراراتها مسك

لأن السواد الذي في باطن الآذريون الموضوع بازائه الغالية والمسك فيه أمران : أحدهما أنه ليس يشمل له ، والثاني أنه لم يستدر في قعرها ، بل ارتفع منه ، حتى أخذ شيئاً من سماها من كل الجهات ، وله في منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية في جوانب الدهن إذا كانت بقية بقيت عن الأصابع ، وقوله « في قراراتها مسك » بين الأمر الأول ، وبيؤمن من دخول النقص عليه ، كما كان يدخل لو قال « فيها مسك » ، ولم يشترط أن يكون في القرارة ، وأما الثاني فلا يدل عليه كما يدل قوله « بقـايا غالـية » لأن من شأن المـسـكـ والـشـيءـ إـليـابـسـ اذا حصل في شيء مستدبر له قدر أن يستدبر في قعره ولا يرتفع في الجوانب الارتفاع الذي في سواد الآذريون ، بخلاف الغالية فإنها رطبة ثم تؤخذ بالأصابع فلابد في البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع ، ثم هي لنعمتها ترق ف تكون كالصين الذي لا يظهر له جرم وذلك أصدق للشبه .

(٢٩٩) هو ابن المعتر . راجع البيت في ١٥٣ و ١٥٤ و ١٨٨ اسرار .
وقوله « فيه » أي في الآذريون وهو ورد له أوراق حمر في وسطه سواد له نيو وارتفاع وقد يكون أصفر . والمداهن جميع مدهن وهو حق الدهن .
الغالبة : الخلط من الطيب .

(٣٠٠) هو ابن المعتر أيضا . العتيق الخرز الاحمر . القرارة :
النساع .

والبلينج (٣١) من التشبيه ما كان من هذا النوع — أعنى البعيد — لغراسته (٣٢) ، ولأن الشيء إذا نيل بعد الطلب له والاستياق إليه كان نيله أحلى ٠ وموقعه من النفس أطف وبالمسرعة أولى ٠ ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه بيرد الماء على الخطاً كما قال (٣٣) ٠

ومن ينفي من قول يصيّب به مواقع الماء من ذي الغلة الصادى

الفرق بين التشبيه البعيد والتعقيد :

لا يقال : عدم الظهور ضرب من التعقيد ، والتعقيد مذموم لأننا نقول (٣٤) ٠

(٣٠١) راجع ١١٨ من الأسرار ٠

(٣٠٢) أي تكون هذه الضرب غريباً غير مبتداً ٠

(٣٠٣) هو القطبى راجع ١٧٩ ج ١ الكامل ، ١٩٠ ج ١ البيان ، ٤١٣ من الدلائل ٠ والغلة : شدة العطش ، والصادى : العطشان ، ينفي : يروى ٠

(٣٠٤) ١١٨ وما بعدها أسرار ، و ١٧٦ المفتاح ٠

ملاحظة : خلاصة هذا البحث أن الفرق بين التشبيه والتعقيد من تأثيرتين :

الأول : أن التشبيه والتعقيد وإن اشتراكاً في الحاجة إلى بذل جهد فكري إلا أن هناك فرقاً بين المجهودين ، ففي التشبيه بذل المجهود في سبيل الوصول إلى المعنى المثل ، وأنت تسلك سبيلاً مهماً قد رفعت في جوانبه أعلام الهدایة لأن ذلك قد حدث في معناه فتصل إلى الغاية وتضع عصا التسيير ، وأنت في ذاته المتصر ٠

وأما التعقيد بتنوعه : اللقطى والمعنى ، فإنه يحتاج إلى مخاضعة المجهود الذي يبذله الفكر ويسير فيه في طريق ملتوٍ مخالٍ لاجلاء فيه ، فتنتهي الجبل ، ولكن هيئات ان تصل إلى الغاية ، ولكن عثرت على المعنى بعد ذلك سوف تجده يشبه الصورة ناقص الحسن وليس ذلك إلا لأن الكلام =

كم يربت الترتيب الذى يمثله تحصل الدلالة على الغرض أو التوت الدلاله
عنه سوء الانتقال من المعنى اللغوى الى المعنى المجازى او الكتائى ؛ كما
في قول الفرزدق :
الى ملك ما اممه من محارب ابواه ولا كانت كلية تصاهره
بريد الى ملك ابواه ليست امه من محارب ولا كانت كلية تصاهره
فقدم واخر حتى ابهم المعنى ، وكما في قول العباس بن الاختف .
مساطلب بعد الدار عنكم لتقرموا وتسكب عيناي الدموع لتجمدوا
واما النساحية الثانية : يعني ان ما تحصل عليه بعد القوس فى بحار
التشبيه هو الدرر مما يجعلك بحظتنا الى حسن النتيجة مما بذلك من
جهد لانك تستصل الى معنى شريف يشرح صدرك ويطلع مؤاذه غيمها بذلك
من جهد ضعيف او قوى فانك تحصل على معنى يوازي ما بذلك وربما كان
أحجب .

وطبعى اذا كان المعنى لطينا انه يحوجك الى تحريك الخاطر ولطف
الفكرة والا لو لم يكن شأنه ذلك للتساوى كلام الدهاء مع كلام الخمول
ولقدت جميع الانكار فى منزلة واحدة لا نرق بين غيبة وذكيرها وضعيفتها
وتوبيها ، وما كان ذلك ولا يكون .

واما الذى تحصل عليه بعد بذل الجهد فى الكلام المعتد فهو فى الغالب
يعنى سخيف لا يداني فى قيمته بمثابة ما يذلت فى سبيله ، ولكن كان شريفا
وذلك قليل نادر نقد شاه وجهه وقبحت صورته وذهب رونته لانه افضل
مضجعك وانصب ذهنك وتركك عليه ناقلا .

والمعانى الشريقة لا يد فيها من نكر وروبة وربط لاحق سابق .
ولكن سمح ان كثيرا من المعانى المبنية تكون فى غاية الوضوح بحيث
لا تحتاج الى نكر ، فان ذلك انبأ جاء من ان المتكلم اجهد نفسه فى تذليل
سمويتها واتارة طلبتها ، واوضحها نهاية الوضوح ، مما يستدعي سرور
النفس واعجاب الآبيب .

شروط حسن التاليف :

وليس كل تاليف بين المختلفات ، وجمع بين المتناففات ، حستا دانيا —

التعقيد كما سبق له سبيان : مسوء ترتيب الالفاظ ، واحتلاله
الانتقال من المعنى الأول الى المعنى الثاني الذي هو المراد باللفظ .
والمراد بعدم الظهور في التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقته ،
أو ترتيب بعض المعانى على بعض كما يشعر بذلك قولنا في بادئ الرأى
فإن (٣٠) المعانى الشريقة لا بد فيها في غالب الأمر من بناء ثان على
أول ، ورد تال إلى سابق ، كما في قول البحترى (٣١) .

دان على أيدي العفة ، البيتين

فائله (٣٢) تحتاج في تعريف معنى البيت الأول إلى معرفة وجه
المجاز في كونه دانياً وشاسعاً ، ثم تعود إلى ما يعرض البيت الثاني

= بل لا بد من أصابة الشبه الصحيح المعمول الذي يصحح الجمع بينهما حتى
يكون انتللاهما الذي أوجبه التشبيه وأوضحاً وفسحوا ما بينهما من تباين
وخلاف ، بذلك تكون قد أسميت السداد ، وإنما أن تنعل في ذلك وتركه الوصف
على المؤول في غير موضعه لهذا معيّب . وإنما المقصود أن تظهر وجه الشبه
وبتبنيه حيث الموضع اللائق به ، وليس المقصود أن تنثر الجامع انزاماً
وتنحله انتحلاً وتوجد مشابهة لا يترها العقل ، وإنما المراد أن هناك
وجوه شبه بين هذه الأشياء المتشابكة بدق المسارك إليها ، فإذا امعنت النظر
ووصلت إليها واظهرتها فقد استحققت المدح على جهد ذلتة ، وذلك ظاهر
في التشبيهات المحسوسة كما لمسه في التشبيهات المعمولة .

هذا ومن الكلام نوع يحاول فيه المتكلّم عكس القضية المعروفة يجعل
من الإساءة احساناً ومن البخل جوداً في صورة محكمة الخلق ساحرة ؛
وإذا تصورت هذا ف يجب أن تلاحظ أن هذا النوع من الكلام مما يشبه الجمع
بين التناقضات أو يداخلها في حقيقتها المقدمة من ظهورها في مظاهر التشبيه ،
ولكن لا يتم هذا إلا بمحاجة أن يكون هذا على وجه مقبول يوحى إلى النفس
سحراً في عباره حسنة السبك بدعة التاليف .

(٣٠٥) راجع ١٢٢ أسرار .

(٣٠٦) ٩٨ و ١٢٢ أسرار .

(٣٠٧) هذا منقول من الأسرار من ١٢٣ .

عليك من حال البدر ، ثم تقابل احدى الصورتين بالأخرى وتنظر كيف شرط في العلو الافتراض ليشากل قوله : شاسع ، لأن الشموع هو الشديد من البعد ثم قابله بما يشากله من مراعاة التناهى في القرب فقال « جد قريب » . فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة إلى الفكر ، وهل شيء أ Hulu من الفكر إذا صادف نهجاً توهماً إلى الراد . قال الجاحظ أثناً فصل يذكر فيه ما في الفكر من الفضيلة (٣٦) ، وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السمع بطلع الدم وأكل اللحم وسرور الظفر بالأعداء ومن افتتاح باب العلم بعد ادمان قرعه .

(التصرف في التشبيه القريب بما يجعله بعيداً) .

وقد يتصرف في القريب المبتدأ بما يخرجه من الابتدا إلى الغرابة وهو على وجوه :

(١ -) منها أن يكون كقوله (٣٧) :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا الا بوجه ليس فيه حياء (٣٨)

وقوله :

فردت علينا الشمس والليل راغم بشمسم لهم من جانب الخدر تطلع
فو الله ما أدرى أحلام نائم ألت بنا أم كان في الركب يوشع

(٣٠٨) راجع من ١٢٦ أسرار .

(٣٠٩) للمعنى في ابن على الكاتب . وهو في الأسرار من ٢٩٦ .

(٣١٠) التشبيه في البيت ضمني لأن وجه المدحوج إذا كان أعظم من الشمس في الآشراق يستلزم استراحتهما في أصل الآشراق فيثبت التشبيه ضمناً ، فكانه قال : « هذا الوجه كالشمس في أصل الحسن فقط » .
وجعل الوجه شبيهاً هو بالنظر لمقصود الشاعر والا غالباً من البيت بعد جعل التشبيه ضمنياً ان المشبه بالشمس يسبب ذكر عدم الحياة ، فالقصد من البيت قلب التشبيه وإن كان مقصود الشاعر تشبيه الوجه بالشمس .

فإن تشبيه وجوه الخسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد : من حديث الحباء في الأول والتشكيك مع ذكر يوضع عليه السلام في الثاني ، أخرجه من الابتدال إلى الغرابة وشيبيه بالأول قول الآخر : إن السحاب ل تستحب إذا نظرت إلى نداك ففاصته بما فيها (١١)

(٢) التشبيه المشروط :

ومنها أن يكون كقوله (١٢) :
عزماته مثل التنجوم شواقياً لو لم يكن بالثاقبات أقوى
وقوله (١٣) :
ما الوحش إلا أن هاتا أوانس قنا الخط إلا أن تلك ذوابله
وقوله (١٤) :
يكاد يحيك صوب الفيث منسكيماً
لو كان طلق المعيا يمطر الذهبا
والبدر لو لم يغب : والشمس لونقطت
والأسد لو لم تصد ، والبحر لو عزبا
وهذا يسمى التشبيه المشروط (١٥) *

(١) الندى : الكرم . قاسته بما فيها : شبته به ، وما فيها .
هو المطر .

(٢) هو للوطواط للشاعر . التوابع : التواخذ ، الأنقول : الغروب .
شيء العزم بالتجم في التقوب والتفوّق الذي هو في كلّيّها تخيل ، وهو
تشبيه مبتذل إلا أن اشتراط عدم الأنقول أخرجه إلى الغرابة .
(٣) هو لابن شحام . المها واحدة بمهـة وهي بقر الوحش . القنا

واحدة قنـاة وهو الريح . الخط : اسم يـد . ذوابـلـنـ الذـيـلـ وـهـوـ الجـافـ .

واسم الاشارة في « تلك » للرياح . يريد أن يفضلها بالطراوة والقصارة .
(٤) هنا لبديع الزمان الهيـذـانـي . صوب الفـيـثـ من اـضـالـةـ الصـنـةـ

للـموـصـوفـ . المـحـيـاـ : الـوـجـهـ .
(٥) أي المقيد لتنبيه المشـيـهـ، أوـشيـهـ بـهـ ، اوـكـلـيـهـاـيـلـ زـيـدـ فيـ عـلـمـهـ

بـالـأـمـورـ إـذـ كـانـ غـامـلاـ كـمـروـ فـ عـلـمـهـ بـهـ إـذـ كـانـ يـقـظـاـ : بـشـرـطـ وـجـودـيـ =

(٣) ومنها أن يكون كقوله (٣٦) :

ف طلعة البدر شئ من محاسنها
وللقضيب نصيب من ثنيها

وقول ابن بابك (٣٧) :

ألا يا رياض الحزن من أبرق الحمى
نسيمك مسروق ووصفك متخل

حكيت آيا سعد فنشرك نشره
ولكن له صدق الموى ولك المل

(٤) وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات ك قوله (٣٨) :

كائما يبسم عن المؤى منخد أو برد أو أقاح
كما يزداد بذلك لطفا وغرابة ك قوله (٣٩) .

له أيضًا ظبي وساقا نعامة وارخاء سرحان وتقارب تقال

= او عدمي يدل عليه بصرير اللفظ او بسياق الكلام مثل « هي بدر يسكن
الارض » اي هي كالبدر لو كان البدر يسكن .

(٣٦) البختري (كما في المثل السائر من ١٦١)
(٣٧) راجع من ٢٤١ اسرار . الحزن : الارض الغليظة وكذلك
الابرق . متخل من انتخل كذا اذا ادعاه لنفسه وهو لغيره . النشر :
الراحة . المل : السابة .

(٣٨) هو للبختري وقد سبق .
(٣٩) هو لأمرىء القيس . وراجعه في ٢٢٨ متناعتين . وبعجب خلف
جدا بهذا البيت (٣٤١ ج ٢ البيان للجاحظ) .
ايضاً الطبي : خامرتاه الارخاء : الجرى في سهولة . السرحان :
الذئاب . التقال : ولد التعلب .

(٣) — تقسيم التشبيه باعتبار أداته :

واما باعتبار أداته فاما مؤكدا أو مرسل، والمؤكد ماحذفت أداته^(٣٠) .
ك قوله تعالى « وهي تسر من السحاب^(٣١) » وقوله يا أيها النبي انا
أرسلناك شاهدا ومبشرا وتذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ،
وقول الحماسى^(٣٢) :
هم البحور عطا حين تسائلهم وفى اللقاء اذا تلقى بهم بهم
الى غير ذلك كما سبق ، ومنه^(٣٣) نحو قول الشاعر^(٣٤) .
والريح تعبت بالغضون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء
وقول الآخر^(٣٥) يصف القمر لآخر الشهر قبل السرار :

(٣٠) اي تركت بالكلية بحيث لا تكون مقدرة في نظم الكلام والا ملا
يكون التشبيه مؤكدا بل مرسلـا .

(٣١) اي مثل من السحاب .

(٣٢) هو زياد بن حمل (١٤٦ ج ٢ حماسة) ، وراجعه في ٤٣٤
مسناتين . البهم واحد بهمه وهو الشجاع الذى لا يدرى كيف يؤتى
لاستهار شأنه .

(٣٣) اي من المؤكد .

(٣٤) هو ابن خجاجة الاندلسى ،

والبيت من قصيدة في الأدب الاندلسي لمحمد مصطفى ص ٢٠ . يزيد
المصنف ان من التشبيه المؤكد ما اضيف فيه المشبه به إلى المشبه بعد حرف
الاءة وتقديم المشبه به على المشبه ، وجعل الاضافة بياتية . تعبت
بالغضون : اي تميلها إلى الأطارات والجوانب . الأصيل هو الوقت بعد
العمر إلى المقرب وبعد من الأوقات الطيبة كالسفر ويوصف بالسفرة ،
مذهب الأصيل سفرته وشمام الشميس فيه وهو استعارة صرحة اي سفرته
التي كالذهب واللجن : الفضة ، اي على مااء كاللجن في الصناء والبياض ،
مهدى تشبيه مؤكـد .

(٣٥) هو ابن حميس المقلـى (١٢٣ المثل السارـ) . الادهم :
الدرس الاسود . الاشـبـهـ : الـبـيـاضـ . والـرـادـ تـشـبـهـ اللـلـيـلـ فـذـكـ بـالـادـهـمـ .
وـالـصـبـحـ بـالـبـيـاضـ ، وـالـقـرـ فـآخـرـ الشـهـرـ بـالـنـعـلـ الذـيـ يـكـونـ فـرـجـ الـدـرـسـ
لـانـهـ عـلـىـ صـورـتـهـ .

كائناً أدهم الظلام حين نجا من أذهب الصبح ألقى نعل حافره

وقول الشريف الرضي :

أرسى النسيم بواديكم ولا يرحت حوامل المزن في أجدائكم تفاص
ولا يزال جنين النبت توخصه على قبوركم العراقة المع (٣٣)

والمرسل : ما ذكرت أداته كقوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) ، قوله عز وجل (عرضها كعرض السماء والأرض) •

وقول أمير القيس :
وتعطوا بربخ عن شتن كأنه أساييع ظبي أو مساويك اسحل (٣٤)

وقيل البختري :
وإذا الأسنة خالطنها خلتها فيها خيال كواكب فالماء (٣٥)

إلى غير ذلك كما تقدم •

(٤ - تقسيم التشبيه باعتبار الغرض (٣٦)) :

وأما باعتبار الغرض فاما : مقبول ، أو مردود •

(٣٦) أرسى : أقام . العراقة السحاب ذو الرعد والبرق . المع السحاب الماطر .

(٣٧) تعطوا : تتناول . رخص : لين وصف لاصباعها . الشتن : القليط . الأساييع : جمع أسروع وهو دود يكون في البقل والأماكن الندية تشبيه به أنامل النساء . ظبي : اسم مكان . الأسل شجر له غصون يمتلك بها .

(٣٨) « خالطنها » الضمير فيها يعود إلى الدروع . الأسنة : الرماح .

(٣٩) راجع ١٥٠ المفتاح .

المقبول : الواقف باقادة الغرض كان يكون المشبه به أعرف (٣٣)
ئىء بوجه الشبه اذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه ،
أو بيان المقدار (٣٤) ، ثم الطرفان في الثاني أن تساويا في وجه الشبه
فالتشبيه كامل في القبول ، والا فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة
والنقصان كان أقرب الى الكمال ، أو كان يكون المشبه به أئم شىء في
وجه الشبه اذا قصد الحقائق الناقص (٣٥) بالكامل ، أو كان يكون المشبه
به مسلم الحكم معروفة عند المخاطب في وجه الشبه اذا كان الغرض
بيان امكان الوجود .

والمردود بخلاف ذلك أي القاصر عن افاده الغرض :

(٣٢٠) أي يكون أعرف الطرفيين .

(٣٢١) أو التزمن أو التشويه أو الاستطراف .

(٣٢٢) وكذلك اذا قصد التغريب في ذهن السامع حتى لا يتوجه كون
المشبه على غير ذلك الحال .

خاتمة (١)

قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجهه فالحاصل من مراتب التشبيه في القوة والضعف في المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضها ثمان (٢) : احدهما ذكر الأربعه كقولك زيد كالأسد في الشجاعة ولا قوة لهذه المرتبة (٣) وثانيتها ترك المشبه كقوله كالأسد في الشجاعة أى زيد وهي كالأول في عدم قوته وثالثتها ترك كلمة التشبيه كقولك زيد أسد في الشجاعة وفيها نوع (٤) قوة ورابعتها ترك المشبه وكلمة التشبيه ، كقولك أسد في الشجاعة أى زيد وهي كالثالثة في القوة . وخامستها ترك وجه المشبه ، كقولك زيد كالأسد ، وفيها نوع قوته لعموم وجه المشبه من حيث الظاهر (٥) وسادستها ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك زيد أسد أى زيد وهي كالخامسة وسابعتها ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك زيد أسد ، وهي أقوى الجميع (٦) . وثامنتها افراد المشبه به بالذكر ، كقولك أسد أى زيد ، وهي كالسابعة .

(١) راجع ١٥١ الفتاح .

(٢) الحصول أن المشبه به لا بد من ذكره ، فالم المشبه أياً مذكور أو محنونه وعلى التقريرين (ذكر المشبه وحذفه) موجه المشبه أياً مذكور أو ممحض ، وعلى التقارير الأربع المعاصلة من غرب حتى المشبه — ذكره أو حذفه — في حفظ الوجه — ذكره أو حذفه — ، فالإدلة أياً مذكورة أو محنونة ، تنصير ثانية .

(٣) لخصوص وجه المشبه وعدم ادعاء أن المشبه عن المشبه به مبالغة .

(٤) لاشتمالها على أحد موجبين القوة . عموم الوجه والإدعاء .

(٥) لعموم وجه المشبه ولادعاء أن المشبه عن المشبه به مبالغة .

(٦) م ٦ — الإيضاح ج ٤)

واعلم ان الشبه (٣) قد ينترع من نفس التضاد (٣) لاشتراك
الضدين فيه (٤)، ثم ينزل منزلة التنااسب بوساطة تعلیج (٥) او
تهكم (٦) فيقال للجیان ما اشبهه بالأسد وللبخيل هو حاتم (٧)
• (انتهى التشبيه) •

(٦) اى التشابه والتباين ، والمراد به هنا ما به التشابه من اطلاق
المصدر على المفهول اعني وجه الشبه .

(٧) فيقال للجیان هو كالأسد في الشجاعة فيكون الوجه متزعاً من
التضاد ، اى من ذي التضاد ، اى من التضادين .
وذلك بتنزيل تضاد الجن والشجاعة منزلة تناسبهما تليها او تهكما
عصار الجن مناسباً للشجاعة وبنزلتها وصار الجن مناسباً للشجاع
ع اذا شبهناه به صار كأنه قام به شجاعة ، ع اذا أخذ وجه الشبه منها كان
هو الشجاعة وان كانت ادعاء في المشبه .

(٨) اى ان التضاد تكون كل منهما مضاداً للأخر .

(٩) اى اتيان بما فيه ملاحة وظرافة ، من ملح الشاعر اذا اتي بشيء
تعلیج .

(١٠) اى سخرية واستهزاء .

(١١) وكل من المثلين صالح للتلبيح والتهكم وانما يفرق بينهما حسب المقام
ع اذا كان القصد الى ملاحة وظرافة دون استهزاء وسخرية واحد فتمليح
والاتهكم .

وقد سبق الى بعض الاوهام نظراً الى ظاهر اللفظ ان وجه الشبه في
قولنا : للجیان هو اسد ، وللبخيل هو حاتم ، هو التضاد المشترك بين
الطرفين ، باعتبار الوصفين المتضادين وهما الجن والشجاعة مثلاً لا باعتبار
حقيقة الموصفين . وعند نظر لانا اذا قلنا الجن كالأسد في التضاد اى
فيكون كل منهما مضاداً للأخر ، لا يكون هذا من التلبيح والتهكم في شيء ،
كما اذا قلنا السواد كالبياض في اللونية او في التقابل ، ومعلوم اذا اردنا
التصريح بوجه الشبه في قولنا للجیان هو اسد تليها او تهكما ، لم ينات لنا
الا ان نقول في الشجاعة مع ان الحاصل في الجن انها هو ضد الشجاعة ،
منزلتنا تضادها منزلة التنااسب وجعلنا الجن بنزالة الشجاعة على سبيل
التلبيح والغزة .

ملحق للجزء الرابع :

التشبيه والبحث البلاغي

التشبيه كما يقول أبو هلال م ٣٩٥ هـ : الوصف يأن أحد الموصوفين يتوب مناب الآخر (١) وهو كما يقول ابن رشيق م ٤٥٦ هـ : وصف الشيء بما يقاربه ويشاركه (٢) ، وهو عند عبد القاهر م ٤٧١ هـ : أن تثبت لهذا معنى من معانى ذاك أو حكما من أحكامه كثباتك للرجل شجاعة الأسد وللحجة حكم النور (٣) . ونقول نحن : إن التشبيه رسم صورفنية دقيقة لكل ما يدركه الحس أو يتأثر به الوجدان أو يفكر فيه العقل ، هو تصوير الأشياء بصورة الخيال الدقيق ، وإبراز صورة أدبية مطابقة كل المطابقة لما تصوره من حسيات ووجدانيات ومعنويات ، سواء كان هذا التصوير بأسلوب التشبيه أو التمثيل ، فليس التمثال إلا تشبيها خاصا روعي فيه أن يجري في الهيئات ، ويقول ابن رشيق في المدحه : والتمثيل والاستعارة من التشبيه الا أنهما بغير أداته وعلى غير أسلوبيه .

عناصر التشبيه :

أهم عناصر التشبيه الأدبي هو إبراز الشبه التام بين الصور وحقائقها وأن تقوم الصورة مقام أصلها في أداء المقصود منها ، وهي حسنة تستدعي جودة القرىحة والحق الذي يلطف ويدق وكلما كانت الصورة أبلغ في التعبير عما ترمز اليه كان شأنها أجمل والحق لمصورها أوجب ، ويقول البرد في كامله : « وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة وتبه بفطنته على ما يخفي عن غيره وساقه بوصف قوى واختصار قريب » ويقول ابن رشيق :

(١) ٢٢٦ صناعتين . (٢) ٢٥٦ ج ١ المدحه . (٣) ٦٨ الآسرار

« وحسن التشبيه أن يقرب بين البعدين حتى يصير بينهما مناسبة واشتراك » ، ويقول مؤلف نقد النثر : وكلما كان التشبيه في تشبيهه الطف كان ما الشعر أعرف وكلما كان بالمعنى أسيق كان بالحقائق (٤) وبعد القاهر يومن بنظرية ابن رشيق ويفيض في شرحها في أسراره وإن لم يبين من استمدّها .

التشبيه والأسلوب : وعلى أي حال فإن التشبيه مكانته الأدبية المتaraة في أساليب البيان ، وله أثره في التعبير والقدرة على التصوير وف استثارة الاقتناع والاعجاب ، ومسلكه في ذلك حبيب إلى الفكري وشبيه بالسحر وموصى إلى العالية التي ينشدها الشاعر والبلينج . وهو على أي حال أصعب أنواع الشعر وأبعدها متعاطي (٤) ، وأشد ما تناكله الشاعر صعوبة لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء الحس (٤) وهو مستوئر المذهب ومقتول من مقاتل البلاغة (٤) .

وقد عنى علماء الأدب والبيان به ويدرسته ، ويكتب عنه المبرد في الجزء الثاني من كتابه^(٤) ، ويشغل في كتابه قواعد الشعر^(٥) ، وأiben المترن في كتابه البديع ثم تلامهم قدامة في نقد الشعر ونقد النثر ، وأبو حلال في الصناعتين ، وعبد القاهر في الأسرار ، وأiben رشيق في المعدة ، وأiben الأثير في المثل السائير . وقد لفت فيه كتب مستقلة : ككتاب التشبيهات تأليف الإمام أبي إسحاق البمدادي وهو مختارات من الشعر والنثر في التشبيه والاستعارة والأمثال مخطوط بدار الكتب^(٦) ، وككتاب التصريح والمحضرة في الحكم والمناظرة للشالبي^(٧) ،

٨٥ مقدمة النشر

(٢) ٢٣٦ ج ٢ العددة . (٣) ٤٠٥ ج ١ العددة .

(٧) ١٥٣ المثل المسائر . (A) ٣٥ - ١٠١ ج ٢ الكامل .

(٩) طبع بلدين ومن هذا الطبيعة نسخة بدار الكتب الملكية - وقد
نشرت على علم ١٣٨٤ -

١٠) بحث ١١ شـ

(١١) مخطوط بدار الكتب الملكية (٤٩٦ و ٦٠٠ أنتب) .

وكتاب الأمثال المسائية من شعر التشبیه للصاحب بن عباد (١٢) ، وكتاب التشبیمات من أشعار أهل الأندلس لعلى بن محمد الكاتب من أهل القرن الخامس وكتاب روايَّة التوجيهات في بدایع التشبیمات لخسر بن يعقوب (١٣) ، على أن حقائق التشبیه لم يفهمها الكثير إلا في القرن الثالث وما بعده ، فبعد الملك يقول للشّعراً : تشبھونا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر وأجاج وبالجبل وعر (١٤) ، ومثل ذلك يروى عن أعرابي في مساجلة أدبية طويلة بينه وبين الأصمuni (١٥) ، وكان الجاحظ يرد على ذلك حين يقول : وقد علم الشاعر ان الجارية الفائقة الحسن أحسن من الطيبة وأحسن من البقرة وأحسن من كل شيء تشبیه به ولكلهم لو لم يفعلوا ذلك لم تظهر بلاغتهم (١٦) ، ويقول المبرد في توسيع هذا الرأي : إنما ينظر إلى التشبیه من حيث وقع فإذا شبه الوجه بالشمس فإنما يراد الفداء والرونق ولا يراد العظم والاحراق (١٧) .

التشبیه في الشعر الجاهلي : ينثر التشبیه في الشعر الجاهلي في كثرة وجودة تصوير وسهولة مأخذ وقرب خيال وصدق تعبير ، ثم يتتجاوز في الغالب حدود الأوصاف الحصية المادية القرية ، فامرأة القيس في معلقته مشبهة مجید في وصف المرأة والثريا وفي وصف الليل والفرس والبرق والمطر بما هو فيه أول باجماع ، يقول في عثيقته :

تخفى النّلام بالعشى كالنّها
منارة ممسى راهب متبتل
ويقول في وصف الثريا :
إذا ما الثريا في السّماء تعرّضت
تعرض أثناه الوشاح المفصّل

(١٢) مخطوط بدار الكتب الملكية (١١ و ٥٠٤٤ ادب) .

(١٣) ٣١٤ ج الرابع .

(١٤) ٢٦ ج ١ ديوان المعانى .

(١٥) راجع هذه الرواية الأدبية بتقديم (١١٦) ج ٢ زهر الأدب ١ .

(١٦) ١٦٣ رسالة النساء للجاحظ بهامش الكامل للمبرد .

(١٧) ٤٧ ج ٢ الكابل للمبرد .

ما قال المبرد فيه : « وقد أكثر الناس في صفة الثريا ، فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ، ولا بما يقارب سهولة هذه الألفاظ (١٩) » ; ويقول أبو هلال في ديوان المعاني : « وهذا البيت في صفة الثريا استحسن الناس وقدموه » ثم رد على من نقده (٢٠) : ويقول الجرجاني : « اعتبر الشاعر هيئة التفصيل في الوشاح ، والشكل الذي يكون عليه الخرز المنظم في الوشاح ، فصار اعتبر التفصيل أعجب تفصيل في التشبيه (٢١) » .

ويقول أمروُ القيس في جواده : « قيد الأوابد هيكل » ويصور هيئته في عدوه فيقول : « كجلود صخر حطه السبل من عل » ، وهل تجد في الشعر أبلغ من هذه الصورة الرهيبة للليل ، في ظلمته وطوله على المهمومين :

وليل كوج البحر أرخي سدوله على بائع الهموم ليتلى

ويقول (٢٢) :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

(١٨) ج ٢٥ .

(١٩) قالوا : هو معيّب ، لأن التعرض إنما هو أن يبدى عرضه أي جانبه ، والثريا تشق وسط السماء شقًا (راجع ٢٥ الشعر والشعراء مط ١٩٣٢) . قال ابن قتيبة : إنما أراد الجوزاء) ، قالوا . وأحسن منه قول ذي الرمة .

ورددت اعتسانا والثريا كاتتها على قبة الرأس ابن ماء ملحق قال أبو هلال : إنما أراد أمروُ القيس الثريا حين تغيب ، لأنها حينما تنحرف من وسط السماء إلى جانب . وقال آخرون : الثريا تعرض أول ما تطلع كما أن الوشاح إذا طرح بذلك بعرضه وهو ناحيته .

(٢٠) أسرار البلاغة .

(٢١) يقول ابن رشيق : وامرُ القيس أول من طرق هذا المعنى =

وهو أول من طرق هذا المعنى وابتكره ، وسلم الشاعراء اليه ؛
فلم ينزعه أحد أيام ، كما يقول ابن رشيق ٠

وقال المبرد : أحسن التشبيهات ما أتى لأمرىء القيس في بيت
واحد ، من تشبه شيئاً بشيئين مختلفين ، وهو قوله :
كأن قلوب الطير رطباً وباسماً
لدى وكرها العتاب والحشف البالى (٣)

وكذلك أشاد به ابن قتيبة (٤) وكثير من النقاد في مجلس
عبد الملك (٥) ٠

وقال ابن رشيق : « وأمرؤ القيس أول من ابتكر التمثيل بقوله :
وما ذرفت عيناك الا للتضريبي بسميمك في أعششار قلب مقتلاً
فمثل عينيها بسمام الميس ، ومثل قلبه بأعششار الجزور ، فنعت له
جهات التمثيل (٦) كل هذا » مفرغ في ذنوب من ماء العربية ، بين الجزالة
والعذوبة » كما يقول بعض المحدثين ، وهوأبلغ تصويراً كما يقول القدماء
من النقاد الى ما سوى ذلك من تشبيهاته المبتكرة (٧ طبقات الشعراء
لابن سلام ، ١٨٠ الموازنة ، ٢١٤ ، ٢١٩ — ٢٤٧ ج ٢ الرافعى) ٠

وكذلك كان النابغة مثبهاً ، ومصوراً يبلغ الغاية في التعبير

= وابتكره وسلم الشاعراء اليه فلم ينزعه أحد أيام وقد تعلق بذلك ابن شميد
الأندلسي فقال :

أدب اليه دبيب الكرى وأسمو اليه سمو النفس
(٢٢) الكامل للمبرد . (٢٢) ٣٤ الشعر والشعراء .
(٢٤) ٣٠ ج ٣ الامالي واحتذى بشار حذوه في بيته .
كان مثار النقع فوق رقوستنا وأسياقنا ليلى تهاوى كواكبه
(٤٦) ج ٢ الأغاني ، ٢٦٠ ج ١ العمدة ، ٢٣٧ سر الفصاحة ،
٢١٩ ج ٣ الرافعى) . (٢٥) ٢٤٧ ج ١ العدة .

والتصوير ، ووصف طرقه للناقة ، ووصف ليد للبقرة الوحشية ،
ووصف عنترة لنفسه والروحة التي استطرد في معلقته إلى وصفها ،
وللذباب الذي يفرد قفيها ، كل هذا حاصل بالصور المادية الجيدة لبلبع
التشبيه ، ويقول الجاحظ : نظرنا في الشعر القديم ، فوجدنا المعنى
يقلب ، ويؤخذ بعضه من بعض غير قول عنترة :
وخلال الذباب بها ، فليس تاريخ غردا ، كفل الشارب المترنم
مزجا ، يحث ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجدم
(١٨٤ ج ٣ البيان) .

وسمع الفرزدق رجلا ينشد قول لبيد
ووصل السيل عن الطول كأنها زبر تجد متونها أفلاماها
فسجد ، فقيل له : ما هذا يا أبا فراس ! فقال : « أنتم تعرفون
سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر » (راجع ٧٩ خاص الخاص
للشعالي) ، قال بعض المحدثين : وهم يعتبرون هذا التشبيه ليقايا
الأطلال ، في دققها وتتابعها ، ولعله أعلامها ، ثم كشف السيل عن هذه
الآثار المطمورة وسط التراب ، من التشبيهات العالية الطيبة .

التشبيه في القرآن الكريم :

والقرآن الكريم يسرى بالسلوب التشبيه إلى غاية بعيدة ، من
الصدق والقوة ، وروعة التأثير ، وجودة التصوير ، وتقدير الشبه بين
الأشياء وابراز المعانى البعيدة فى صورة حسية مألوفة ، وبين فى ذلك
غاية الایجاز ، ومنتهى الاعجاز ، وهل تجد أبلغ أو أروع من قوله تعالى :
« الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها صباح ، الصباح
في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة ،
لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضي ، ولو لم تمسسه نار ، نور على
نور » أو قوله تعالى : « وله الجوارى المنشأت فى البحر كالأعلام » ،

ومن أنتم أوصاف الظلمة ، الذى ليس فى كلام البشر ، كما يقول أبوهلال فى ديوان المعانى (٣) ، قوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقبيعة ، يحسبه الضمان ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده ، ٠٠٠ أو كظلمات فى بحر اجى ، ينشأ موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا اخرج يده لم يجد يراها » . الى غير ذلك من رائع التمثيلات وساحر التشبيهات ، التى تعلل الوجدان روعة والقلب ايماناً .

التشبيه في الشعر الاسلامي :

وتتأثر الشعراء الاسلاميون بالذكر الحكيم في أساليب التشبيه . فتلقوا في تجويده ، والبلغ به إلى حد البلاغة ، وسحر التصوير ، وأعانهم على ذلك تكاثر المعانى ، واتساع الخيال ، والحياة الجديدة التي مهد لهم الاسلام سبيلها ، فتتجدد عمر بن أبي ربيعة يقول :

دمية عند راهب ذى اجتهاد صوروها في جانب المحراب

وتتجدد كثيراً من هذه الصور عند من سواه من الشعراء .
ودخل المدخل على معاوية (٤) أو على عبد الملك (٥) فقال له :
ان كنت شبختي بالحياة والأبد والصقر فلا حاجة لي بمدحك .
ولما شاعت الدقة والمبالغة في الشعر لم يرض عن ذلك كثير ، وعانت امرأة عمران بن حطان عليه تشبيهه مدوحة بالأبد لما فيه من

٢٤٤ ج ١ (٢٦)

٧١ ج ٤ زهر (٢٧)

٢٧ ج ١ ديوان المعانى (٢٨)

المبالغة (٣) وكان ذو الرمة (٤) رئيس التشبيهين الاسلاميين (٥) كما كان امروء القيس في الجاهليين، كان احسن الناس نسبياً وأجودهم تشبيهاً (٦)، وقد أجمعوا العرب على أنه أحسنهم تشبيهات (٧)، وقدر من التشبيه على ما لم يقدر عليه غيره كما يقول جرير (٨)، وكان ابن المعتز أفضله ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبّيحة (٩)، وقال ابن المعتز: كان ذو الرمة أبدع الناس استعارة وأبرعهم عبارة (١٠)، وليس بعده أكثر افتناناً وأكبر تصرفاً في الشعر من ابن المعتز (١١) ومن تشبيهاته قوله:

ودرية مثل السماء قطعتها وقد صبغ الليل الحما بساد

(٢٩) ٨١ ج ١ العدة ٣٦٢ ج ١ و ٨٨ ج ٢ الكامل للمبرد، وبروى ذلك مع زهر ومع أوس بن حجر (١٠) ج ١ العدة .

(٣٠) غيلان بن مقتبة ٧٧ - ١١٧ هـ شاعر أموي جيد في وصف الأطلال ومن اكابر شعراء الوصف في العصر الاسلامي وكان يذهب في ذلك بذهب الجاهليين وبعد من تحول الطبقة الثانية في عصره . وكان راوية راغب الابل (٤٧ طبقات ابن سلام)، وكان من اطرف الناس حلو النطق حلو الحديث حسن الصوت (٣٦٦ ج ٤ العقد)، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول: فتح الشعر بباريء القيس وختم بذى الرمة (الراهنى ج ٢ البيان) .

(٣١) ١٢٥ ج ٢ الراهنى .

(٣٢) ٢٧ و ٢١٠ الشعر والشعراء ١٧٢ الموشح ٢٦ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٣٣) ١٤٧ ج ٢ ديوان المعنى .

(٣٤) ١٧٢ الموشح ج ١ العدة .

(٣٥) ٢٤٥ ج ٢ زهر ، رسائل ابن المعتز لحمد عبد المنعم خماجي.

(٣٦) ١٢٤ ج ٢ زهر ، رسائل ابن المعتز لحمد عبد المنعم خماجي، الكثير من التحول وإن لم يعد منهم لفظة تصرفه (١٥٢ ج ١ العدة)، وبروى حماد الرواية أنه أخر لحداته سنته واتهم حسدوه ، من ٩ ديوان ذى الرمة .

أخذه منه البحترى وقصر فقال :

على باب قنسرین والليل لاطخ جواببه من ظلمة بمداد

وقوله :

وتجلو بفرع من أراك كأنه من العابر الهندى والمسك ينفع

وقال :

رجيعة أسفار كان زمامها شجاع على يسرى الذراعين مطرق

وقال :

فما انشق خوء الصبح حتى تبييت جداول أمثال السيوف القواطع

وقال :

اقامت به حتى ذوى العود والتوى وساق الثريا في ملاعنه الفجر

فاستعار للفجر ملاعة وأخرج لفظه مخرج التشبّيه ، كما يقول ابن رشيق (٢١٩ ج ١ عمدة) . وكان ذو الرمة أنت العرب للحرباء ، ومن وصفه لها قوله :

كان يدى حربائهما متمسكا يدا مذنب ، يبستغفر الله ، تائب

ودخل جرير على الوليد ، وعدى بن الرقان عنده ، ينشد داليته ، قال جرير . فحسدنه على أبيات منها ، حتى أنسدته في حفة الخلبية : « ترجى أغن كان ابرة روجه » ، فقتلت في نفسى قد وقع ، والله ما يقدر أن يقول أو يشبه ، فلما قال عدى . « قلم أصاب من الدواة مدادها » ، ما قدرت حسدا له أن أقيم ، حتى انصرفت (٩٤ ج ٢ الكامل ، ١١٢ أسرار البلاغة) .

التشبيه في شعر المحدثين :

وسار المحدثون بالتشبيه في طريق الدقة والعمق وجودة التصوير واختراع المعانى وتوليدها والاكتار من التشبيهات والتمثيلات العقلية البعيدة المنزع وكان أظهرهم في هذا بشار وأبو نواس ثم أبو تمام والبحترى ثم ابن الرومي وابن المطر . ونقد بشار كثيرا في قوله :

الآ اتى ليلى عصا خيزرانة متى غمزوها بالأكف تلين
وقال : لله أبو صخر ، جعلها خيزرانة ، فو الله لو جعلها عصا رند
لهمجنا ، آلا قال كما قلت :
اذا قامت ل حاجتها تشتت كان عظامها من خيزران

ويقول بشار — كما روى عنه الألغانى (٣) وابن رشيق (٣) — :
لم أزل مذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيه شيشين بشيشين في بيت واحد « كان قلوب الطير » ، أعمل نفسى في الاتيان بمثله ، حتى قلت :
كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقد عقد الجرجانى في أسراره (٤) موازنة ممتعة بين فيها فضل
بيت بشار على ما يشابهه من شعر المتنبى وعمر بن كلثوم .

وسئل بشار : بم فقت أهل عصرك في تهذيب ألفاظ الشعر ، وحسن
معانيه ؟ فقال : لأنى لم أقبل كل ما ينادي بي به طبعى ، ونظرت إلى
معدن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسررت إليها بفهم جيد وغريزة
قوية (٤) .

(٣٨) ٢ من ٤٦ . (٣٩) من ٢٦٠ العيدة .
(٤٠) ١٥٢ و ١٥١ الأسرار . (٤١) ١٥٠ ج ١ زهر الأداب .

وكان غير بشار من المحدثين مثل بشار ، في جودة التشبيه ، وقوّة التصوّير ، والدقة في المعنى ، والتغلغل في أعماق الخيال .

ثم اشتهر بعد ذلك باجاده التشبيه بعض الشعراء في شتى العصور ، كما امتاز بعض الشّعراء بجودة التمثيل ودقته وروعته .

وبعد فالتشبيه قد ذكره أرسطو ورأى أن الشّعراء يقيّبون في التشبيه اذا أبعدوا وفرق بينه وبين الاستعارة (الشفاء لابن سينا) .

وأشار إليه الجاحظ اشارة عابرة حيث ذكر مثلا له^(٤٣) ، وعقد له البرد في كامله ببابا مستقلان^(٤٢) ، وكذلك فعل ثعلب^(٤٤) وابن المطر^(٤٥) والاصابة في التشبيه من أسباب جودة الشعر^(٤٦) ، وذكر ابن قتيبة التشبيه في مواضع كثيرة من كتابه^(٤٧) ، ورأى أن التشبيه يجب أن يكون أقوى من الشّبه في وجه الشّبه^(٤٨) وذكر قدامة أيضاً ببابا مستقلان للتشبيه^(٤٩) وكذلك صاحب المدح وأبوهلال وسواهم من العلماء وابن المطر أشهر من شهر بالتشبيه ، وعده من آلوان البديع متمنياً مع فطرته وذوقه الأدبي الذي شفف بهذا الصّيغ البياني شغفاً خاصاً وتبّعه في ذلك كثير من الشعراء .

— ٢٢٦ (٤٢) ٢ ٢٤٣ ٢ ٢٤٢ ج ٢ البیان .

(٤٣) ٢٥ — ١٠١ ج ٢ الكليل . (٤٤) ١٤ — ١٨ قواعد الشعر .

(٤٥) ١٢١ — ١٢١ البدیع . (٤٦) ٢٠ الشّعر والشعراء .

(٤٧) ٢١٧ المرجع . (٤٩) ٦٥ ٨ ج ٧٠ نقد الشعر .

شخصية عبد القاهر الجرجاني

عبد القاهر الجرجاني علم من أعلام النقد والبيان في تاريخ الثقافة العربية بل هو أبو البلاغة العربية ومبتكر نظرياتها عند كثير من الدارسين.

وقد عاش حياته كلها في جرجان ، وهي موطن كبير من مواطن الثقافة الإسلامية العربية في إيران في القرن الخامس الهجري (نحو ٤٠٠ - ٤٧١ هـ) ألف « المثنى » في شرح الإيضاح « لأبي على الفارسي في ثلاثة جزءاً ، ثم اختصر » في كتاب سماه « المقتصد » بمثابة شرح صغير على الإيضاح . وألف كذلك مختارات شعرية من شعر المتنبي وأبي تمام والمخترى ، وكانت ثقافته العربية والنقدية أغلب عليه ، ولقب بالنحوى لتفوقه في النحو ، واستقصائه لأحكامه وعلمه ووجوهه .

وطارت شهرته في كل مكان ، وتصدر حلقات الأدب والعربة في جرجان ، وقصده الناس للالغراف من علمه ، والافادة من فضله ، وتتلذذ عليه علماء كثيرون ، منهم : أبو نصر الشحرى ، وعلى بن زيد الفصيحى ، وسواهما : وقيل عنه : انه « فرد في علمه الغزير ، لا بل هو العلم الفرد في الأئمة المشاهير » .

ومن آثاره الأخرى : « التكملة ، وهو ذيل الإيضاح » و « الإيجاز » ، وهو مختصر للإيضاح أيضاً ، و « الجمل » في النحو والتلخيص ، وهو شرح لكتاب الجمل و « الموامل المائة » وكتاب في العروض ، وكتاب العمدة في التصريف ، وشرح الفاتحة ، وله شرحان على كتاب « اعجاز القرآن في تطمه » للواسطي (٣٠٦ هـ) : أحدهما كبير سماه « المعتمد » ، والآخر صغير ، و « الرسالة الشافية » في الاعجاز ، وقد طبعت مع رسالتين آخرين بعنوان « ثلاث رسائل » على إليها الدكتوران : محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سالم ، وطبعت في القاهرة .

وله كتابان آخران : أحدهما هو « التذكرة » ذكره مؤلف « أنياء الرواية » والآخر هو « المفتاح » ذكره صاحب (طبقات الشافية) .

وأجل كتبه ، وأعظمها أثرا ، وأكبرها خطرا ، وأخلدتها على الأيام كتابان ، هما : دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ، وهما أعظم ما ألف في البلاغة والنقد على مر العصور .

وإذا كانت شهرة عبد القاهر بالبلاغة قد ذاعت وطارت في كل مكان فإن شهرته بالنقد لا تقل في الحقيقة عن شهرته بالبلاغة ، وكتياباه يمثلان الذروة في كتب النقد العربي ، ويمثلان منهجاً كاملاً فيه .

أن عبد القاهر (١) من أعظم النقاد في تاريخ الثقافة الأدبية عند العرب ، وهو الذروة التي وصل إليها النقد العربي ، وقد سبقه نقاد كبار وضعوا أصول نظريات في النقد : هالاصمعي وضع مقياس الشخصية الفنية فيكتابه « فحوله الشعرا » ، وابن سالم وضع مقياس الطبيقة فيكتابه « طبقات خمول الشعراء » ، والجاحظ وضع مقياس الذوق في تقرير الأثر الأدبي ، وابن قتيبة وضع مقياس المحاكاة للجاهلين ، وابن المعتز وضع نظرية البديع وداعم عن المحدثين من خلالها ، وقدامة وضع مقياس الميزان النقدي في تقدير الشاعر والشعر ، والأمدي وضع مقياس العمودية أو نظرية عمود الشعر ،

(١) كان من كبار آئية العربية أخذ النحو عن ابن الحسين محمد الفارسي ، وله : المتنى في شرح الإياض في نحو ثلاثين مجلداً ، واعجاز القرآن ، وكتاب عروض ، والعوالل المائية ، والمفتاح ، والعدة في التصريف ، والجمل والتخييم بشرحه ، وأسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وغيرها (راجع غوات الوفيات لابن شاكر من ٢٧٨ و ٢٧٩ ج ١ طبعة ١٢٨٢ هـ) .

والقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى وضع نظرية العدالة النقدية فى الحكم على الشاعر ، وبعد القاهر الجرجانى وضع نظرية النظم وطبق عليها تطبيقات نقدية رائعة فى كتابيه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » .

ويقول الدكتور محمد مندور فى كتابه « في الميزان الجديد » ص ١٤٢ : « إن لدينا كتب نقد منهجي مفصل لا نظن أن الأوربيين قد وضعوا في آدابهم خيرا منها وخير مثل تلك الكتب هو : « المازنة » للأمدى ، و « الوساطة للقاضى الجرجانى » ومع ذلك فالفرق كبير بين عبد القاهر الجرجانى وبين الأمدى والقاضى الجرجانى ، فإذا كانت أحكام هذين الناقددين تعد الأساسى القوى لنشأة النقد العربى ، فإن دراسات عبد القاهر قد بنت للنقد صرحا شاملا ، وكتاباه « الدلائل » و « الأسرار » جديدين ينكرون في تاريخنا النبدي والبيانى . ويرى الدكتور مندور أن كتاب « أسرار البلاغة » أقرب إلى الفلسفة النظرية منه إلى النقد الأدبى . فالأدب فمن لغوى ، ومنهجه هو المنهج الفقهي ، كما فهمه عبد القاهر وطبقه في « دلائل الاعجاز » (٢) .

ولقد بلغ النقد الأدبى حتى نهاية القرن الرابع حدا كبيرا من النضوج والقوة شأنه في ذلك شأن الأدب وسائر آلوان المعلوم والثقافات ، وذلك برغم ما كان يعيش الحياة الإسلامية آبان ذلك المهد من ضعف سياسي بعيد الأثر في مستقبل العالم الإسلامي ، وحين كانت رقمة الدول الإسلامية تمرق أديمها الحوادث العاصفة وتنددوا لها أيدي الملوك الغاصبين والدول الصغيرة الناشئة كالاخشيدية والفااطمية والحمدانية والبويمية وغيرها من مختلف الدوليات والعرقوش ، كان رجال العلم والأدب والفن جادين في إقامة الحياة الإسلامية على أنس وطيدة من التكثير المثير والانتاج الصحيح والتجدد المستمر في شتى

(٢) : في الميزان الجديد - الدكتور مندور .

اللوان الثقافية ومناحي الحياة ، وكانت رعاية الملوك لهم ، وتحفيزهم للأمراء وقادة العالم الإسلامي أيامهم ، سبباً من أسباب استمرار هذه النهضة الفكرية والعلمية والأدبية ، كما كانت حركة البعث العقلية التي غذتها الرشيد والمأمون قد أكملها ، وهضمتها عقول المسلمين ، وأ Hollowed their غذاً عقلياً أنتج نتائجه العظيمة في القرن الرابع الهجري ، فكان أحفل عهد برجال الفكر والعلم والأدب والنقد والبيان وأمجد عصر شهدته العربية وأدابها الرفيعة ، وذاعت في آفاقه شهرة كثير من الأديباء والكتاب والشعراء وأئمة النقد وفحول البيان ، وظهرت في خلاله مؤلفات كثيرة تاضجة في علوم الدين والدنيا ، وفي علوم التفكير والفلسفة ، وفي علم العربية وأدابها ، سواء في اللغة — أم في الأدب أم في النقد أم في البيان . وما زالت هذه المؤلفات أعظم المصادر وأجلها في الثقافة الإسلامية ، وما زلنا نتشدّد السير على آثارها في الابداع والتتجدد والانتاج ولعل من أظهر خصائص الثقافة الإسلامية في هذه الحقيقة الرائعة ازدهار حركة النقد الأدبي ، وكثرة ما ظهر فيه من مؤلفات .

ففي القرن الرابع ازدهر النقد ، وتعدد النقد واتجه علماء الأدب في مشرقه إلى الكتابة في الأدب والنقد ، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب والبيان ، ثم أفادوا من دراسات النقد فاكدة جلى انتقالت بهم إلى البحث في مظاهر البيان ومشكلات البلاغة ، فاتجه تأليفهم في آخر هذا القرن إلى بحوث البيان نفسه .

ونقاد الأدب والشعر في القرن الرابع فريقان : فريق كتب ونقد وزان وحكم متاثراً بذوقه الأدبي وطبيعة العربي وثقافته الخاصة من شوائب الثقافات الأخرى ومن هؤلاء : الحاتمي ٣٨٨ صاحبه « المسالة الخاتمية » في نقد شعر المتنبي وبيان سرقاته من حكمة أرسطو الفيلسوف ، والحسن بن بشر الأمدى (- ٣٧١) صاحب الموارنة بين الطائرين ، وعلى بن عبد العزيز الجرجاني (٣٩٢)

(م - الإباحي ٤٤)

صاحب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » وابن وكيع (٣٩٣ م) صاحب « المنصف » في سرقات المتنبي ، وأبو بكر الباقيانى (٤٠٣ م) مؤلف « اعجاز القرآن » ، وقبيلهم أبو بكر الصولى (٣٣٦ م) صاحب « أخبار أبي تمام » وأبو الفرج الأصبهانى (٤٥٦ م) مؤلف كتاب « الأغانى » وفريق آخر كتب بروح أدبى هذبته فكرته ووسعه أفقه الثقافات الأخرى التى هضمتها القرن الرابع ، وأنجالها غذاء عقلياً لكل من توسع في الدراسة والبحث العميق . ومن هذا الفريق : جعفر بن قدامة (٣١٩ م) وقدامة بن جعفر (٣٢٧ م) صاحب « نقد الشعر » وابن العميد (٣٦٠ م) والصاحب بن عباد (٣٨٥ م) صاحب رسالة « الكشف عن مساوى شعر المتنبي » وأبو هلال العسكري (٣٩٥ م) صاحب « الصناعتين » و « ديوان المانى » . وهذا الفريق الأخير يختلف نقهوة وضيقاً بحسب تمكن الطبع العربى من نفوس رجاله وأعلامه ، وتتفاوت منازلهم في الإجاده والاحسان بتناوئهم في الذوق الأدبي الذى يعتقد به في الحكومات الأدبية العادلة . ودعنا من نقدوا الأدب والشعر بدون تمكن الطبع الأدبي في نقوسهم ، من النحويين علماء اللغة ، والمعنوين رجال المقل والفلسفة ، الذين جاء حكمهم بعيداً عن الذوق المطبوع والقطرة السليمة ، والذين نقدتهم الجرجانى في « وساطته » فقدا لاذعاً ، وطرح آراءهم في النقد والبيان ، فلم يعتقد بها ولم يعرها تصيباً من البحث والمناقشة ، اللهم الا حين ذكر بعض أخطائهم في النقد لتكون حجة له في هذا الاتهام .

ويجيء الباقيانى وكتابه « اعجاز القرآن » أثراً جليلاً من آثار النقد والبلاغة وقد ألفه في نهايات القرن الرابع المجرى .

ثم جاء عبد القاهر الجرجانى في القرن الخامس فأحدث بكتابيه :
دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ، ثورة بيانية ونقديه رائعة .

وقد ظهر مع عبد القاهر وفي عصره فحول من النقاد من أمثال :
أبن سنان الخفاجي صاحب كتاب « سر الفصاحة » ، وابن رشيق القيروانى

صاحب كتاب « العمدة في صناعة الشعر ونقده » وكان لهم جمیعاً اثر
کبیر في تطور النقد والبيان .

وعبد القاهر الجرجاني (- ٤٧١ھ) من أجل النقاد العرب في
تاريخ الثقافة الأدبية العربية .

وقد سبقه الآمدي والقاضي الجرجاني .

ومع ذلك فالفرق كبير بين عبد القاهر وبين الآمدي والجرجاني ،
فإذا كانت أحکام هذين النقادين تعد الأساس لنشأة النقد العربي ،
فإن دراسات عبد القاهر قد بنت للنقد صرحاً شاملاً فكتاباه الأسرار
والدلائل من خير ما ألف في النقد والبيان .

ويقول مندور (٣) : أنتي لا أعدل بكتاب « دلائل الاعجاز » كتاباً
آخر ، وأما « أسرار البلاغة » فمرتبته في نظرى دون الدلائل بكثير .
فالدلائل يشتمل على نظرية في اللغة وتطبيق على تلك النظرية وأما
« الأسرار » فأقرب إلى الفلسفة النظرية منه إلى النقد الأدبي ، فالآداب
فن لغوى ، ومنهجه هو النهج الفقهي ، كما فهمه عبد القاهر وطبقه
في « دلائل الاعجاز » .

ويعتمد عبد القاهر على الذوق الأدبي الخالص اعتماداً كلّياً في كل
ما يقرره من أحکام ، مقرراً أنه لا يصادف القول في هذا الباب موقعاً من
السامع ، ولا يجد لديه قبولاً ، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى
يكون من تحدثه نفسه بأن لما يومئه إليه من الحسن واللطف أصلًا ،
وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجدد الأريحيّة تارة ويعرى
منها أخرى ، وحتى إذا عجبته حجب ، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه (٤) .

(٣) ١٤٤٢ المرجع .

(٤) ٢٨٤ الدليل تحقق الخواجي .

وقد أثرى عبد القاهر البلاغة العربية والبيان العربي والنقد الأدبي اثراً جليلاً ، يظهر في نقاده الأساليب وتحليلها ، وفي استبطاطه الفروق والخصائص فيما بينها وفيما عرض له من أحكام تقديرية دقيقة على أساليب كثيرة من ضروب الشعر والنشر .

ويمثل عبد القاهر المجرجاني مؤلف كتابي : *أسرار البلاغة ، دلائل الاعجاز ، القمة العالية ، التي وصل إليها الذوق العربي* .

وفي كتاب «*أسرار البلاغة*» يتحدث عبد القاهر عن الأصول الكبرى في البيان العربي ، مثل التشبيه والتلميل ، والاستعارة ، والجاز والكتابية ، والسرقات الشعرية ، وحسن التعليل. وروائع الاهتمام إلى دقائق المعانى فيها واختلاف الأدباء والشعراء في الوصول إلى أدق بلاغاتها ، وطرق اختلاف أساليبها من حيث النظم والصياغة والتصوير .

وفي «*دلائل الاعجاز*» يتحدث عبد القاهر عن نظرية النظم وتطبيقاتها الواسعة في مختلف أساليب البيان ، ويتدبر بذوقه وأحاسسه بين روائع الأدب والشعر دارساً لها مبيناً الفروق الأدبية والبيانية بين أساليبها من حيث وجهة رأيه في النظم ، ويهدى بفطنته وذكائه إلى مناهج مفصلة يبني عليها أحكامه التقديرة والبيانية في دقة وعمق وروعه فهم للأدب وخصائصه :

وأكاد أمثل ذوق عبد القاهر النضدي في الكتابتين بالترمومتر الزئبقي الذي يتتأثر بمختلف درجات الحرارة تأثيراً واضحـاً ، فإن ذوق عبد القاهر يقف عند دقائق الأساليب ، ومختلف صور الأداء والبيان ، متآثراً مهتماً بغيره عن انفعالاته الأدبية والتقديرية بأجل بيـان وأوضح تعبير ، وعندما يقف أمام روعة تعبير ، أو آذى تعبير في الأسلوب ، يعبر عن انفعالاته الفنية تعبيراً يدل على أحـالـة فـهم ، وعمق احسـانـ ، ودقة فـطـنة ، وعلى ذوق مرـهـف عـجـيب .

يرى عبد القاهر في « دلائل الاعجاز » أن اللفظة رمز لمعناها ، ورمز للفكرة أو التجربة أو العاطفة أو المعنى ، وقيمتها فيما ترمز إليه ، وليس البلاغة فيها وحدها ، فالكلفاظ لم توضع ولا تستعمل لتعيين الأشياء المعينة بذواتها ، وإنما لدينا صورة ذهنية لكل شيء ، ولكن حدث ونحن نضع الفاظ اللغة ، ونستعملها ، لتحرك هذه الصور الذهنية الكامنة ، فلا يمكن أن يثير لفظ طفل مثلاً في نفوسنا شيئاً ما لم يكن في ذهننا صورة للطفل ، اللفظ رمز لها ومحرك (٢) .

وعبد القاهر في ذلك يتلافق مع كل النقاد العالميين القدامى والحدثين ، فإذا قال أفالاطون من قبل : إن الكلمة إنما تعنى الفكرة ذاتها وحقيقةها الخارجية المتمثلة في صورة من كلمة على السواء (٣) ، وإذا قال أرسطو : إن عملية النطق مستلزمة ضرورة للتفكير وان الكلمات رموز للمعنى (٤) ، فإن عبد القاهر يقول : إنك تطلب المعنى وإذا ظفرت به فاللطف معك وازأه ناظرك (٥) ، ويقول برجسون يبعد بزمن طويل : إنما نفكري بالكلفاظ ، ويقول لاسل آبركرومبي أستاذ النقد الانجليزي بجامعة لندن : « على الأديب أن يجعل ألفاظه محاكية لتجاربه ورمزاً لتلك التجارب ، وعليه أن يجمع بين مقدراته على التعبير بما في نفسه بذلك الرمز ، وبين مقدرة ذلك الرمز نفسه على نقل تجاربه إلى القراء (٦) ، فما وظيفة الكلفاظ في الأدب إلا أن تكون رمزاً (٧) ، ويقول ميخائيل نعيمة في كتابه النقدي المشهور « الغربال » : لا قيمة للغة في ذاتها ونفسها : بل قيمتها فيما ترمز إليه من فكر وعاطفة .

(٥) راجع ٤٢١ دلائل الاعجاز ٤ في الميزان الجديد لمدحور .

(٦) ١٢٧ الأدب وفنونه — عز الدين اسماعيل .

(٧) الخطبة لأرسطو ٢٤٠ ب س ١٥ — ٢٤ .

(٨) ١٠٢ الدلائل لعبد القاهر ، مكتبة القاهرة .

(٩) قواعد النقد الأدبي — القاهرة ١٩٣٦ — ترجمة محمد عوض .

(١٠) ٢٥ المرجع نفسه .

النظيرية واضحة ، وقد بحثت مدرسة لغوية كبيرة ، هي مدرسة « فنت الالماني » نظرية الرمزية في اللغة هذه ، وكتشفت عنها ، ودرست تفاصيلها ، في اتفاق كلٍ مع كل ما كتبه عبد القاهر الجرجاني وفصله في دلائل الاعجاز (١) ٠

وفي مناظرة السيرافي لمتي بن يوينس التي رواها أبو حيان التوحيدي في كتابه « الامتناع والمؤانسة » ، يقول متي بن يوينس : المائني المدركة لا يتوصل إليها إلا باللغة (٢) ٠

ويجعل بعض المعاصرين عبد القاهر متاثراً في دلائل الاعجاز بكل الأفكار التي تضمنتها هذه المناظرة (٣) ٠ وهذا ظلم لعبد القاهر وكتابه ، وخاصة أن الكاتب الدكتور طباعة لم يقييد كلامه حتى يجعله بمثابة عن الأطلاع ، وكان أصول دلائل الاعجاز صياغة مباشرة لكل الأفكار التي تضمنتها هذه المناظرة ، ولو قلنا أن عبد القاهر إذا كان قد تأثر بأحد فانما تأثر بآراء ابن جنى (— ٣٩٢ هـ) في كتابه « الخصائص » لكننا أقرب إلى الصواب مع الاختلاف المطلق بين عبد القاهر وغيره من علماء اللغة والتقد من العرب ، لأن لعبد القاهر مذهب المستقل المتيمز في كل ما يعرض له من نظريات وفلسفات نقدية وبيانية ٠

والعلاقات الأسلوبية بين الألفاظ هي في رأي عبد القاهر — في كتابه « دلائل الاعجاز » — موطن البلاغة وهي ما عبر عنه بالنظم ، وما يعبر عنه النقاد بالشكل والصورة .. مع خلاف كبير بينهم في تحديد معنى الشكل فيما لاختلفون في تحديد معنى المسمون ، فمن مجموع العلاقات بين الألفاظ في النص الأدبي تتكون الصورة ، وفيها تظهر البلاغة

(١) عقد محمد مندور الصلة بين عبد القاهر وفنت الالماني في رمزية اللغة في كتابه « في الميزان الجديد » ص ١٤٣ ٠

(٢) راجع الامتناع والمؤانسة لابن حيان ٠

(٣) ١٦٧ البيان العربي — د. يدوى طباعة ٠

أو الجمالية .. وهذا هو أساس نظرية التحليل اللغوي عند سويسري السويسري (١٤) ، الذي يذهب إلى أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ ، بل هي مجموعة من العلاقات .

يقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك : إن نظم الكلام يقتضي فيه آثار المعانى (١٥) وليس الغرض بتنظم الكلام أن توالت ألفاظها في النطق ، بل أن تتناسق دلالتها وتلتقي معانها ، على الوجه الذى اقتضاه العقل (١٦) .

وهذا هو ما ذهب إليه النقاد المحدثون ، فاللغة عندهم حين يستعملها الشاعر تصبح لغة شعرية لا لأنها في ذاتها لها هذه الخاصية ، ولكن لأنها خضعت للتجربة الشعرية في نفس الشاعر ومقتضيات التعبير عن هذه التجربة ، فالشاعر يريد انتاج تركيب معين من خلال اللغة ذات الطبيعة التحليلية وأحداث الآخر التركيبى من خلال أداة تحليلية يمثل أعظم نجاح للشاعر (١٧) .

ويكاد يكون الناقد الإيطالى بندتو كروتشيه (- ١٩٥٢) متأثراً بمذهب عبد القاهر تأثراً كبيراً . فقد اعتقد بالشكل الأدبى ، ورأى المعرفة الجمالية فيه لا في المضمون (١٨) كما ذهب إليه عبد القاهر . فالشكل

(١٤) ومن مدرسة فريدريك سويسري رائد علم اللسان الحديث : العالم اللغوى الفرنسي أنتوان بييه — راجع ١٤٨ في الميزان الجديد للدور .

(١٥) ٩٣ دلائل الأعجاز — تحقيق خفاجى .

(١٦) ص ٩١ المرجع .

(١٧) راجع في ذلك : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث للسحرى ، وقضايا الفكر في الأدب المعاصر لوديع فلسطين ، ١١١ ٤ ١١٢ الأدب وفنونه .

(١٨) بحدد كروتشيه المضمون بأنه الإحساس أو الناحية الانفعالية قبل مقتها مثلاً جائياً أما الشكل فهو مقتلهما وإبرازها في تعبير عن طريق =

عنه هو النظم عند عبد القاهر ، والمضمون عنده صورة قريبة من المعنى
عند عبد القاهر .

وإذا كان بعض النقاد العرب قد فصلوا بين اللفظ والمعنى ، أو بين
الشكل والمضمون ، أو بين الصورة والمعنى ، ورأوا أنهما عنصراً
مستقلاً تماماً الاستقلال ، من حيث ذهب ابن رشيق (— ٤٥٦) في
كتابه « العمدة » إلى أن اللفظ جسم وروحه المعنى ، فلا يمكن الفصل
بينهما ، إذ مما متلازمان ، وكان رأيه ذلك قريباً من مذهب أرسطو في
العلاقة بين اللفظ والمعنى ، فإن عبد القاهر الجرجاني كان من أكبر
النقاد العرب الذين اهتموا إلى هذه العلاقات بين الألفاظ والمعانى في
النص الأدبي ، وسماها النظم ، وعرفه بأنه تعليق الكلم بعضاً ببعض
وجعل بعضها يسبب من بعض (١٩)، ورد على من يجعل مدار المبالغة ،
أو الجمالية ، في اللفظ أو في المعنى ، ورأى أنها إنما هي في العلاقة بين
الألفاظ في العبارات وبين المعانى وأكد أن ليس الغرض بنظام الكلام أن
توالت الشافتها في النطق بل أن تتناسق دلائلها ، وتلاقي معاناتها على
الوجه الذى افتتاحه العقل .. وهذا هو ما اهتمى إليه فيما بعد النقاد
الجماليون الذين يرون أن الصورة والمضمون في النص الأدبي هما وجهاً
النموذج الأدبي ، والفصل بينهما غير ممكن ، فليس هناك مضمون
وصورة .. بل هما شيء واحد ، فالمعنى الذى يحتويه النموذج الأدبي ،
لا توجد قبل وجوده إلا وجوداً غامضاً ، إنما يتم وجودها حين تصاغ ،
وحيث تأخذ شكل قالبها المعين ، وتبرز واضحة فيه بكل خصائصها الفكرية
واللفظية ، فمادة النموذج الأدبي وصورته لا تفتران ، فهما كل واحد ..

= النشاط المكري ، ولاتبعة منه في الشكل للكلمات المفردة من حيث هي
مادة للتعبير ؛ ولا من حيث الجرس والصوت منفصلاً عن الفن
والصورة .. وهذا كله هو رأى عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز
نساناً .

(١٩) راجع الدلائل في أماكن كثيرة مثل ٤٣ و ٤٤ .

وبينهما نجد الكلاسيكيين يرتفعون من شأن اللفظ والرومانسيين يهتمون بالمعنى ويقدمونه على اللفظ ودعاة مذهب الفن للفن يحررون النص الأدبي من كل قيود المضمون والمحتوى ، ما دام النص يغدو حاسة الجمال فيينا ، ودعاة الرمزية يهتمون اهتماما خاصا بما توحيه الصور والألفاظ ، من رموز ومجازات عن طريق موسيقاه وأصواتها ، ودعاة الواقعية يهتمون بالمضمون في النص الأدبي ومحتسواه الواقعى أو الاجتماعى ، فان الفلسفة الجمالية — وهي مطابقة — تمام المطابقة لفلسفة عبد القاهر التقديرة ، أو على أصح تعبير ، هي مأخوذة منها ، تؤكد وحدة العمل الأدبي ، وترتبط بين مضمونه وأسلكه برباط وثيق من الوحدة والالتحام ، وهكذا نجد فلسفة عبد القاهر اللغوية ذات قيم جمالية مبتكرة ، فاللفظ يستمد عنده بالاغتنى من أنه ذات المعنى ، والمعنى يستمد مزيته من حيث أنه المسادة الغلبل التي يصوغها اللفظ^(٣) .

ومن أجل ذلك رفض عبد القاهر الاعتداد بالمعنى وحده مرددا ما رددته الجاحظ^(٤) من قبل من أن المعانى مطروحة في الخزيرى يعمرها المعجمى والعربى ، والقروى والبدوى وإنما الشأن فى إقامته الوزن ، وتغير للفظ ، ومسؤولية المخرج ، وبصحة الطبع وجودة الصبك ، وإنما انصرخ صياغة وضرب من التصوير^(٥) ، وهذا هو ما قاله مالارديه الشرقي فيما بعد من أن الشعر لا يصنع من الأفكار ولكنها يصانع من الألفاظ^(٦) . ويقول بعض الباحثين أن الشاعر لا يكتبه أن يحصل تقدرا من المفكار حتى يستطيع أن يقول الشعر ، فلحسن لا تحكم على الشاعر إلا بعد أن نقرأ الألفاظ التي كتبها^(٧) .

(٢٠) راجع ١٦٢ وما بعدها من كتاب « في النقد الأدبي » ، د. شوقي شريف » .

(٢١) راجع الحيوان للجاحظ (٢ : ٤٠) ، ودلائل الاعجاز من ٢٥٧ .

(٢٢) ٢٥٧ دلائل الاعجاز : تحقيق الخفاجى .

(٢٣) ١٠٩ الأدب وفنونه .

(٢٤) ١١٠ المرجع نفسه .

كما رفض عبد القاهر كذلك الاعتداد بالللغظ وحده ، فنفي أن تكون الفصاححة صفة الللغظ من حيث هو للغظ . وذلك في مواصيغ كثيرة من دلائل الاعجاز (٢٥) . والألفاظ في ارتباطها الفني إنما تكون في القصيدة — مثلاً — مجموعة الصور التي تنقل بيننا الفكر أو التجربة أو المشاعر النفسية .

ولا يغفل عبد القاهر أهمية المعانى الثانوية ودلالتها الجمالية في النص الأدبي ، سواء كانت هذه المعانى الثانوية معانى لزومية ، أو من مستحبات التراكييب ، أو أثراً لرموز صوتية أو إيحاءات نفسية ، فهى التي تعطى للأسلوب دلالاته البلاغية ، وتحمّل قيمة جمالية ، وكثير من المهارة الأدبية إنما هو في اطلاق تلك المعانى الثانوية لتؤثر تأثيرها في الخيال ومن أجل ذلك قرر عبد القاهر — في كتابه « دلائل الاعجاز » أن الكلام على ضرورة : ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة الللغظ وحده ، وضرب آخر أنت لا تصل إلى الغرض بدلالة الللغظ وحده ، ولكن بذلك الللغظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ، ثم تجسّد ذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ، ومدار هذا الأمر على الاستعارة والكتابية والتتمثيل (٢٦) ، وقرر أن المعنى هو المفهوم من ظاهر الللغظ ، أما معنى المعنى فهو أن تتعقل من الللغظ معنى . ثم ينضي به ذلك المعنى إلى معنى آخر (٢٧) ، وشرح وجوهها أخرى كثيرة لمعنى المعنى (أو المعانى الثانوية) في مختلف فصول الكتاب ، وبعد القاهر في ذلك يتلاقى مع كل النقاد الكبار في مختلف المتصور ، بل إنهم هم الذين يتلاقون معه ، ويدورون حوله ، يقول كرومبين الساقد الانجليزي الشهير : إن المعنى الذي نجده في معاجم اللغة الكلمة ما هو إلا النواة التي يتجمع حولها طائفة من المعانى الثانوية ، وكثير من المهارة الأدبية

(٢٥) راجع مثلاً من ١٠٢ و ٣٧١ و ٤٩٥ الدلائل .

(٢٦) ٢٦٢ دلائل الاعجاز تحقيق الخناجي .

(٢٧) ٢٦٢ المرجع .

عبارة عن اطلاق تلك المعاني الثانوية لتأثيرها في الخيال (٢٨) ، فأن أسمى ما يصل إليه من الأدب أن يجعل (٢٩) الإيحاء اللفظي من القوة والسيطرة وبعد المدى والحيوية والقدرة بمكان عظيم . فالشاعر (٣٠) يستخدم المعانى العقلية للالفاظ ويستخدم كذلك علاقاتها وايحاءاتها وصورها وايقاعها والصور الموسيقية وغيرها مما تكونه الالفاظ حين يربط بعضها ببعض ، فان عناصر الصورة تتكون من الدلالة المعنوية للالفاظ والعبارات ، ويضاف الى ذلك مؤثرات أخرى يكمل بها الأداء الفنى . وهذه المؤثرات هي : الإيقاع للكلامات والعبارات والصور والظلال التي يشعها التعبير (٣١) . وأصبحت هذه المعاني الثانوية ذات أصلة كبيرة في الصورة الأدبية (٣٢) .

ومن كل هذه القيم صاغ عبد القاهر فلسنته البلاغية أو الجمالية ، التي جعل محورها نظريته في النظم التي ربط فيها بين اللفظ والمعنى . وبين دلالات الالفاظ الأسلوبية ودلائلها الثانوية ، وجعل النظم وحده هو مظهر البلاغة ومثار القيمة الجمالية في النص الأدبي .

وهذه الفلسفة البلاغية هي أساس فكرة عبد القاهر في كتابه « دلائل الاعجاز » الذي شرح فيه نظرية النظم ، وجلاها في أوضاع صورة ، وأجلل بيان . وطبق عليها تطبيقات أدبية واسعة . شملت كل ألوان النظم وصور الأسلوب أو الشكل الأدبي . وجعل عبد القاهر كل هذه القيم الجمالية دلائل الاعجاز ، أو مقدمات لدراسة وجود الاعجاز في القرآن الكريم على أصح تعبير .

(٢٨) من « قواعد النقد الأدبي » لاسل آبرو كرومبي — ترجمة محمد عوض .

(٢٩) من ١٢٨ المرجع .

(٣٠) ١٠٢ الأدب ونحوه ، وكذلك الشعر المعاصر للسحرى من ٦٦ ، ودراسات في النقد الأدبي للمؤلف .
(٣١) ٦٩ دراسات في النقد الأدبي للمؤلف .

(٣٢) راجع ٤٥ الشعر المعاصر للسحرى .

وأسرار البلاغة كتاب مشهور رائع ، ألفه الإمام عبد القاهر الجرجاني (٤٠٠ - ٤٧١ھ) ، ويعد من أهم الأصول والمصادر — في النقد والبلاغة العربية •

ويشرح لنا عبد القاهر غرضه من الكتاب فيقول :

اعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته ، والأساس الذي وضعته ، أن أتوصل إلى بيان أمر المعانى ، كيف تتفق وتختلف ، ومن أين تجتمع وتتفرق ، وأفضل أجناسها وأنواعها ، وأنتبه خاصيتها ومتناها ، وأبين أحوالها ، في كرم منصبها من العقل ، وتمكنها في نحابه ، وقرب رحمة منه ، وأبعدها حين تتناسب عنه ، وكونها كالحليف الجارى مجرى النسب أو الزنيم الملحق بالقوم لا يقبلونه ولا يمتصون له ولا يذبون دونه (٣٣) • ثم يردف ذلك بقوله : وإن من الكلام ما هو شريف في جوهره كالذهب الابريز الذى تختلف عليه الصور ، وتنماق عليه الصناعات ، وجل المول في شرفة على ذاته ، وإن كان التصوير قد يزيد في قيمته ، ومنه ما هو كالملصوعات الحجيبة من مواد غير شريفة ، فلها ، ما دامت الصورة محفوظة عليها ، قيمة تعلو ، ومنزلة تعلو (٣٤) ، ثم يقول : وأول ذلك وأولاده ، وأحدهما يأتى يستوقيه للنظر ويقتضاه ، القول على التشبيه والتمثال والاستعارة فإن هذه أصول كثيرة جل محاسن الكلام إن لم تقل كلها ، متفرقة عنها ، راجعة إليها ، وكانتها أقطاب تدور عليها المسائى في متصرفاتها (٣٥) •

وفي هذه النصوص يوضح لنا فيها عبد القاهر أموراً كثيرة :

١ — فهو يذكر أولاً أن جل اهتمامه في الأسرار موجه إلى التشبيه

(٣٣) ١١٧ و ١٨ أسرار البلاغة تعلق محمد رشيد رضا ، ط ١٩٥٩ — مكتبة محمد صبيح . يذبح يداعم .

(٣٤) ١٨٥ المرجع .

(٣٥) ١ ١١٨ أسرار البلاغة — مكتبة القاهرة — ١٩٧٢ .

والتمثيل والاستعارة وقد عنى بها حقا عبدالقاهر في الكتاب عنية فائقة، وأشترك معها في البحث في هذا الكتاب الكناية والمجاز وبعض ألوان المحسنات البدوية كالتجنيس والسمج والمبالغة والطباق والأخذ والسرقة ، وغير ذلك .

٢ — ويدرك ثانياً أنه يعني بذلك لبيان أمر المعانى فى انتقادها واختلافها وصلتها بالعقل وقربها منه أو بعدها عنه ، ويريد عبد القاهر بالمعانى هنا ما يريد بها في قوله : إن المطابقة والاستعارة وسائل أقسام ابديع لا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بها إلا من جهة المعانى خاصة (٣)، ويفسر لنا ذلك رأيه في أن الاختصاص — أي البلاغة — في ترتيب الكلم يقع في الألفاظ مرتبة على المعانى المرتبة في النقوش (٤)، مريداً بالمعانى هنا معانى النحو التي يذكرها في تعريف النظم وأنه توخي معانى النحو فيما بين الكلم ، فليس المراد من كل ذلك إلا تقرير أن بلاغة التشبّه والتمثيل والاستعارة وغيرها راجعة إلى النظم أو هي سبب منه ، فحدّيثه عنها في هذا الكتاب إنما هو تطبيق على نظريته في النظم التي يجعل بلاغة الكلام راجحة إليه ، ويؤكد ذلك قوله في آخر كتابه « دلائل الأعجاز » : وجملة الأمر أنها ما رأينا في الدنيا عacula اطّرح النظم والمحاسن التي هو السبب فيها من الاستعارة والكتناية والتمثيل وضروب المجاز ، والإيجاز ، وصد بوجهه عن جميعها ، وجعل الفضل كله والزينة أجمعها في سلامه الحروف (٥)، حيث يقرر أن البلاغة إنما هي في النظم وفي المحاسن التي هو السبب فيها في الاستعارة والتمثيل والكتناية .. الخ ، ونظريته في النظم على موضوع كتابه « دلائل الأعجاز » ، ورأيه في المحاسن — التي يرجع

(٣) ١٤ سطر ١ و ٢ أسرار البلاغة — رشيد رضا .

(٤) ص ١٢ و ١٣ المرجع نفسه .

(٥) ص ٤٠٢ دلائل الأعجاز (طبع المنار ١٣٣١ هـ) ، ٣٣٤ الدليل — طبع المكتبة محمودية .

السبب فيها إلى النظم — في الاستعارة والتمثيل .. الخ . هو موضوع كتابه « أسرار البلاغة » *

٣ — فعبد القاهر اذ تدور أفكاره التي كتبها في كتابه حول فكرة واحدة لا فكرتين ، وهذه الفكرة هي أن البلاغة ترجع إلى النظم والصياغة سواء فيما يتصل بالأسلوب أو بأهم عناصره من التشبيه والتمثيل والاستعارة والتكتایة والمجاز .. الخ ، وقد بحث ببلاغة النظم في الدلائل وببلاغة التشبيه وآخواته في الأسرار الذي يقرر فيه أن بلاغة هذه الألوان راجمة في الحقيقة إلى النظم ، فبلاغة الاستعارة عنده راجمة إلى نظم عبارتها وما بين المعاني من الارتباط (٣) ، وليس المزية التي يتبناها لكتابية على الأفصاح راجمة إلى نفس المعنى الذي يقدمه المتكلم إليه ، ولكن المزية في طريق آياته هذا المعنى (٤) ، وكذلك الأمر في التشبيه ، فبلاغة كل هذه الألوان تمود إلى الذي هو ارتباط معانى الكلم بعضها ببعض وترتب بعضها على بعض على وفق ترتيبها في الذهن وانتظر إلى قول عبد القاهر في دلائله في شرح الاستعارة في بيت ابن المطر المشهور :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدناiper
قال : فانك ترى هذه الاستعارة على لطفيها وغرابتها انما تسم لها الحسن ، وانتهى إلى حيث انتهى ، بما توخي في وضع الكلام من التقاديم والتالخير ، وتتجدها قد ملحت ولطفت بمعونة ذلك
ومؤازرته (٥) *

فمن الخطأ ما ذهب إليه مؤلف كتاب « من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده » من أن دراسة الفن الأدبي تعتمد على تاحيتيين : ناحية البناء والنظم والتركيب ، وهذا ما درسه عبد القاهر في

(٣) الأسرار ط ١٩٣٩ — عيسى الطبى من ١٤ ، ١٥ .

(٤) الدلائل ط ١٢٢١ من ٥٦ (ط ١٣٣٧) .

(٥) الدلائل من ٢٨ المكتبة المحمودية وتحقيق المراغى .

دلائل الاعجاز ، وناحية الصياغة والتصوير والجمال وهي — ما درسه عبد القاهر في أسرار البلاغة^(٤٢) . ذلك أنه ليس هناك فاصل فكري بين الكتبين ، فضلاً عن أن هاتين الناحيتين اللتين ذكرهما إنما مما ناحية واحدة وفكرة واحدة . ويتابع المؤلف شرح رأيه فيقول : أن مقياس الجودة الأدبية عند القاهر هو تأثير المصورة البيانية في نفس متذوقها ، وهذا هو الفكر الرئيسي الذي تبرز في أسرار البلاغة^(٤٣) ، وهو يزيد ربط (الأسرار) بالذهب النفسي في دراسة الأدب ونقده ، وقد يكون ذلك سببيحاً لو أنتما جعلنا هذا الربط هو أحد ما اتجه إليه عبد القاهر في كتابه « أسرار البلاغة » لأن نجده هو كل ما اتجه إليه ، أو الخاتمة والهدف له من الكتاب .

فإذا كان عبد القاهر قد دارت فكرته في « دلائل الاعجاز » حول البلاغة وأتها تكون في النظم وأن النظم هو تعليق معانى الكلم بعضها ببعض ، فإن فكرته في الأسرار تدور حول ذلك أيضاً لاظهار أسرار هذه المعانى في التشبيه وأخواته ، فدلائل الاعجاز موضوع نظرية عامة في الأدب لاتصالها بالاعجاز أما « أسرار البلاغة » فشرح وتطبيق لهذه النظرية على التشبيه وأشباهه ، لأن ذلك وثيق الصلة بالخلق الأدبي ، ففي الدلائل يتناول الجرجاني شرح المقياس الذي يقيس به الاعجاز وهو النظم ، وفي الأسرار درس أبواب التشبيه ، وهكذا تجد فلسفة عبد القاهر اللغوية ذات قيم جمالية مبتكرة ، فاللغط يستمد عنده يلاغته من أنه ظل للمعنى . والمعنى يستمد مزيته من حيث أنه المسادة الغفل التي يصوغها اللفظ ، ومن أجل ذلك رفض عبد القاهر الاعتداد بالمعنى وحده ، مردداً ما رددده الجاحظ من قبل^(٤٤) من أن المعانى مطروحة في الطريق يعرفها المعجمى والعربى والقروى والبدوى ،

(٤٢) ٧٤ ، ٧٥ من الوجهة النفسية ط ١٩٤٧ .

(٤٣) ٩٢ ، ٩٦ المرجع .

(٤٤) راجع من ١٢ في النقد الأدبي للدكتور شوقي ضيف .

وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وصحّة الطبع ، وجودة السبك ، وإنما الشعر صياغة وضرب عن التصوير ، وهذا هو ما قرره مالارميه الفرنسي فيما بعد من أن الشعر لا يمكن من الأفكار ولكته من الألفاظ ^(٤٥) ، ومن ثم فإن الشاعر لا يكتبه أن يحصل على قدر من الأفكار حتى يستطيع أن يقول الشعر . فتحن لا تحكم على الشاعر إلا بعد أن تقرأ الألفاظ التي كتبها ^(٤٦) . كما رفض عبد القاهر الاعتداد باللفظ وحده ، فتفى أن تكون الفصاححة صفة للفظ من حيث هو لفظ والألفاظ في ارتباطها الفنى إنما تكون في القصيدة مجموعة الصور التي تنقل اليينا الفكرة أو التجربة أو المشاعر النفسية .

٢ - والبلاغة عند عبد القاهر :

(أ) لا ترجع إلى اللفظ وحده ، وفي ذلك يقول عبد القاهر في أول كتابه « أسرار البلاغة » أما رجوع الاستحسان إلى اللفظ ، من غير شرك من المعنى فيه ، فلا يكاد يعود نمطاً واحداً ، وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم ، ولا يكون وحشياً غريباً ، أو عامياً سخيفاً ^(٤٧) ، ويؤكد أن البلاغة ليست في اللفظ بل في النظم بما يقرره من أن الاختلاف في فضيلة الكلام وبلامته ليس بمجرد اللفظ بل بالنظم .

ويرد على من يحاول الاعتراض على عبد القاهر بالتجنيس فيقرر أن بلاغة التجنيس ليست باللفظ وحده ، بل لا تتم إلا بنصرة المعنى أي النظم . وهذا ما يقرره عبد القاهر من أن البلاغة إنما هي في النظم لا في اللفظة المفردة .

(ب) وكذلك لا ترجع البلاغة عند عبد القاهر إلى المعنى وحده فان

^(٤٥) ١٠٩ الأدب وفنونه .

^(٤٦) ص ١١٠ المرجع نفسه .

^(٤٧) ص ٢ سطر ٢ ، المرجع .

من الداء الدوى غلط من قدم الشعر بمعناه وأقل من الاحتقال باللغظة وجعل لا يعطيه من المزية ان هو أعطى الا ما فضل من المعنى ، يقول : ما في اللفظ لولا المعنى ، وهل الكلام الا بمعناه ، فائت تراه لا يقدمه شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبها ، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر ، فان مال الى اللفظ شيئا لم يعرف غير الاستماراة ، وإن الامر بالقصد اذا جئنا الى الحقائق لأننا لا نرى متقدما في علم البلاغة الا وهو يذكر هذا الرأى ويعييه (٤٩) ، وليس ذلك في رأى عبد القاهر ناشئا عن الجهل بأن المعنى اذا كان أدبا أو حكمة أو كان غريبا نادرا ، كان أشرف من غيره ، ولكن لأن التقاديم اذا كان على أساس المعنى – هذا – لم يكن الكلام من حيث هو شعر وكلام (٥٠) وهذا هو نفس ما يقرره عبد القاهر في الدلائل وفي أسرار البلاغة ، وما قرره الجاحظ من قبل من أن المعانى مطروحة في الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى (٥١) .

(ج) وإنما ترجع البلاغة عند عبد القاهر الى النظم باعتباره توخيه لمسانى النحو فيما بين الكلم ، فالبلاغة تعود الى معانى الأسلوب ، والنظم هو مظهر هذه البلاغة ، وهذه هي المسانى التي يძيعش عبد القاهر في شرحها وبيان أسرارها في كل أسلوب وكل تصوير : وهو ما أشار اليه الجاحظ من قبل من أن الشأن في اقامة الوزن وتحيز اللفظ وسمولته ، وسهولة المخرج . وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة ، وضرب من الصناع ، وجنس من التصوير .

وهكذا تجد عبد القاهر في الأسرار يؤكّد نظريته التي ذهب اليها وهي أن البلاغة لا تعود الى اللفظ بل الى النظم من حيث هو مراعاة لمعنى النحو فيما بين الكلم ، ويؤكّد هذه القضية في كل مجال حتى في باب

(٤٨) راجع ١٦٤ دلال الاعجاز ، المكتبة المحمودية .

(٤٩) المراجع نفسه .

(٥٠) ٢ : ٤ و ١ الحيوان ، ملجمة النسائي – القاهرة ١٣٤٣ هـ .
م ١١ – الإيضاح ج ٤)

الجنس والسجع فلاتجد تجنيسا مقبولا أو سجنا حسنا حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاءه وساق نحوه ، وكذلك لا شبهة في أن المطابقة والاستعارة وسائر أقسام البديع لا يعرضها الحسن والقبح إلا من جهة المعانى خاصة ثم يفسر لنا عبد القاهر غرضه من كتابه (الاسرار) وبؤك نظرته في النظم ومعانى النحو .

وينتقل بعد ذلك إلى الكلام على الاستعارة ، ثم التشبيه والتتميل ثم الفرق بين الاستعارة والتتميل ويشرح الاستعارة التمثيلية ويتحدث عن الأخذ والسرقة ، وبينما ينقسم المعانى إلى عقلية وتخيلية ويتكلم عن كل قسم منها وصوره وألوانه (١) . كما يتكلم على الأخذ والسرقة ، وعلى أقسام المعانى من عقلية وتخيلية ، وعن المجاز العقلى واللغوى والمجاز بالحذف . وبذلك ينتهى الكتاب .

ويشرح لنا عبد القاهر سر ترتيب فصول الكتاب فيقول : أعلم أن الذى يوجبه ظاهر الأمر نبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز ، ونتبع ذلك القول في التشبيه والتتميل ، ثم ننسق ذكر الاستعارة عليهم ، ونأتي بها فاثرها وذلك أن المجاز أعم من الاستعارة والواجب أن نبدأ بالعام قبل الخاص ، والتشبيه كالأصل في الاستعارة ، وهى شبانية بالفرع له . أو صورة تقتضيه من صوره ، إلا أن هنا أمورا اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة وبيان صور منها ، والتشبيه على طريق الانقسام فيها ، حتى إذا عن بعض ما يكشف عن حالها ، طف عنان الشرح إلى الفصلين الآخرين ، فوق حقوقهما ، وبين فروقهما ، ثم ننصرف إلى استقصاء القول في الاستعارة (٢) .

وإذا كان عبد القاهر قد عرض للتشبيه والاستعارة والكتابية في

(١) فالمعانى العقلية يتحدث عنها في ٤١١ - ٤١٣ الاسرار ، والمعانى التخيلية كذلك (من ٤١٤ وما يليها) .
٤١٥ (٢)

الدلائل ، فانما عرض لها لبيان ارتباطها بالنظم والمعنى ، بينما عرض لها في الاسرار لمعرفة أقسامها والفرق بين بعضها وبعض ، ومعرفة القوى والضعف من هذه الأقسام والأمر في السرقة كذلك ، فقد عرض لها في الدلائل لبيان أن النقطة تابع للمعنى وأن المعنى يغير بتغيير الصور » وفي الاسرار لبيان أنها إنما تكون في المعانى خاصة »

ان المعنى وحده — الغرض وال فكرة — مشترك عام بين الناس جميعا ، ولكنه ملك لن يصوّره ويبيّنه في الأذهان ، فللناس أفكار واحدة بوجه التقرّيب ، ولكن الأسلوب هو الذي يفرق بين كاتب وكاتب كما يقول فولتير »

والى هذا يذهب النقاد ، ويقرّ عبد القاهر خاصية الأسلوب ، وملكية كل أديب لأسلوبه ، وأن الأسلوب هو الذي يميز بين موهبة ومؤهبة وبين شاعر وشاعر ، وهذا الأسلوب ليس سرداً للفاظ ، بل ترتيباً لمعانيها وفق ترتيبها في النفس ، فهو المقصود من كلام عبد القاهر على المعنى ، وأنه الذي يستحق أن تكون فيه المزية والفضلية والاختصاص »

فكرة عبد القاهر في البلاغة إنها راجعة إلى النظم والأسلوب والصياغة والتصوير ، وأن هذا الأسلوب هو مجال الابداع الفني ، وموطن الخلق الأدبي ، ففيه تتميز المواهب وتختلف الأذواق ، وتباين المراتب والأقدار ، ومن ثم فقد شرح في « الدلائل » هذه النظرية ، وبنى عليها تطبيقاً واسعاً في « أسرار البلاغة » لفنون التشبيه والتمثيل والجاز والكتابية والوان المحسنات البديعية »

ومن ثم فإن دلائل الأعجاز أسبق في التأليف على الأرجح من أسرار البلاغة ، فدلائل الأعجاز يتضمن قضية وشرحها ، والأسرار يتضمن تطبيقاً واسعاً على بعض دعائم هذه القضية ، ولذلك تراء في صدر الكتاب يوجز في بيان هذه النظرية التي بسط الكلام عليها في الدلائل ، وهي نظريته في النظم ، ثم يبني عليها أحکامه الواسعة الجيدة التطبيق على الاستمارة والتشبيه والتمثيل والكتابية والجاز والأخذ والسرقة ، وضرب المعانى التحقيقية والتخييلية »

على أن عبقرية العمل الأدبي تظهر في أمرين :

- ١ - الشكل الذي يختاره الأديب مظهاً للحقيقة الجمالية .
- ٢ - الكلمة من حيث علاقتها اللزومية المرتبطة بمعناها .

أما الشكل (النظم أو الصورة أو الصياغة أو الأسلوب) فقد درس عبد القاهر وجومه البلاغية في كتابه «دلائل الأعجاز» دراسة مفصلة . وأما ما يتصل بالشكل وهو الكلمة من حيث دلالتها على معانٍها اللزومية في المجاز والاستعارة والكتابية ، وصلة ذلك بالتشبيه والتّمثيل ، ومن حيث دلالتها كذلك على المعانٍ التّحقيقية والتّخييلية والعامة والخاصية ، فإن ذلك كله وثيق الصلة بالخلق الأدبي من ناحية ، وبالنظم والصياغة من ناحية أخرى ، وهو ما بحثه عبد القاهر في «أسرار البلاغة» بحثاً مفصلاً يجعله من المحاسن التي يكون النظم السبب فيها .

وفي كتاب «أسرار البلاغة» تظهر بوضوح ملحة عبد القاهر الجرجاني كنقد من أعظم النقاد العرب ، الذين يدركون بأدواتهم أسرار الكلام ، ودقائق بلاغاته ، ويفرون بمشاعرهم الفنية بين أسلوب وأسلوب ، ولحظة ولحظة ، وحرف وحرف .. . ومع أن عبد القاهر قد استفاد من جهود النقاد العرب قبله فإنه كان ذروة لم يصل إليها أحد من قبله ولا من بعده ، وكان قوّة تجديفية كبيرة في الأدب ونقده وفهم موازنه وادراك أسرار بلاغاته على السواء .

وفي «أسرار أروع الفصول التّحليلية في النقد ، والجديد المبتكر من الدراسات لخصائص التشبيه والتّمثيل والاستعارة والمجاز والكتابية ، وأعمق الآراء وأطرقها في الكثير من مشكلات البيان حتى عصر الجرجاني»، ويمتاز كتاب «أسرار» بربطه بين النقد والتأثير النفسي للنص الأدبي ، وبمحاولاته الجيدة في سهل الكشف عن مدى هذا التأثير ، وأثره في بلاغة النص ، وكل ذلك مما جعل الكتاب أهمية كبيرة ، ومتزلاً ضخمة في النقد الأدبي .

فالغاية الأولى التي يقصدها عبد القاهر من الأسرار هي تحقيق أمر المعانى (٣) وأن ضروب البيان ترجع إلى ائتلاف المعنى أكثر مما ترجع إلى سحر اللفظ ، وأن المعنى هو الذى يتطلب كل شيء ، وأن المعانى قسمان : معانٍ عقلية ومعانٍ تخيلية ، فالمعانى العقلية قد تكون مجازاً واستعارة وتشبيهاً وتمثيلاً ومجازاً عقلياً أو لغويًا ، وأما المعانى التخيلية فلها ضروب شتى وأنواع ساحرة .

ثم المعانى خاصية وعامية ، والعامية قد تصير بالتحويل والصياغة خاصية ، والمعانى الخاصة هي التي يحكم فيها بالسرعة دون العامية .

وخلاصة بحوث «أسرار البلاغة» هي بيان ما يأتي :

(١) يذكر فضيلة البيان وألوانه الساحرة ، وأن سحر الكلام في حسن نظمه وتائيقه .

وقد أوضح عبد القاهر أن ذلك غایبه وفكرةه التي يريد إيضاحها في كتابه وهي بيان أمر المعانى وأخواها وتفصيل أحاجيسها وأنواعها .

(ب) وتكلم على الاستعارة وأقسامها وألوانها في آفاقه .

(ج) وذكر التشبيه والتقميل ومظاهرهما وحقيقةهما وبلاعترافهما واقسامهما في آفاقه ودقة وتحليل .

وعقد موازنات جيدة بين التشبيه والتقميل . وذكر أسلوب التجريد ومنع أن يكون استعارة أو تشبيهاً .

ثم فرق بين الاستعارة والتقميل في آفاقه . وفرق بين الاستعارة والتشبيه البليغ .

(٤٢) من النقاد من يجعل المحسّون هو التعبير أو الحقيقة النسبية المتجلية في التعبير ، ويقصد بالشكل المسادة الغفل للتصوير الفن كالألوان التصوير مثلاً ، وهذا عكس ما ذهب إليه كروتشيه الذي ذهب إلى أن البلاغة في الشكل والجمالية فيه ، كما رأى عبد القاهر ، فالشكل أو التنظم لا يفصل بينهما عند النقادين العالميين أي بين اللفظ والمعنى على ما فرناه .

(د) ثم تكلم عن المعانى العقلية والتخييلية والوانها وبلافة كل منها ، وأثر جانب الحقيقة على جانب الخيال وذكر أنه أعز جانب وأكثر اتساعاً مما يظنون ، وحلل معنى قولهم : أذب الشعر أذبه ، وأنهم إنما أرادوا به التدقير في المعانى والتعمق فيها ، لا وصف الوضيع بأوصاف العظيم وما شاكله .

كما تكلم على الأخذ والسرقة والاستعارة .

(هـ) وأناض في شرح حد المجاز والحقيقة ، وفي الكلام على المجاز العقلى وحقيقته ، وتكلم على أنواع من المجاز اللغوى والمجاز بالحذف ، وعلى بعض جوانب الاستعارة . . . وبذلك ينتهي الكتاب .

ولقد أساء عبد القاهر عرض أفكاره في كتابة الأسرار وكذلك في الدلائل فخرج تاليقه مشوهاً مفطرياً معداً مكروراً .

ولذلك نجد البحث الواحد قد يكرره في الكتاب ، وقد يذكر بعضه في كتاب ويكتمه في كتاب آخر :

فالتجنيس والسجع مثلاً بحثهما عبد القاهر في الأسرار وفي الدلائل .

والتعقيد اللغوى تجده مفرقاً في الأسرار .

والاستعارة في مواضع متعددة من الأسرار والدلائل . . . وكذلك التشبيه والتمثيل .

والاتساق والأخذ والسرقة عرض لها عبد القاهر في الأسرار وفي الدلائل .

والجاز العقلى واللغوى أناض في الحديث عنهم في الأسرار والدلائل ، وذكر بلافة المجاز الحكمي في الدلائل .

وتكلم على الكتائية في الصفة وفي الإثبات في مواضع عدة .

وذكر الشعر وأثره وسحره موزعاً في الكتابين . . . إلى آخر هذه البحوث الموزعة المفرقة .

خاتمة

انتهى الجزء الرابع من هذا الشرح بحمد الله وتوفيقه .

ويليه الجزء الخامس ، وأوله الحقيقة والجاز ، وقد أضطررنا
لتحذف بعض البحوث الملحة بأخر الجزء الثالث والرابع ، وسننشرها
كلها في آخر الجزئين الباقيين : الخامس والسادس ، إن شاء الله .

وسنواли نشر الجزئين الباقيين من هذا الشرح ، على أن تنتهي
ـ منها قريبا ، باذن الله ومشيئته ، وبالله التوفيق ، ومنه السداد .

محمد عبد المنعم خفاجي

مُهَرَّسْتَ كِتَابُ الْإِفْسَاحِ
لِلْخَطَّابِ الْقَرْزُوِيِّ

الص	الموضوع	الص	الموضوع
٣	علم البيان	٢	تشبيه التمثيل وغيره
١٥	التشبيه	٩٠	تشبيه التمثيل وغيره
١٦	القول في التشبيه	٩٦	التشبيه الجميل والمصل
٢٦		١٠٠	التشبيه القريب والبعيد
٢٩	أركان التشبيه	١١٩	الفرق بين التشبيه البعيد
٢٩	طرقاً التشبيه	٢٢	والتعقيد
٢٢	وجه التشبيه	٢٢٢	النصر في التشبيه القريب
٢٧	الوجه إما خارج أو غير خارج	٢٧	بما يجعله بعيداً
٢٩	الوجه إما واحد أو متعدد أو	٢٢٣	التشبيه المشروط
٤٧	مركب	١٢٥	تقسيم التشبيه باعتبار أدائه
٤٨	وجه التشبيه الواحد	١٢٩	خاتمة عن التشبيه
٥١	وجه التشبيه المركب	١٣١	ملحق للجزء الرابع ويشمل :
٦٦	التشبيه المركب الحسن الواقع	١٣١	التشبيه والبحث البلاغي
٦٦	في هنئة الحركات	١٣١	عنصر التشبيه
٦١	التركيب في هنئة السكون	١٣٢	التشبيه والأسلوب
٦٣	المركب العقلي	١٣٣	التشبيه في الشعر الجاهلي
٦٦	التشبيه المتعدد	١٣٧	التشبيه في الشعر الإسلامي
٦٦	آداة التشبيه	١٣٦	التشبيه في القرآن الكريم
٦٨	الغرض من التشبيه	١٤٠	التشبيه في شعر المحدثين
٨٠	تقسيم التشبيه	١٤٢	شخصية عبد القادر الجرجاني
٨٠	تقسيمه باعتبار طريقة	١٦٨	خاتمة
٩٠	تقسيم التشبيه باعتبار الوجه		